توحيد الأسماء والصفات

بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم

تأليف
أ.د. محمد بن خليفة بن علي التميمي

توحيد الأسماء والصفات

بين

أهل السنة والجماعة ومخالفيهم

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥ م

شركة دار لطائف للنشر والتوزيع

المرقاب - المنطقة التجارية التاسعة، مبنى رقم ١١، الدور الخامس، مكتب٥٠٤، ص.ب: ٩٢٧ قرطبة،

الرمز البريدي: ٧٣٧٦٠ الكويت

- تلفاكس: ٢٢٤٥٦٢٥٨ ، ٢٤٥٧٠٠٥٠

توحيد الأسماء والصفات

بين

أهل السنة والجماعة ومخالفيهم

أعده

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا؛ مَن يهدِه اللهُ فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، ثم أما بعد.

فقد كنت ألفت كتابين في باب الأسماء والصفات أحدهما بعنوان: «**معتقد أهل السنة الجماعة في توحيد الأسماء والصفات**» والثاني بعنوان: «**مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات**». ولكل واحد من الكتابين له محتواه الذي يميزه، ورأيت أن من النافع المفيد أن أجمع بين موضوعي الكتابين في مؤلف ثالث بعنوان «**توحيد الأسماء والصفات بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم**»، مع زيادات مهمة وإضافات كثيرة تناسب العنوان الجديد لمحتوى هذا الكتاب وتغطي جوانب لم أتناولها في الكتابين السابقين، وقد كان الدافع إلى ذلك ما وقفت عليه من كلام أهل الاختصاص من ضرورة معرفة الحق ومعرفة ما يقابله ومن النقول التي تؤكد على أهمية هذا المسلك من كلام أهل العلم ما يأتي:

قال ابن شاهين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٥هـ): «أهل النجاة هم العالمون بالصلاح من الفساد عند اختلاف الناس، فمن لم يعرف الحق، وقع في الباطل، ومن عرف الباطل اجتنبه»[١].

(١) كتاب شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن ص: ٣٥.

قال ابن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٦ هـ): «ولن تكمل الحكمة والقدرة إلا بخلق الشيء وضده ليعرف كل واحد منهما بصاحبه فالنور يعرف بالظلمة، والعلم يعرف بالجهل، والخير يعرف بالشر، والنفع يعرف بالضر، والحلو يعرف بالمر، لقول الله-تبارك وتعالى-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: الآية: ٣٦]، والأزواج الأضداد والأصناف كالذكر والأنثى واليابس والرطب وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: الآية: ٤٥]»[(١)].

وهذا أمر أساسه في السنة جلي لحديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[(٢)].

لا يكفي في التعبد الاقتصار على معرفة السنة فقط بل لا بد من معرفة ما يناقضها من البدع، كما لا يكفي في الإيمان التوحيد دون معرفة الشرك وإلى هذه الحقيقة العظيمة أشار العلي العظيم في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٦]

وهذا الأمر أصل بعث الرسل لتحقيقه قال-تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: الآية: ٣٦]، وأكده رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[(٣)]، فلم يكتف الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوحيد بل ضم إليه

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ١٤.
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣).

الكفر بما سواه وذلك يستلزم معرفة الشرك والكفر وإلا وقع فيه من حيث لا يشعر قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: الآية: ١٠٦]، وكذلك القول في السنة والبدعة ولا فرق وهو واضح في وصية رسول ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[١]. حيث أمرهم بالتزام السنة واجتناب البدع، وهذا أمر مشهود في الواقع فإنه لا تتم معرفة الشيء إلا بنقيضه.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[٢].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «فإن في تعريف الشر تحذيرا عن الوقوع فيه»[٣].

ويقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه[٤].

وقد وقع الخلاف في هذا الباب، وكَثُر كلام أهل الباطل فيه؛ لما عرفوا من أهميته، فبالتالي ازداد تسلطهم عليه، وأرادوا أن يَحجبوا الناس عن معرفة الله- تعالى-؛ لأنهم بهذا سيوصدون الباب، وإذا أُوصد الباب لم يمكن الدخول! فَكَثُر الخلاف والافتراق، فكان لا بد مِن مَعرفة تَنبني على الكتاب والسنة،

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤)، وأحمد (١٧١٤٤) باختلاف يسير، وابن عبدالبر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (٢٣٠٥).

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٢/ ٣٩٨).

(٣) تلبيس إبليس (ص: ٤) وانظر الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٠١ وما بعدها).

(٤) كتاب دواوين الشعر العربي على مر العصور قصيدة رقم: (١٨٤٢٠).

وكان لا بد من فهم للحقِّ حتى يُتَّبع، ولا بد من معرفة للباطل حتى يُجتنب.

وقد سرت في مباحث هذا الكتاب وفق تسعة مباحث:

- **المبحث الأول: أهمية توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة.**

وفيه ثلاثة عشر مطلباً:

المطلب الأول: هذا التوحيد شَطر باب الإيمان بالله تعالى.

المطلب الثاني: توحيد الأسماء والصِّفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية.

المطلب الرابع: معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف.

المطلب الخامس: العلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد باب معرفة الله.

المطلب السادس: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته.

المطلب السابع: العلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب.

المطلب الثامن: ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته.

المطلب التاسع: ضرورة تجنُّب الباطل، وعدم مخالفة طر يق الحق في هذا الباب.

المطلب العاشر: أسماء الله وصفاته تورث محبة الله-عز وجل-.

المطلب الحادي عشر: أسماء الله وصفاته هي مادة ذكر الله-عز وجل-.

المطلب الثاني عشر: معرفة الله تنتج للعبد فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته.

المطلب الثالث عشر: ضرورة تجنُّب الباطل، وعدم مخالفة طر يق الحق في هذا الباب.

- **المبحث الثاني: التعريف بأهل السنة والجماعة، وبيان وسطيتهم.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: بيان وسطيتهم.

- **المبحث الثالث: تعريف التوحيد عند أهل السنة.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد عند أهل السنة.

المطلب الثاني: التعريف الشرعي للتوحيد عند أهل السنة.

- **المبحث الرابع: أقسام التوحيد عند أهل السنة.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: هل تقسيم التوحيد استقرائي أم اصطلاحي.

المطلب الثاني: تقسيمات التوحيد عند أهل السنة.

المطلب الثالث: الرد على شبهة من أنكر تقسيم التوحيد.

المطلب الرابع: العلاقة بين أقسام التوحيد

- **المبحث الخامس: بيان معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مجمل معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني: شرح قول أهل السنة: «من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل».

المطلب الثالث: «كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل».

- **المبحث السادس: الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات.**

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: بيان الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني: بيان الأساس الأول من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.

المطلب الثالث: بيان الأساس الثاني من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: تنزيه الله-جل وعلا-أن يماثل شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين.

المطلب الرابع: بيان الأساس الثالث من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بصفاته.

- **المبحث السابع: توحيد الأسماء والصفات يشتمل على ثلاثة أبواب.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.

- **المبحث الثامن: من هم المعطلة**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القسم الأول من المعطلة وهم الفلاسفة.

المطلب الثاني: القسم الثاني من المعطلة وهم أهل الكلام.

- **المبحث التاسع من هم المشبهة**

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين التشبيه والتجسيم.

المطلب الثاني: تاريخ ظهور مقالة التشبيه.

المطلب الثالث: مقصود المخالفين بمعنى التشبيه.

المطلب الرابع: فرق المشبهة ومقالاتهم.

المطلب الخامس: من نسب للتشبيه.

والله أسأل أن يكون هذا الكتاب مفيدًا ونافعًا في بابه، مع الاعتراف المسبق بالتقصير وقلة البضاعة، ولكن عذري أني اجتهدت وبذلت مستطاعي في خدمة العلم وطلابه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول

أهمية توحيد الأسماء والصفات
عند أهل السنة والجماعة.

❑ وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: هذا التوحيد شَطر باب الإيمان بالله تعالى.

المطلب الثاني: توحيد الأسماء والصِّفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية.

المطلب الرابع: معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف.

المطلب الخامس: العلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد باب معرفة الله.

المطلب السادس: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته.

المطلب السابع: العلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب.

المطلب الثامن: ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته.

المطلب التاسع: ضرورة تجنُّب الباطل، وعدم مخالفة طر يق الحق في هذا الباب.

تتجلى أهمية توحيد الأسماء الحُسنى والصِّفات العُلى في المطالب الآتية:

المطلب الأول: هذا التوحيد شَطر باب الإيمان بالله تعالى:

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الإيمان، بل هو أعظمها، فما بقية الأركان إلا تَبَع له وفرع عنه، وهو أهم ما خُلق لها الخلق، وأُرسلت به الرسل، وأُنزلت به الكتب، وأُسِّست عليه الملة؛ فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأنَّ الإنسان لما كان مخلوقًا مَربوبًا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وبارئه؛ فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غِنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عِوض، وليس لكل شيء عن الله عوض؛ فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربِّه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خُلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فُضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته؛ فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يُعلم من تَتبع دعوات الرسل في القرآن.

وملاك السعادة والنجاة والفوز يكون بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما يقوم الإيمان بالله تعالى، وبتحقيقهما بَعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وإليه دَعت الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم-من أولهم إلى آخرهم.

وأحدهما: التوحيد العِلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

❑ قال الإمامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «ولا ريبَ أنَّ العِلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أَجَلُّ العلوم وأَفضلها، ونِسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه

إلى سائر المعلومات، وكما أنَّ العلمَ به أَجَلُّ العلوم وأشرفُها، فهو أصلها كلها، كما أنَّ كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر اليه في تحقق ذاته وأينيته، وكل علم فهو تابع للعلم به مُفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم، كما أنَّه-سبحانه-ربُّ كل شيء ومليكه ومُوجده...»، إلى أن قال: «فالعِلم بذاته-سبحانه-وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه فهو-في ذاته-ربُّ كل شيء ومليكه، والعلم به أصل كل علم ومَنشؤه؛ فمَن عَرف الله عرف ما سواه، ومَن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل»(١).

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضا به ربًّا وإلهًا ووليًّا، وأن لا يَجعل له عدلًا في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين في سورتي الإخلاص، وهما سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]، المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي.

وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري.

فسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، فيها بيانُ ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال.

وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]، فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٦)، دار الكتب العلمية -بيروت.

ولا يتمُّ أحدُ التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سُنَّة الفجر والوتر والمغرب، وقد ورد كذلك في سُنَّة المغرب القراءة بهاتين السورتين؛ [١] ليكون فاتحة العمل وخاتمته توحيدًا؛ إذ مبدأ النهار توحيدًا وخاتمته توحيدًا "[٢].

فالتوحيد المطلوب من العبد شَطره هو توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: توحيد الأسماء والصِّفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق:

إنَّ شرف العلم تابع لشرف معلومه؛ لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلى معرفته وعِظم النفع بها.

ولا ريب أن أَجَلَّ مَعلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو ربُّ

---

(١) قد ثبت في «صحيح مسلم» (٧٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ».
وأخرج الترمذي (٤٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان النبي يقرأ في الوتر: بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ، و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في ركعة ركعة»، وأخرجه الدارمي بنحوه (١٦٣٠)، وصححه الألباني في «صلاة التراويح» (ص ١٠٨) .
وأخرج النسائي (٩٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رَمَقتُ رَسُولَ اللهِ عِشرين مَرَّةً يقرأ في الرَّكعَتَينِ بعد المغرب، وفي الرَّكعَتَين قبل الفجرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ »، وقال النووي في «المجموع» (٣/ ٣٨٥): «إسناده جيد»، وصححه الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (٨/ ٨٩)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٢٨).

(٢) انظر «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية» لابن القيم (ص: ٣٥، ٣٦).

العالمين، وقَيُّوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلمَ به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أَجَلُّ العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات[(١)].

❑ قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٠٤هـ): «الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا»[(٢)].

❑ قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٣٩ هـ): «تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه وهذان قسمان: **أحدهما**: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه، كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل.

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى إقامه الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد»[(٣)].

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ): «وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال -سبحانه-: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: الآية: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٦).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.

(٣) تفسير الرازي ٧/ ٢٢١.

وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات»[١].

❑ قال ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إله إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات كالحديث الذي في السنن «أفضل الذكر لا إله إلا الله»[٢]. »[٣].

❑ قال ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية»[٤].

❑ قال ابن القيم رحمه الله (ت: ٧٥١ هـ): «لما كان العلم للعمل قرينا وشافعًا، وشرفه لشرف معلومه تابعًا، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد»[٥].

❑ قال ابن القيم رحمه الله (ت: ٧٥١ هـ): «إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها.

ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب

---

(١) الرد على الشاذلي بن حزبية ١/ ٢٤٢.

(٢) قاعدة في المحبة صـ ١٣.

(٣) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجة (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٩)،وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ١٣.

(٥) إعلام الموقعين ١/ ٤.

العالمين، وقيوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات»(١).

- ❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «والعلمُ الأعلى، هو العلمُ بالأعلى»(٢).
- ❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وهذا بخلاف العلم الأعلى عند المسلمين فإنه العلم بالله، الذي هو في نفسه أعلى من غيره من كل وجه، والعلم به أعلى العلوم من كل وجه، والعلم به أصل لكل علم»(٣).
- ❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال-سبحانه-: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: الآية: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات»(٤).
- ❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «فإن قيل: فالعلم إنما هو وسيلة إلى العمل ومراد له، والعمل هو الغاية، ومعلوم أن الغاية أشرف من الوسيلة، فكيف تفضل الوسائل على غاياتها؟

قيل: كل من العلم والعمل ينقسم إلى قسمين، منه ما يكون وسيلة، ومنه ما

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٨٦.

(٢) جامع الرسائل (٢/ ٦٨

(٣) الرد على المنطقيين صـ ١١١.

(٤) الرد على الشاذلي بن حزبية وما صنفه في آداب الطريق ١/ ٢٤٢.

يكون غاية، فليس العلم كله وسيلة مرادة لغيرها، فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته، قال الله-تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: الآية: ١٢] فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شي عليم، وعلى كل شي قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: الآية: ١٩] فالعلم بوحدانيته-تعالى-، وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما.

الأمر الأول: أن يعرف الرب تعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله وأحكامه.

والأمر الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها.

فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها، فكذلك العلم به ومعرفته أيضا، فإن العلم من أفضل العبادات»(١).

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(ت: ٧٥١ هـ): «مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١-العلم بذاته، ٢-وصفاته، ٣-وأفعاله، ٤-وأسمائه، ٥-وتنزيهه عما لا يليق به»(٢).

❑ قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(ت: ٧٩٥ هـ): «فأفضل العلم العلم بالله وهو

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٧٨.

(٢) مدارج السالكين ١/ ١٢٨.

العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس»[١].

❑ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨١٧ هـ): «فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهى أشرف منه قطعا»[٢].

❑ قال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١٤ هـ): «علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها، وعالم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]»[٣].

(١) شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب (ص: ٤١).
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.
(٣) شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية:

كما أن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها فهو أصلها كلها، فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومَنشؤه؛ فمَن عرف الله عَرف ما سواه، ومَن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: الآية: ١٩]، فتأمل هذه الآية: تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا، وهو: أنَّ مَن نسي ربَّه أنساه ذاته ونفسه، فلم يَعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نَسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده؛ لأنَّه خرج عن فطرته التي خلق عليها، فنسي ربَّه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: الآية: ٢٨]، فغفل عن ذكر ربه؛ فانفرط عليه أمره وقلبه، فلا التفات له إلى مصالحه وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه، بل هو مُشتت القلب مُضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلًا.

فالعِلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مُستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته»[(١)].

❐ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فإن النفس خلقت بفطرتها تقتضي معرفة الله ومحبته. وقد هديت إلى علوم وأعمال تعينها على ذلك. وهذا كله

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٦).

من فضل الله وإحسانه»[١].

❐ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «معرفة الله والشهادة له بالتوحيد، وإثبات أسمائه وصفاته، ورسالة رسله، والبعث للجزاء مسطورة مثبتة في الفطرة»[٢].

❐ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١-العلم بذاته، ٢-وصفاته، ٣-وأفعاله، ٤-وأسمائه، ٥-وتنزيهه عما لا يليق به»[٣].

❐ قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥ هـ): «فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣١٦.
(٢) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٧٩٨.
(٣) مدارج السالكين ١/ ١٢٨.
(٤) شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب (ص ٤١).

❏ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨١٧ هـ): «فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخل به؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن فى العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهى أشرف منه قطعا»[١].

❏ قال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١٤ هـ): «علم التوحيد أفضل العلوم وأكملها، وعالم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]»[٢].

❏ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٧٦ هـ): «هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم»[٣].

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٥.
(٢) شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.
(٣) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، (تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦).

- قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٧٦ هـ)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]: «وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم»[١].
- قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «علم العقائد وأصول التوحيد؛ هو أشرف العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأكملها، وبه تستقيم القلوب على العقائد الصحيحة، وبه تزكو الأخلاق وتنمو، وبه تصح الأعمال وتكمل»[٢].
- قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٧٦ هـ): «وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ [النحل: الآية: ٢]. أي: على معرفة الله -تعالى- وتوحده، في صفات العظمة، التي هي صفات الألوهية، وعبادته وحده لا شريك له، فهي التي أنزل بها كتبه، وأرسل بها رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها، وقام بضدها»[٣].

---

(١) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران الآية: ١٨).
(٢) فتح الرحيم الملك العلام ص ٢١.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٤٣٥.

المطلب الرابع: معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف:

معرفة أسماء الله وصفاته هي الأساس الذي يَنبني عليه عمل العبد، ومن خلالها تتحدد العلاقة التي تربط العبد بربه، وعلى ضوئها يَعبد المسلم ربَّه، ويتقرب إليه.

❑ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وأصلُ الإيمان: قولُ القلب الذي هو التَّصديق. وعمل القلب الذي هو المحبة على سبيل الخضوع؛ إذ لا مُلائمة لأرواح العباد أتم من ملاءمة إلهها؛ الذي هو الله الذي لا إله إلا هو».

ولذلك كان منهج السلف يقوم على أمرين؛ هما:

١- العلم بالله.

٢- والعمل لله.

فجمعوا بذلك بين التصديق العِلمي والعَمل الحُبِّي، وبذلك تميز منهج أهل السنة والجماعة (السلف) عن المناهج الأخرى.

وحققوا كِلا الأمرين؛ من القول التصديقي المعتمد على معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في الكتاب والسنة. والعمل الإرادي، وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي وفق ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك كان كلامهم وعملهم باطنًا وظاهرًا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونًا بالآخر، وهؤلاء هم المسلمون حقًّا؛ الذين سَلِموا من آفات منحرفة المتكلمة والمتصوفة.

فوقعت كل طائفة من هاتين الطائفتين المنحرفتين في مفسدتين:

إحداهما: القول بلا علم إن كان متكلمًا، والعمل بلا علم إن كان متصوفًا.

والمفسدة الثانية: فوت المتكلم العمل، وفوت المتصوف القول والكلام»[١].

وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة.

فالكلاميون: غالب نظرهم وقولهم في الثبوت والانتفاء، والوجود والعدم، والقضايا التصديقية؛ فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر؛ فاعتنوا بجانب علمي لم يَنْبَنِ على الكتاب والسنة؛ لذلك عَطَّلوا أسماء الله -تعالى-، وعَطَّلوا صفاتِه عز وجل.

وعندما عَرَّفوا التوحيد؛ قالوا: «واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله». وأهملوا جانب توحيد العبادة: «واحد في ذاته» قالوا: «لا شريكَ له». و«واحد في صفاته»: «لا نظير له». و«واحد في أفعاله»: «لا نِدَّ له». فهذا تقسيمهم للتوحيد[٢]. ويُلاحظ أنه قد خلا في هذه الثلاثة من الجانب العملي، فلا يوجد عمل، ثم إذا تحدثوا عن ذات الله تعالى تحدثوا بالتعطيل؛ فقالوا بما قالوا: «ليس في جهة، ولا في عُلو، ولا في مكان، ولا في حيز» ولا إلى غير ذلك؛ فجعلوه والعدم سواء، وإذا تحدثوا عن صفات الله تعالى تحدثوا عن سبع صفات فقط، وإذا تحدثوا عن أفعال الله تعالى هذا هو الذي سَلِم لهم: «توحيد الربوبية»؛ فلم يَسلم لهم إلا توحيد الربوبية، ونحن نعلم أن كفار قريش كانوا مُقِرِّين بتوحيد الربوبية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤١) بتصرف.

(٢) انظر: «المِلل والنِّحَل» للشهرستاني (١/ ٤٢)، مؤسسة الحلبي.

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ [الزمر: الآية: ٣٨]؛ فهذا حاصل توحيد هؤلاء.

وأمَّا الصُّوفيون: فغالب طلبهم وعملهم في المحبة والبغضة، والإرادة والكراهة، والحركات العملية؛ فاعتنوا بجانب العمل، وأهملوا جانب العلم، وكذلك عملهم لم ينبنِ على السنة، وإنَّما انبنى على البدعة؛ إذ غايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

وهكذا إذا جئنا إلى أهل التصوف لم نجد عندهم من حقيقة التوحيد شيء.

أمَّا توحيدُ أهل السُّنَّة فيقوم على هذين الأصلين العظيمين: أن تَعرف اللهَ، وذاك بمعرفة أسمائه وصفاته التي وردت في الكتاب والسُّنَّة. وأن تعبد الله، وهذا باتِّباع شرع الله على لسان رسوله.

فالسلف وأتباعهم جعلوا من توحيد الأسماء والصفات إحدى الرَّكيزتين التي قام عليها منهجهم المعتمد على نصوص الكتاب والسنة، وذلك لما لهذا التوحيد من أهمية ومنزلة، وهذا ما تشهد له كثرة النصوص الشرعية الواردة في هذا الشأن.

فلذلك لا بد لصاحب السُّنَّة أن يدرس هذا الباب، وأن يَبني هذه الدراسة على الكتاب والسنة؛ ليعرف الله عَزَّوَجَلَّ، فلن تكون من أصحاب السنة ولن تكون من أتباع السلف حتى تُعنى بهذا الباب، وطبعًا العلم بهذا الباب-كما ذكر العلماء مطلوب لذاته، ليس وسيلة للعمل كما يزعم البعض؛ فكلٌّ من العِلم بالله والعمل لله مطلوب لذاته؛ فقد يكون منه ما هو وسيلة، ومنه ما هو غاية؛ فيجب أن نعلم أنه لا بد من معرفة هذا الباب وتعلمه؛ باعتبار أنه أمر مطلوب

لذاته، وإن كان لا يُكتفى به وحده، بل لا بد وأن يجتمع معه عبادة الله ﷻ، وإلا فإن العبد لا يكون مؤمنًا، وبهذا نعلم أن من أهمية هذا الباب أنه أصلٌ عظيمٌ في منهج أهل السنة والجماعة؛ فبالتالي لا بد من الاعتناء به، ولا بد من الاهتمام به، ولا بد من تعلُّمِه، وكذلك لوقوع الاختلاف والافتراق في هذا الباب بين الفِرَق والطوائف لا بد من مزيد جهد وعناية بفهمه وتوضيحه ودراسته وتعلمه وتطبيقه.

والله تعالى ليس له مَثيل حتى يُقاس عليه، وعقول البشر لا يمكن أن تستقلَّ بمعرفة الله تعالى استقلالًا؛ لأنها قاصرة عاجزة، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]؛ فالله-تعالى-تعَرَّف إليك! فضلًا منه ومِنَّة عليك عَرَّفك بأسمائه وصفاته، عَرَّفك بأنه العليم، وأنه السميع، وأنه البصير، وأنه القدير، وأنه الغفور، وأنه الرحيم، وأنه الجبَّار، وأنه المتكبر. إلى غير ذلك مِن أسماء الله-تعالى-وصفاتِه الواردة في الكتاب والسُّنَّة؛ فمِنَّةٌ عُظمى فتحها الله عليك! بالله عليك كيف تُغلقها على نفسِك؟! بل إن الله رَغَّبك في هذه المعرفة فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠]، وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: الآية: ٢٤]، وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: الآية: ٨].. إلى غير ذلك من المواطن التي ذُكرت فيها أسماء الله ﷻ؛ إمَّا جملة وإما تفصيلًا.

فافتح بابَ معرفة الله تعالى! لا تُغلقه على نفسك! لا تحرم هذا القلب من

أن يَعرف ربَّه، ويَعرف معبودَه!

❑ قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤ هـ): «لا يدرك خيرٌ إلا بعونه. فإن مَن أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه؛ فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريَب، ونُوِّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة»(١).

❑ قال أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧ هـ): «إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه»(٢).

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فإذا كان القلب مشغولاً بالله، عاقلاً للحق، متفكراً في العلم، فقد وُضِع في موضعه»(٣).

المطلب الخامس: العلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد باب معرفة الله:

إنَّ محبة الشيء فرع عن الشعور به، وأعرف الخلق بالله أشدهم حُبًّا له، فكل من عرف الله أحبه، والعلم يَفتح هذا الباب العظيم الذي هو سِرُّ الخَلق والأمر (٤)؛ فمن أعظم أصول الدين: المحبة، بل هي قاعدة العبادة، فكيف يكون حبٌّ في قلب العبد المؤمن وهو لم يعرف الله-تعالى-؛ فالله تعالى فتح لنا باب معرفته من هذا الطريق، فإن شأت فادخل وتعَرَّف على أسماء الله

(١) الرسالة ص١٩، وأحكام القرآن جمع البيهقي ١/ ٢١.
(٢) تلبيس إبليس ١/ ٣٣٤.
(٣) مجموع الفتاوى ٩/٣١٢.
(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٧).

وصفاته وأفعاله، وإلا فإنك محروم مِن ضِمن مَن حُرم مِن هذا الخير العظيم؛ فطمأنينة القلب وحياته هي في هذا الأمر العظيم: في معرفة الله ﷻ، ولا سبيل للحصول على هذه المعرفة إلا من باب العلم بأسماء الله وصفاته، فلا تَستقر للعبد قَدَم في معرفة الله إلا بالتعرف على أسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة؛ فالعلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد هذا البابَ العظيمَ، فالله ﷻ لم يجعل السبيل إلى معرفته من طريق الاطلاع على ذاته، فهذا الباب موصود إلى قيام الساعة، كما أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ حيث قال: «تَعَلَّمُوا أنَّه لن يَرى أحدٌ مِنكم ربَّه ﷻ حتى يَموت»[(١)].

وكذلك فإنَّ من المحال أن تَستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على وجه التفصيل، فهي عاجزة عن ذلك لكونه من المُغيبات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي، والله-ﷻ-يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٥]، فهذه الآية: تُبين محدودية علم الإنسان.

وقد اقتضت رحمة العزيز الحكيم أن بَعث الرسل به مُعَرِّفين وإليه داعين، وجعل معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته، أفعاله هي مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم، فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والأصل الأول فيها: معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم يتبع هذا الأصل أصلان عظيمان هما:

١-تعريف الناس الطريق الموصلة إلى الله، وهي: «شريعته المتضمنة لأمره ونهيه».

٢-تعريفهم مآلهم في الآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول مَبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصلة إليه، وأعرفهم بحال الناس عند القدوم عليه.

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «الله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو؛ فتَخلو القلوب عن محبة ما سواه بِمَحَبَّته، وعن رجاء ما سواه برجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به»[(١)].

❑ قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٣٩ هـ): «التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل»[(٢)].

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فالعلوم بعضها أفضل من بعض فالعلم بالله أفضل من العلم بخلقه، ولهذا كانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ لأنها صفة الله تعالى. وكانت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن » ثلاثة أثلاث «: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي. وثلث التوحيد أفضل من غيره»[(٣)].

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً؛ فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله»[(٤)].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «شجرة الإسلام في القلب، إن لم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٢٣، ٥٢٤).
(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ١٢٤.
(٣) مجموع الفتاوى ٩/ ٣٠٦.
(٤) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٦١.

يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس»[١].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: هـ): «والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك»[٢].

❑ قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٥ هـ): «ومن الأنس بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، الأنس بكلامه وذكره، والأنس بالعلم النافع، الَّذِي بلغه رسوله عنه»[٣].

المطلب السادس: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته:

على أساس العلم الصحيح بالله وبأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، وتنبني مطالب الرسالة جميعها؛ فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان، وهو أصل الدين الذي يقوم عليه، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان، وهي مهمة جدًّا للمؤمن لشدة حاجته إليها؛ لسلامة قلبه، وصلاح معتقده، واستقامة عمله، فهذه المعرفة لأسماء الله وصفاته وأفعاله تُوجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يَليق به، ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام.

---

(١) التفسير القيم ص: ٣٤١.

(٢) الفوائد ص١٦٤.

(٣) مجموع الرسائل ٣/٣٣٩.

وذلك يتم بتدبر كلام الله تعالى، وما تعَرَّف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما نَزَّه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه.

والجدير ذِكره أن معرفة الله نوعان:

النوع الأول: المعرفة الإجمالية:

وهي التي تَلزم العبد المؤمن؛ لينعقد بها أصلُ الإيمان، وهي تتحقق بالقدر الذي يميز العبد به بين ربه وبين سائر الآلهة الباطلة، ويتحقق بها الإيمان المجمل، وتجعله في سلامة من الكفر والشرك المُخرجين من الإيمان، وتُخرجه من حدِّ الجهل بربه وما يجب له.

وهذه المعرفة يتحصل عليها من قراءة سورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرها من الآيات، ومعرفة معانيها.

ولكن هذه المعرفة لا تُوجب قوة الإيمان والرسوخ فيه.

النوع الثاني: المعرفة التفصيلية:

وهذه تكون بمعرفة الأدلة التفصيلية الواردة في هذا الباب، وتعلمها واعتقاد اتصاف الله بها، ومعرفة معانيها، والعمل بمقتضياتها وأحكامها.

وهذه المعرفة هي التي يحصل بها زيادة الإيمان ورسوخه، فكلما ازداد العبد علمًا بالله زاد إيمانه وخشيته ومحبته لربِّه وتَعلقه به؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: الآية: ٢٨]، كما تجلب للعبد النور والبصيرة التي تُحَصِّنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

«والعلم بالله يُراد به في الأصل نوعان:

أحدهما: العلم به نفسه، أي: بما هو متصف به مِن نُعوت الجلال والإكرام، وما دَلَّت عليه أسماؤه الحسنى.

وهذا العلم إذا رَسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لابد أن يعلم أن الله يُثيب على طاعته، ويعاقب على معصيته.

والنوع الثاني: يُراد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي والحلال والحرام.

ولهذا قال بعض السلف: العلماء ثلاثة:

١-عالم بالله ليس عالمًا بأمر الله.

٢-عالم بأمر الله ليس عالمًا بالله.

٣-عالم بالله وبأمر الله.

فالعالم بالله: الذي يخشى الله. والعالم بأمر الله: الذي يعرف الحلال والحرام»[(١)].

❑ قال أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢٢ هـ): «العلم بالله أعلى وأولى من العبادة له»[(٢)].

❑ قال ابن شاهين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٥ هـ): «فمن لزم الحق لم يضره قلة العمل، ومن لم يعرف الحق لم ينفعه كثرة العمل؛ لأن العمل بلا علم لا يضر ولا ينفع»[(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٣٣) بتصرف بسير.

(٢) حلية الأولياء ١٥/ ٣٥٨ .

(٣) كتاب شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن ص: ٣٥.

❑ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٩ هـ): «تمام الإيمان وتمام العلم إنما هو المعرفة بالله ورسله، ومعرفة الدلالة على ذلك»(١).

❑ قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٤ هـ): «الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا»(٢).

❑ قال فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٠٦ هـ): «الآيات المشتملة على دلائل علم الأصول أشرف من الآيات المشتملة على دلائل علم الفروع، بدليل أنه قد جاء في فضيلة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١]. و ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]، وآية الكرسي، و ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]، ما لم يجيء في فضيلة قوله-تعالى-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٢٢]، ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٧٥] . ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٢] الآية. ولذلك فإن الزهاد والعباد يواظبون في شرائف الأوقات على قراءة هذه الآيات المشتملة على الإلهيات، دون الآيات المشتملة على الأحكام.

والآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما اللواتي في بيان التوحيد والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، وفي إثبات النبوات

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ٤٤-٤٥.
(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤.

والمعاد، ومسألة القضاء والقدر فكثيرة.»(١).

❐ قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٤٣ هـ): «القرآن توحيد وأحكام ووعظ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، فيها التوحيد كله. وبهذه المعاني وقع البيان في قوله - ﷺ - لأبي بن كعب: «أي آية في القرآن أعظم؟» قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]. قال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر»(٢). وإنما كانت أعظم؟ لأنها توحيد كلها، كما صار قوله: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله» الحديث(٣). أفضل الذكر؛ لأنها كلمة حوت علوم جميع التوحيد، والفاتحة تضمنت التوحيد كله والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله، فإن الله جمع التوحيد كله في آية الكرسي، ثم جمعه في أقل حروفا منها التوحيد، وهو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١]. ثم جمعه لرسوله في كلمات يوم عرفة المتقدمة. ثم جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: الآية: ٣]. وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: الآية: ١١٥]»(٤).

❐ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (ت: ٧١٦) رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) عجائب القرآن صـ ١٧-١٨.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٥٧٢) رواية يحيى، وأحمد: ٢/ ٢١٠، والترمذي (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه». وصححه من المعاصرين الألباني في سلسلته الصحيحة (١٥٠).

(٤) كتاب المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي المالكي ٢/ ٣٧٠.

«قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: الآية: ١٩] يحتج به على تقديم أصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره؛ لتقديمه التوحيد ها هنا، ولأن رتبة الأصل قبل رتبة الفرع، وعلى أن المعتبر في الأصول العلم لا غيره»(١).

❐ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «ولهذا كانت سورة «الأنعام» أفضل من غيرها، وكذلك سورة «يس» ونحوها من السور التي فيها أصول الدين التي اتفق عليها الرسل كلهم صلوات الله عليهم.

ولهذا كانت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، مع قلة حروفها تعدل ثلث القرآن؛ لأن فيها التوحيد فعلم أن آيات التوحيد أفضل من غيرها»(٢).

❐ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]. وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٣).»(٤).

❐ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «النبي ﷺ، سأل أبيًا «أي آية في كتاب الله أعظم؟» فأجابه أبيّ بأنها آية الكرسي، فضرب بيده في صدره وقال «ليهنك العلم»، ولم يستشكل أبيّ ولا غيره السؤال عن كون بعض

(١) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٥٨٤.
(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٩٠).
(٣) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" (٦٨٧).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٠).

القرآن أعظم من بعض، بل شهد النبي بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض؛ وعرف أفضل الآيات»[(١)].

❏ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ): «والقرآن فيه من ذِكْر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذِكر الأكل والشُّرب والنكاح في الجنة، والآياتُ المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظمُ قدرًا من آيات المعاد؛ فأعظمُ آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي المتضمنة لذلك. . .، وأعظم سورةٍ سورةُ أمِّ القرآن. .»[(٢)]. .

❏ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «من أَرَادَ علو بُنْيَانه فَعَلَيهِ بتوثيق أساسه وإحكامه وَشدَّة الاعتناء بِهِ، فَإِن علو الْبُنيان على قدر تَوْثِيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بُنيان وأساسها الْإِيمَان وَمَتى كَانَ الأساس وثيقا حمل الْبُنيان واعتلى عَلَيْهِ»[(٣)].

❏ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «العلم به-تعالى-أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم»[(٤)].

❏ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «والإيمان به أصل الإيمان بما عداه»[(٥)].

❏ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم،

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٩).
(٢) درء تعارض العقل والنقل، (٣/ ٦١)،
(٣) الفوائد ص ١٥٥ .
(٤) بدائع الفوائد ١/ ٢٨٧ .
(٥) الصواعق المرسلة ١/ ٣٦٥.

إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها. وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر في العبد أو يفعله؛ إما أن يكون لجهله به، أو لعدم حكمته. وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض»(١).

❑ قال ابن القيم رحمه الله (ت: ٧٥١ هـ): «من كمال رحمته أن يعرف عباده نفسه وصفاته، ويدلهم على ما يقربهم إليه، ويباعدهم منه، ويثيبهم على طاعته، ويجزيهم بالحسن، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة، فكانت رحمته مقتضية لها»(٢).

❑ قال برهان الدين البقاعي رحمه الله (ت: ٨٨٥هـ): «التوحيد هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير، والمنتهى الذي هو غاية السير، والعالي على كل غير»(٣).

❑ قال برهان الدين البقاعي رحمه الله (ت: ٨٨٥ هـ): «التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناء إلا عليه»(٤).

❑ قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى رحمه الله (ت: ٨٩٨ هـ): « قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: الآية: ٣٠]، أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين

(١) كتاب فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى لابن القيم ص: ٢٨-٢٩ .
(٢) بدائع التفسير: ١/ ١٧١ .
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٥٧ .
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦ .

التي هي منتهى العمل؛ وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد»[١].

- قال أبو حيان الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٤٥ هـ): «وقال تعالى وتقدس: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]. فذكر العبادة عقيب التوحيد، لأن التوحيد هو الأصل، والعبادة فرعه»[٢].
- قال برهان الدين البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٨٥ هـ): «التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناء إلا عليه»[٣].
- قال برهان الدين البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٨٥هـ): «والتوحيد هو الأساس الذي لا تصح عبادة إلا به، وتحقيقه هو العلم الذي لا علم يعدله»[٤].
- قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٦ هـ): «فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم»[٥].
- قال حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٧ هـ): «وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، ومتشعبة منها مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها»[٦].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (سورة الأحقاف: الآية: ١٣)، ٨/ ٨٢.
(٢) البحر المحيط في التفسير ١/ ٤٤.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ١٩٦.
(٤) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).
(٥) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، (تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦).
(٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص: ٢٢١.

❒ قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٢٨٢ هـ): «أفرض العلوم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته؛ ومعرفة حقه على عباده الذي خلق الجن والإنس لأجله؛ وهو توحيد الألوهية»(١).

❒ قال عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٢ هـ): «التوحيد أوجب الواجبات، ومعرفته أفرض الفرائض»(٢).

المطلب السابع: العلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب:

يجب أن نعلم أنَّ معرفة الله تعالى هي حياة قلوبنا؛ فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تَعرف ربها ومعبودها وفاطرها، ويكون أحب إليها مما سواه، ولا يمكن أن تنجو وأن تَسعد في الآخرة إلَّا بهذه المعرفة والمحبة.

والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربِّه لا يكون إلا شقيًّا مُعذَّبًا كما هو حال الكافرين.

فالله-تبارك وتعالى-خلق هذا الإنسان وركَّبه من الجسد والروح، وشاء أن يكون قَوَام هذا الجسد من هذه الأرض؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [الحج: الآية: ٥]، وجعل حياة هذا الجسد من التراب؛ فهو يأكل ويشرب ويكتسي من الأرض وما فيها.

وجعل في هذا الجسد الروح؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: الآية:٢٩].

---

(١) الرد على البردة ص: ٣٧٥.
(٢) حاشية الأصول الثلاثة ص: ١٣٧.

أمَّا أصل هذه الروح ومادتها فهذا لا علم لنا به: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]؛ فأمرٌ استأثر الله تعالى به في علم الغيب عنده.

لكن الله عز وجل شاء أن يكون قِوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته؛ قال -عز وجل-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: الآية: ٢٨]؛ فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبَّة فاطره وبارئه، ودوام ذِكره، والسعي في مرضاته، لذلك فإنَّ مَن في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التَّبَصُّر فيه وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خُلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأُرسلت الرسل، وقامت السموات والأرض، ووُجدت الجنة والنار، ولأجله شُرعت الشرائع، وأُسِّست الملة، ونُصبت القِبلة، وهو قطب رحى الخلق والأمر الذي مدارهما عليه.

وهو بحقٍّ أفضل ما اكتسبته القلوب، وحصَّلته النفوس، وأدركته العقول، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه(١).

❐ قال الحافظ عبيد الله بن أبي جعفر رحمه الله (ت: ١٣٤ هـ): «ما استعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله»(٢).

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية الكبرى» (ص٢٨، ٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء، (٦/ ٩).

❑ قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢٠ هـ): «فمن نور الله قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأتمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلا، وتركت التدبير عليه»[(١)].

❑ سئل محمد بن عبد الله الفرغاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٦٢ هـ) عن الافتقار إلى الله تعالى والاستغناء به أيهما أكمل؟ فقال: «إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الاستغناء به، واذا صح الاستغناء به صح الافتقار إليه، فلا يقال أيهما أكمل لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر»[(٢)].

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «الجمال الذي للخُلُق، من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخَلْق، وهو الصورة الظاهرة»[(٣)].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «وما أحسن ما قال أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٩٧ هـ)، في بعض وعظه: «قبيح بالعبد أن يقول بلسانه الله أكبر وقد امتلأ قلبه بغير الله»[(٤)].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «الشوق إلى الله ولقائه نسيمٌ يهب على القلب؛ يروح عنه وهج الدنيا»[(٥)].

---

(١) كتاب آداب النفس للحكيم الترمذي ص: ١٦.
(٢) طريق الهجرتين ١/ ٩٧.
(٣) الاستقامة، لابن تيمية ١ / ٤٤١.
(٤) بدائع الفوائد ٢ / ٦٩٦.
(٥) الفوائد لابن القيم ص٩٨.

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): عند تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: الآية: ١١]، «جمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان»[(١)].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاحهم هي معرفة الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وهي حقيقة قول العبد لا اله إلا الله وبها بعث الرسل ونزلت جميع الكتب ولا تصلح النفس ولا تزكو ولا تكمل إلا بذلك»[(٢)]..

وإذا تأملت أعمال القلوب وجدت -مثلًا- أن كل حبٍّ هو تَبَعٌ لحبِّ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ وكذلك الخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والإخلاص، والرغبة، والرهبة.. إلى غير ذلك.

فلا يمكن أن تتحرك أعمال القلوب في القلب ولا أن تقوم بواجبها ما لم تكن على معرفة بالله عَزَّ وَجَلَّ!

إذًا، كيف تتحقق في القلب أعمال القلوب؟

فمثلًا إذا علمت أن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المُميت، وهو النَّافع، وهو الضَّار، وهو القابض، وهو الباسط. إذا علمت هذا أَثْمَر في قلبك توكلًا على الله عَزَّ وَجَلَّ. هذه المعرفة تُوَلِّدُ التوكل. ممن تخاف ومَن ترجو والرزق بيد الواحد الأحد عَزَّ وَجَلَّ؟! يرزق من يشاء بغير حساب. وكيف ترجو ما في يد الناس؟ أو حتى كيف تحسد فلانًا من الناس: أن أعطاه الله

(١) حادي الأرواح ص: ١٨٥.
(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ١٢٠.

تعالى من فضله؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران: الآية:٢٦]؛ فالخير بيد الله-عَزَّوَجَلَّ-، والله يختص برحمته مَن يشاء؛ فكيف لقلبٍ أن يحسد لو كان على إيمان؟! ويحسد مَن؟! كأنما يعترض على حكم الله عَزَّوَجَلَّ: أن أعطى فلانًا ومنع فلانًا!

فصلاح قلوبنا وحمايتها من تلك الأمراض التي تضرها، وتفسد على الإنسان حياته مِن غِلٍّ وحسد وحقد وغِيبة ونميمة. إلى غير ذلك من أمراض- سببها هو: أن الإنسان ما عرف الله تعالى حقَّ المعرفة، ومثلًا الله-عَزَّوَجَلَّ- أخبرك بأنه عليم، وأنَّه سميع، وأنه بصير؛ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومُطَّلِع على عملك وعلى فعلك؛ أفَلَا يحملُك هذا على الحياء منه؟!

فيجب أن يحمل هذا العبدَ على خوف الله-تعالى-، على مراقبته، على خشيته؛ فلو أن النفوس استحضرت هذه المعاني لَمَا أَقْدَمَت على فِعل معصية، ولذلك يقول النبي «لا يَزني الزَّاني حين يَزني وهو مؤمن، ولا يَشرب الخمرَ حين يَشرب وهو مُؤمنٌ، ولا يَسرق السارق حين يَسرق وهو مؤمن...»، الحديث(١).؛ لأنه لو قام الإيمان كما يجب-وكما ينبغي-في نفسِه في تلك اللحظات لَمَا أقدم على فَعلته.

أنت لو لَمَحت أحدًا من الناس وأنت على معصية لربما استحييت منه، ولربما خِفت أن يُفشي سِرَّك! فكيف وأنت أمام عالم الغيب والشَّهادة، المُطَّلِع على جميع أحوالك وعلى جميع أمورك وعلى جميع سكناتك وعلى جميع

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة

حركاتك؛ ألا تستحي مِن الله ﷻ؟! وكما يذكرون أنَّ رجلًا لقي أعرابية فأرادها على نفسها فأَبَت وقالت: أي ثكلتك أمك، أَمَا لك زاجر من كرم؟ أما لك ناهٍ مِن دين؟ قال: قلت: واللهِ إنَّه لا يَرانا إلا الكواكب، قالت: ها بأبي أنت، وأين مُكوكبها»[١].؛ فأراد أن يُطمأنها أنَّه لا يراهم أحد إلا هذه الكواكب! فقالت له: «وأين مُكوكبُها؟!»؛ فذكَّرَته بالله-ﷻ-في تلك اللحظة؛ فقام عنها، وكان ذلك سببًا في هدايته.

فنحن لو استحضرنا معاني أسماء الله وصفاته لكان هذا سببًا في حياة قلوبنا، ولكنَّ قلوبَنا مُلئت بالغفلة عن الله ﷻ والإعراض عن معرفة أسمائه وصفاته؛ فأصابها ما أصابها من أمراض أثقلت كواهلنا، وأفسدت علينا أمر ديننا، وأفسدت علينا أمر دنيانا، بل إن الواحد منا يقف في الصلاة ويسمع آيات الله سبحانه تُتلى عليه، ومع ذلك قلبه قاسٍ، وأصبح قلبًا متحجرًا مهما ذُكِّر بآية عذاب أو وعيد لا يهتز لها، ولا يتحرك لها شعور في قلبه من ذِكر شيء من آيات الله ﷻ؛ فأصابنا ما أصابنا من أمراض في قلوبنا وفي نفوسنا بسبب أننا غفلنا عن معرفة الله-ﷻ-.

فليتنا نعودُ إلى أسماء الله وصفاته! ليتنا نتدبر ما جاء فيها من معانٍ، وما تُثمره من ثمرات! أنت إذا أثمرت هذه المعرفة في قلبك التوكل حصلت عِزَّة للمؤمن، وحصلت طمأنينة للنفس، وكذلك إذا حصل حياء وإذا حصل خوف وإذا حصلت خشية-منعك هذا مِن أن تقترف معصية؛ لا في السر ولا في العلن. إذا حصلت هذه المعرفة قامت بك محبةٌ لله تعالى وتعظيم وإجلال.

هذه المعرفة وهذه المحبة وهذا التعظيم وهذا الإجلال يحملك على أن

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٦٥) عن العتبي.

تُراقب الله-عَزَّوَجَلَّ-في جميع أحوالك، وأن يكون اللهُ تعالى أحبَّ إليك مِن كل شيء وأعظم وأكبر وأجَل من كل شيء، لكن للأسف حَرمنا قلوبنا من ذلك، فلربما استحقت وعيدَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: الآية: ٢٢]؛ فقست القلوب، والقلوب تقسو، بل وتمرض وتموت، والله تعالى قد قال: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: الآية: ١٤]؛ فالران: هو الصدأ؛ يعلو على هذه القلوب حتى تصبح هذه القلوب صَدِأَة، هذه القلوب قاسية مُبتعدة عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

فأين النفس المطمئنة التي ستنادى كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: الآيات: ٢٧-٣٠]

فمعرفةُ الله-عَزَّوَجَلَّ-حياةٌ لقلوبنا، وستثمر لنا من أنواع الإيمان وأنواع العمل ما يكون-بإذن الله تعالى-سببًا في صلاحنا وصلاح أحوالنا وصلاح مَعاشنا وصلاح معادنا؛ لو أننا عرفنا ذلك وعملنا به!

- ❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إله إلا الله» علما وعقيدة وعملا وبراءة وموالاة ومعاداة: كان أحق بالرحمة»[1].
- ❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «ومن أعظم البلاء إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له؛ لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤١٤.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٧.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه ولا يرجون أحدا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم التوكل عليه والإنابة إليه»[(١)].
- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وأما التوحيد أن يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، فلا يحب شيئا مثل ما يحب الله، ولا يخافه كما يخاف الله، ولا يرجوه كما يرجوه، ولا يجله ويكرمه مثل ما يجل الله ويكرمه»[(٢)].

المطلب الثامن: ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته:

مما يدلل ويؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تُثمره معرفة أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة في الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تَجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة.

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشيةَ الله لا محالة؛ فلكلِّ اسم من أسماء الله تأثير معين في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك-تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها؛ فالأسماء الحسنى والصفات العُلى مقتضية لآثارها من العبودية، وهذا مُطَّرِد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح؛ فمثلًا: علم العبد بتفرد الرب تعالى

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ١٩٣.
(٢) جامع المسائل ٢/ ٢٧٩..

بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنَّه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبِرِّه وإحسانه ورحمته تُوجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعِزِّه تُثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العُلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية.

فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها»[(١)].

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه»[(٢)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٩٠).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٩٤).

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم، لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول»[١].

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن،....مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب؛ ولذات الأرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه، وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذى تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه فى ذلك أبدا. قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: الآية: ٦٥]»[٢].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب، واشتد به القلق»[٣].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا. فالقلوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إِلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها»[٤].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «فما كبر النفوس وشرفها، ورفعها، وأعزها مثل طاعة الله، وما صغر النفوس وأذلها، وحقرها مثل معصية الله -عَزَّ وَجَلَّ-»[٥].

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥/ ٤٣٠.
(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ص: ٣٦-٣٧.
(٣) الفوائد لابن القيم ص: ٩٨.
(٤) الفوائد، ١/ ٢٦٢.
(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص: ١٤٩.

❑ قال ابن مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢ هـ): «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا»[(١)]..

❑ قال ابن حجر رحمه الله (ت: ٨٥٢ هـ): عند تعليقه على هذا الأثر: «المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء، قوله» «وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب» في رواية أبي الربيع الزهراني عن أبي شهاب عند الإسماعيلي «يرى ذنوبه كأنها ذباب مر على أنفه» أي ذنبه سهل عنده لا يعتقد أنه يحصل له بسببه كبير ضرر كما أن ضرر الذباب عنده سهل وكذا دفعه عنه، والذباب بضم المعجمة وموحدتين الأولى خفيفة بينهما ألف جمع ذبابة وهي الطير المعروف قوله: «فقال به هكذا» أي نحاه بيده أو دفعه هو من إطلاق القول على الفعل قالوا وهو أبلغ قوله قال أبو شهاب هو موصول بالسند المذكور قوله: «بيده على أنفه» هو تفسير منه لقوله: «فقال به» قال المحب الطبري رحمه الله (ت: ٦٩٤ هـ): إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية وقال ابن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وعظ يقول هذا سهل قال ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣٠٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٠٥.

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «من خاف من الله خاف منه كل شيء، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء»[١].

وبهذا يتبين أنَّ معرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به في كتابه وسنة رسوله ﷺ تُوجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر؛ إذ كل اسم من أسمائه-عَزَّوَجَلَّ-له تَعَبُّد مُختص به؛ علمًا ومعرفة وحالًا.

(علمًا ومعرفة): أي: إنَّ مَن عَلِم أنَّ الله مسمى بهذا الاسم، وعرف ما يتضمنه من الصفة، ثم اعتقد ذلك-فهذه عبادة.

و**(حالاً)** أي: إن لكل اسم من أسماء الله مدلولًا خاصًّا وتأثيرًا معينًا في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك- تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

وهذه الطريقة مُشتقة من قلب القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠].

والدعاء بها يتناول: دعاء المسألة. ودعاء الثناء. ودعاء التعبد .

وهو-سبحانه-يدعو عباده إلى أن يَعرفوه بأسمائه وصفاته، ويُثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظِّهم من عبوديتها[٢] .

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢٧٤.
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٢٠).

❑ قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧ هـ): «أحق الناس بالرضا عن الله، أهل المعرفة بالله»[١].

❑ قال الحكيم الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢٠ هـ): «إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم ودود ظهر له وداده وكرمه وبره فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته؛ فإذا جاءت شهوات النفس سبيلا إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت فأي خسران أعظم من هذا»[٢].

❑ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٤٩ هـ): «وقد سئل بعض الصالحين عن المحبة ما هى؟

فقال: مواطأة القلب لمراد الرب، أن توافق الله-عَزَّوَجَلَّ-، فتحب ما أحب وتكره ما كره»[٣].

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه؛ إلا الله-سبحانه-؛ ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة أكل الطعام المسموم»[٤].

❑ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «ومن أعز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال وهي معرفة خواص الخلق وكلهم عرفه بصفة من صفاته وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه ليس كمثله شيء في

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.
(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٣/ ٥١.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٦٧.
(٤) مجموع الفتاوى ١/ ٢٣.

سائر صفاته»[(١)].

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «المحب الصادق: إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فهو لله وبالله ومع الله»[(٢)].
- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «إذا كان العبد ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله»[(٣)].
- قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره»[(٤)].
- قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٦ هـ): عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [النور: الآية: ٣٨]، «فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب»[(٥)].

المطلب التاسع: ومن ثمرات هذا العلم حسن الأدب مع الله

- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره. ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا

---

(١) الفوائد ١٨١.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٤٥٣.

(٣) الجواب الكافي ص ٢١٣.

(٤) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٣٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص٩٥.

وحالًا»[(١)].

❑ قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٨ هـ): «وقد روينا عن عون بن عبد الله، أنه كان يقول: «ليعظم أحدكم ربه، أن يذكر اسمه في كل شيء، حتى يقول: أخزى الله الكلب، وفعل الله به كذا». وكان بعض من أدركناه من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله-جل وعز-إلا فيما يتصل بطاعة، أو قربة، وكان يقول للرجل إذا جزاه خيرا: جزيت خيرا، وقل ما يقول: جزاك الله خيرا، إعظاما للاسم أن يمتهن في غير قربة، أو عبادة»[(٢)].

المطلب العاشر: أسماء الله وصفاته تورث محبة الله عَزَّ وَجَلَّ.

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ت: ٧٢٨ هـ): «كلما قويت محبة العبد لمولاه صغرت عنده المحبوبات وقلت، وكلما ضعفت كثرت محبوباته وانتشرت. وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك فإن كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئا سواه قال الله-تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٩]، وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف»[(٣)].

المطلب الحادي عشر: أسماء الله وصفاته هي مادة ذكر الله-عَزَّ وَجَلَّ-.

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ) في بيان فضل ذكر الله تعالى: «...وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض؛ فإنه يختلف

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٥).
(٢) شأن الدعاء ص: ١٨-١٩.
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٩٤.

باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد.

لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره: أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة: «سبق المفردون قالوا يا رسول الله ومن المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»[(١)]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله»[(٢)].

والدلائل القرآنية والإيمانية بصرًا وخبرًا ونظرًا على ذلك كثيرة، وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم، كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك، وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل اليوم والليلة.

ثم ملازمة الذكر مطلقا، وأفضله لا إله إلا الله. وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل: «سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» أفضل منه.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٦/ ٤٤٧). وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٢٢٠٩) إسناده صحيح

ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله، ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضا من أفضل ذكر الله، وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف»[١].

❐ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه، وأنفع للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته، وكذلك سائر الأحاديث، كما في حديث الاسم الأعظم: «اللهم إني أسألك بأن: الحمد لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم»[٢].

وفي الحديث الآخر: «أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» [٣].

وفي الحديث الآخر: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق»[٤].

وكلها أحادث صحاح رواها ابن حبان والإمام أحمد والحاكم. وهذا

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٦٦٠-٦٦١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٩٠)، والترمذي (٣٥٤٤) وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (٣٨٠٨)، وأحمد (٣/ ١٢٠، ١٠٨، ٢٤٥، ٢٩١).

(٣) أخرجه أبو داود (١٩٩٣)، والترمذي (٣٤٧٣)، وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (٣٨٠٧)، وأحمد (٥/ ٣٤٩، ٣٦٠).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، والحاكم (١/ ٥٢٤)، وابن حبان (٣/ ٢١٣).

تحقيق لقوله ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠]»(١).

المطلب الثاني عشر: معرفة الله تنتج للعبد فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته.

❐ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «الفقر فقران:

فقر اضطراري، وهو فقر عام لا خروج لبرّ ولا فاجر عنه، وهذا لا يقتضى مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقاً ومصنوعاً.

والفقر الثاني فقر اختياري، هو نتيجة علمين شريفين:

أَحدهما: معرفة العبد بربه، والثاني: معرفته بنفسه.

فمتى حصلت له هاتان المعرفتان، أَنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته»(٢).

المطلب الثالث عشر: ضرورة تجنُّب الباطل، وعدم مخالفة طر يق الحق في هذا الباب.

قد وقع الخلاف في هذا الباب، وكَثُر كلام أهل الباطل فيه؛ لما عرفوا من أهميته، فبالتالي ازداد تسلطهم عليه، وأرادوا أن يَحجبوا الناس عن معرفة الله- تعالى-؛ لأنهم بهذا سيوصدون الباب، وإذا أُوصد الباب لم يمكن الدخول! فَكَثُر الخلاف والافتراق، فكان لا بد مِن مَعرفة تَنبني على الكتاب والسنة، وكان لا بد من فهم للحقِّ حتى يُتَّبع، ولا بد من معرفة للباطل حتى يُجتنب.

---

(١) أسماء الله الحسنى: (٥٠).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٩).

فباب الأسماء والصفات من أكثر الأبواب خطورة ومَزلة؛ من جهة كونه محل خلافات شديدة ومعقدة دارت رحاها بين علماء السلف من جهة والفلاسفة وأهل الكلام والمُشبهة من جهة أخرى.

فمن واجب طالب العلم: أن يَتعمق في فهم الحق المَبني على الكتاب والسنة؛ قال-تعالى-: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: الآية: ٥٩]، فالرد إلى الله يكون بالرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد وفاته يكون بالرد إلى سنته ﷺ، وقد قال-تعالى-: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠]، فالله أعلم بنفسه، وهو الذي أخبر بأسمائه وصفاته في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وكذلك فإن النبي ﷺ أعلم الناس بربِّه وأصدقهم خبرًا، وقد قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: الآيات: ٣-٤].

فمن الواجب على المسلم: أن يدرس هذا الباب وأن يتعمق في فهمه وفق ما ورد في الكتاب والسنة، وأن يحذر من التيارات الفلسفية التي أضَرَّت أصحابها، وأدخلتهم في دوامة الانحراف والضياع، فحالت بين قلوبهم وبين معرفة ربهم، فأصبحت قلوبهم مظلمة جاهلة بحقائق الإيمان، فترتب على ذلك إعراضهم عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فانصرفت قُوى حُبِّهم وشوقهم وأنسهم إلى سواه.

ومعلوم: أنه لا يستقر للعبد قَدَمٌ في المعرفة-بل ولا في الإيمان-حتى يؤمن بأسماء وصفات الربِّ جل جلاله، ويَعرفها معرفة تُخرجه عن حدِّ الجهل بربه، فالإيمان بالأسماء والصفات وتَعَرُّفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان؛ فمَن جَحدها فقد هدم أساس الإسلام والإيمان،

وثمرة شجرة الإحسان، فضلًا عن أن يكون من أهل العرفان.

فينبغي للمؤمن أن يَبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وأن تكون معرفته سالمة من داء التعطيل وداء التمثيل اللذين ابتُلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، فالمعرفة الصحيحة هي المُتلقاة من الكتاب والسنة، وما رُوي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة أحواله.

المبحث الثاني

التعريف بأهل السنة والجماعة، وبيان وسطيتهم.

❑ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: بيان وسطيتهم.

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة.

«المقصود بأهل السنة والجماعة: هم الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، ومن سلك سبيلهم، وسار على نهجهم، من أئمة الهدى، ومن اقتدى بهم من سائر الأمة أجمعين».

فيخرج بهذا المعنى كل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء.

فالسنة هنا في مقابل البدعة، والجماعة هنا في مقابل الفرقة[١].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: الآية: ١٥٦]، قال: «تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[٢].

والجدير بالذكر هنا أن نعرف أن العلماء يستعملون هذه العبارة لمعنيين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «فلفظ أهل السنة يراد به: »

من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة[٣].

وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت

(١) وسطية أهل السنة دون الفرق ص: ٩٢- ٩٤، وكتاب لزوم الجماعة ص: ٢٧٦- ٢٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٩٠.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا ريب أنهم (أي الرافضة) أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسنة، ولهذا كانوا هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة، فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم أنا سني فإنما معناه لست رافضي». مجموع الفتاوى ٣/ ٣٥٦ .

الصفات لله تعالى ويقول: «إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»(١).

ومقصودنا بعبارة (أهل السنة) هو المعنى الثاني الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، ذلك لأن لأهل السنة أصولهم التي اتفقوا عليها ونصوا عليها في كتب الاعتقاد المعروفة.

ولأهل السنة عدة مسميات منها: أهل الحديث، الفرقة الناجية، الجماعة، الطائفة المنصورة وغير ذلك.

ويمكن حصر قواعد منهج أهل السنة في النقاط التالية:

أولا: ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها.

ثانيا: التقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث. وذلك يتم بـ:

أ- الاجتهاد في تمييز صحيحه من سقيمه.

ب- الاجتهاد في الوقوف على معانيه وتفهمه(٢).

ثالثا: العمل بذلك والاستقامة عليه اعتقادا، وتفكيرا، وسلوكا، وقولا والبعد عن كل ما يخالفه ويناقضه.

رابعا: الدعوة إلى ذلك باللسان والبنان.

فمن التزم هذه القواعد في الاعتقاد، والعمل، فهو على نهج أهل السنة

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٢٢١ ط: جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٢) بيان فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (ص: ١٥٠-١٥٢)، وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ٩-١٠.

بإذن الله[١].

وأهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع والعقل تبع، فالعقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام، وإنما المرجع في ذلك إلى القرآن والسنة.

ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء ولبطل الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء[٢].

والتقرير بأن النقل مقدم على العقل لا ينبغي أن يفهم منه أن أهل السنة ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف والتفكير به في خلق السموات والأرض وفي الآيات الكونية الكثيرة، فأهل السنة لا ينكرون استعمال العقل ولكنهم توسطوا في شأن العقل بين طائفتين ضلتا في هذا الباب هما: أهل الكلام: الذين يجعلون العقل وحده أصل علمهم ويفردونه ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن، فجعلوا عقولهم هي التي تثبت وتنفي والسمع معروضا عليها، فإن وافقها قبل اعتضادا لا اعتمادا، وإن عارضها رد وطرح، وهذا من أعظم أسباب الضلال التي دخلت على الأمة.

وأهل التصوف: الذين يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة، لا تحصل إلا مع عدمه ويقرون من الأمور بما يكذب صريح العقل.

ويمدحون الشكر والجنون والوله، وأمورا من المعارف والأحوال التي لا

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص: ٥٤.

(٢) انظر الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٢١.

تكون إلا بزوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها وكلا الطرفين مذموم.

وأما أهل السنة فيرون أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال وبها يكمل العلم والعمل، ولكنه ليس مستقلا بذلك. فالعقل غريزة في النفس وقوة فيها، بمنزلة البصر التي في العين.

فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس أو النار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها.

وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورا حيوانية. فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة والرسل جاءت بما يعجز العقل عن إدراكه ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه(١).

المطلب الثاني: بيان وسطيتهم.

وقد توسط أهل السنة في كثير من مسائل الاعتقاد، منها ما يلي:

في أسماء الله وصفاته: فإن مذهب السلف هو إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، فتوسطوا بذلك بين المعطلة الذين نفوها فأبطلوا ما أثبته الله ورسوله، والمشبهة الذين خرجوا بها إلى ضرب من التشبيه والتكييف.

في أفعال الله «القدر»: فإن مذهب السلف هو أنهم أثبتوا له فعلا ومشيئة

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣٨- ٣٣٩ بتصرف.

وأثبتوا للعبد فعلا ومشيئة داخلة تحت مشيئة الله وقدرته، فتوسطوا بذلك بين الجبرية الذين أنكروا قدرة العبد ومشيئته، والقدرية الذين أنكروا قدرة الله في أفعال العباد.

في الإيمان: فإن مذهب السلف هو أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص، فتوسطوا بذلك بين المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان والخوارج والمعتزلة الذين أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه.

في وعيد الله «أي مرتكب الكبيرة»: فإن مذهب السلف هو أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، وهو مستحق للوعيد، ولكنه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم يخرجه من النار، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة.

فهم بذلك توسطوا بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وبين الوعيدية (الخوارج والمعتزلة).

فالخوارج يقولون: هو كافر في الدنيا، والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، ويتفقون على أنه في الآخرة خالد مخلد في النار.

في أصحاب رسول الله ﷺ: فإن مذهب السلف هو الاعتراف بفضل الصحابة جميعًا -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وأنهم أكمل هذه الأمة إيمانا وإسلاما وعلما وحكمة، وأنهم عدول بتعديل الله لهم، ولكنهم لم يغلوا فيهم ولم يعتقدوا عصمتهم، بل قاموا بحقوقهم وأحبوهم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم في نصرة الإسلام وجهادهم مع رسول الله ﷺ، فهم بذلك توسطوا بين الرافضة والخوارج.

فالرافضة-قبحهم الله-يسبون الصحابة ويلعنونهم وربما كفروهم أو كفروا بعضهم، والغالية منهم مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء يغلون في علي رضي الله عنه، أولاده ويعتقدون فيهم الإلهية[١].

والخوارج قابلوا هؤلاء الروافض فكفروا عليًا ومعاوية ومن معهما من الصحابة وقاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.

والمقصود أن أهل السنة هم أعرف الناس بالحق، ولذلك فإن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا ينفردون عن طائفة أهل السنة إلا بقول فاسد، ولا ينفردون بقول صحيح، وكل من كان عن السنة أبعد، كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر.

فالسعيد من لزم السنة، والله الموفق وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

---

(١) انظر تفصيل هذه المسألة في كتاب «وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق» للدكتور/ محمد با كريم.

المبحث الثالث

تعريف التوحيد عند أهل السنة.

❑ وفيه مطلبان

المطلب الأول: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد عند أهل السنة.

المطلب الثاني: التعريف الشرعي للتوحيد عند أهل السنة.

المطلب الأول: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد عند أهل السنة.

أصلها: أصل هذه الكلمة من «وحد».

❑ قال ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ): «(وحد) الواو، والحاء، والدال: أصل واحد يدل على الانفراد»[١].

تصريفها: التوحيد: مصدر خماسي مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه(وحد)، فالحاء هنا مشددة، فهو ثلاثي لكنه من حيث عد الأحرف أربعة أحرف، فيقال: وحد يوحد توحيدًا، والتوحيد مصدر تفعيل، فعل يفعل تفعيلا، مثل علم يعلم تعليما، خرج يخرج تخريجا، إذا التفعيل يكون مصدرا للفعل الماضي الثلاثي المضعف العين[٢].

فهي على وزن تفعيل، ويعني: الحكم والعلم بأن الشيء واحد.

❑ قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ(ت: ٧١١ هـ): «التوحيد: مصدر من: وحد يوحد توحيدًا؛ إذا أفرده وجعله واحدًا»[٣].

❑ وقال أبو القاسم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ(ت: ٥٣٥ هـ): «التوحيد على وزن التفعيل، وهو مصدر وحَّدته توحيدًا...، ومعنى وحدته: جعلته منفردا عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته...، فالله تعالى واحد، أَي: منفرد عن الأنداد والأشكال فيجميع الأحوال»[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٩٠).
(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي (٢/ ٨).
(٣) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٤٨).
(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٣٢).

اشتقاقها: التوحيد مشتق من وحد الشيء أي: جعل الشيء واحداً.

معناها: مادة «وحد» في اللغة مدارها على انفراد الشيء، فإذا قلت: توحيد الله: فالمعنى إفراد الله.

المقصود من التفعيل: النسبة كالتصديق لا للجعل، فمعنى وحدت الله: نسبته إلى الوحدانية لا جعلته واحدًا[(١)].

لأن وحدانيته: صفته، وليست بجعل جاعل، أما التوحيد فهو فعل المكلف، ولذلك جاء في القاموس: «التوحيد: إيمان بالله وحده»[(٢)].

وقال الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ): «التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد»[(٣)].

المطلب الثاني: التعريف الشرعي للتوحيد عند أهل السنة.

فهو: إفراد الله -تعالى- بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات»[(٤)].

- قال الخليل بن أحمد الفراهيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠ هـ): «التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية»[(٥)].
- وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧١١ هـ): «التوحيد: الإيمان بالله وحده لا

(١) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٥٦-٥٧).
(٢) القاموس المحيط (ص: ٤١٤) مادة: (وحد).
(٣) التعريفات للجرجاني (ص: ٦٩).
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين ١/ ١١.
(٥) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ٢٨١).

شريك له. والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد»[١].

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ) عن توحيد الرسل إنه «يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات»[٢].

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «التوحيد الذي بعث الله به رسله هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وذلك يتضمن **التوحيد بالقول والاعتقاد** و**بالإرادة والقصد**»[٣].

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول:

التوحيد في العلم والقول وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه ولا كفؤ.

و**التوحيد في الإرادة والعمل** وهو عبادته وحده لا شريك له»[٤].

- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «توحيد الرسل: إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له ندًا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر،

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٥٠).
(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٢٢٤، وانظر: الصفدية لابن تيمية ٢/ ٢٢٨.
(٣) بيان تلبيس الجهمية ٤/ ١٢٣.
(٤) بيان تلبيس الجهمية ٣/ ١٤٠-١٤١.

بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته»[١].

❑ وقال محمد بن أحمد السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨٨هـ): التوحيد: «إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا»[٢]. والمعبود هو الله وحده.

❑ وقال محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢١ هـ): «التوحيد: إفراد الله -سبحانه- بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات»[٣].

❑ وقال صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد: إفراد الله بما تفرد به، وبما أمر أن يفرد به؛ فنفرده في ملكه وأفعاله فلا رب سواه ولا شريك له، ونفرده في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ونفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له»[٤].

❑ الأدلة من القرآن والسنة على التوحيد:

• أولاً: الأدلة من القرآن:

القرآن كله دعوة للتوحيد ويوضح ذلك قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٥١هـ): «كل سورة في القرآن هي متضمنة للتوحيد، بل نقول قولاً كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

---

(١) الروح لابن قيم الجوزية ص ٣٨٦، وانظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ٣/ ٩٣٣، مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ٣/ ٤٥٩.

(٢) لوامع الأنوار (١ / ٥٧).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين (١/ ١١).

(٤) الدين الخالص لصديق حسن خان (١/ ٥٦)؛ وانظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية للسلمان (ص٤١).

فإن القرآن:

١- إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

٢- وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

٣- وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

٤- وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

٥- وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم توحيده.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[(١)].

والآيات الدالة على التوحيد في القرآن كثيرة ومنها:

- **ما جاء في إثبات الألوهية:**

قال-تعالى-: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: الآية: ١٣٣]

وقال-تعالى-: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: الآية: ٧٣]

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٤٩-٤٥٠.

وقال-تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١﴾ [النحل: الآية: ٥١].

❑ قال محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠ هـ): «إلها واحدا أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئا، ولا نتخذ دونه ربا»[١].

❑ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت هـ): «قال-تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١﴾ [النحل: الآية: ٥١]، هذا نهي عن الشرك، وإثبات للتوحيد يتضمن الأمر به»[٢].

- **ومنها ما جاء في إثبات الأسماء والصفات لله -تعالى-:**

قال -تعالى-: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: الآية: ١٦٣]

وقوله-تعالى-: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٤].

- **ومنها ما جاء في إثبات الربوبية:**

قال-تعالى-: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد: الآية: ١٦].

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١/ ٥٦٢.

(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية للطوفي ص: ٣٨٠.

وقال-تعالى-: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ [الصافات: الآيات: ٤-٥].

● **ثانيًا: الأدلة من السنة:**

❑ قوله ﷺ لمعاذ (ت: ١٨ هـ)، لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله-تعالى-»(١).

ولفظ مصنف عبد الرزاق: «إنك ستأتي على ناس من أهل الكتاب فادعهم إلى التوحيد»(٢).

❑ عن ابن عمر رضي الله عنهما (ت: ٧٣ هـ) عن النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمسة على أن يوحدوا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج»(٣).

وعنه ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»(٤).

وفي رواية: «من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله..»(٥).

عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/ ٣٧٨، ح ٧٣٧٢.

(٢) مصنف عبد الرزاق، باب دعاء العدو ٥/ ٢١٥ (ح ٩٤٢٠).

(٣) رواه مسلم (١/ ٣٤) (ح ١٢٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ١/ ٢٤، ح ٢٥، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. ١/ ٥٣، ح ٣٧.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. ١/ ٥٣، ح ٣٨.

الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت رجلًا بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ، مستخفيًا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي». فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله». فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله ولا يشرك به شيء». الحديث...[(١)].

- **ثالثًا: من أقوال السلف.**

❏ قول جابر رضي الله عنه (ت: ٧٨ هـ): عند قول رسول الله ﷺ في حديث صفة حج النبي ﷺ، حيث قال: «فأهل بالتوحيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»[(٢)].

❏ قول ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨هـ) في معنى قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: الآية: ٢١] قال «وحدوا»[(٣)].

وقال رضي الله عنه: «كل عبادة في القرآن فهو التوحيد»[(٤)]. وفسر رضي الله عنه قوله-تعالى-: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: الآية: ٣٩] بقوله: «يخلص له التوحيد»[(٥)]. فالدين عنده هو التوحيد.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٢٠٨) (ح: ١٩٦٧).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ٢/ ٨٨٦-٨٨٧، ح ١٢١٨.
(٣) الدر المنثور للسيوطي ١/ ٨٥، وانظر: حقيقة التوحيد للدكتور العلياني ص: ٥٥.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/ ١٩٣، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٤، ٤/ ٧٥، البحر الرايق لابن نجيم ١/ ٢٩١.
(٥) زاد المسير ١/ ٢٠٠، وانظر: جامع البيان٩/ ٢٤٩.

❐ قول عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٤هـ) في قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [المائدة: ٥] قال: «الإيمان التوحيد»[١].

(١) جامع البيان للطبري ٦/١٠٩.

المبحث الرابع

أقسام التوحيد عند أهل السنة.

❑ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: هل تقسيم التوحيد استقرائي أم اصطلاحي.

المطلب الثاني: تقسيمات التوحيد عند أهل السنة.

المطلب الثالث: العلاقة بين أقسام التوحيد.

المطلب الأول: هل تقسيم التوحيد استقرائي أم اصطلاحي.

- **أولاً: تعريف التقسيم لغة.**

أصل الكلمة مأخوذ من قولهم: قَسَمَ الشيء يقسمه قسماً فانقسم، ومعناه إفراز النصيب.

والتقسيم هو مصدر قَسَّمه تَقْسِيما وهي القِسْمة، أي جزاه وفرقه تفريقاً، يقال قســـم فلان المال أي فرقه قسما ههنا وقسما ههنا.

والقسم النصيب والحظ، والجمع أقسام وهو القسيم وحقيقته: أنه جزء يقبل التقسيم، يقال: هذا ينقسم قسمين بالكسر إذا أريد به الجزء من الشيء المقسوم، والقسيم هو شطر الشيء.

فالتقسيم معناه في اللغة: من المقسوم فهو قسم له هو عملية الفرز والتفريق بين الأجزاء لشيء معين، وكل جزء من المقسوم فهو قسم له[(١)].

وأما اصطلاحا: «فالتقسيم: هو أن يتتبع المستقري جزئيات فيتوصل إلى أنها لا تدخل تحت نوع واحد، ولكنها أقسام تحت أمر كلي، بشرط أن يستقصي الأنواع حتى يعلم أنه لم يبق قسم في الخارج غير ما ذكر»[(٢)].

وأما الاستقراء فهو أحد أنواع الاستدلال، وللاستدلال أنواع كثيرة عند الأصوليين منها:

الاستقراء: وهو: استدلال على الكلي بالجزئي.

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠١٠، والمفردات للأصفهاني ص، وتاج العروس للزبيدي ٩/ ٢٥، ولسان العرب ١١/ ١٦٢-١٦٤.

(٢) أدب البحث والمناظرة (٢/ ١٠-١١).

القياس: وهو: استدلال على الجزئي بالكلي.

والتمثيل: وهو: استدلال على الجزئي بالجزئي.

التمثيل أو قياس: وهو: استدلال على الكلي بالكلي.

الاستقراء لغة: «مأخوذ من الفعل الثلاثي «قرأ»، الذي من معانيه الجمع والضم.

قال ابن منظور: «قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض»[١].

واصطلاحًا: قال الغزالي: الاستقراء «أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كل، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات، حكم على ذلك الكلي به»[٢].

من الجوانب التي يظهر فيها الاستقراء علم العقيدة، والقواعد الكلية المتعلقة به، ذلك أن كل علم توجد فيه قواعد كلية تحكم جزئياته، وحيث تكون القواعد الكلية يكون الاستقراء موجوداً، ولذا كانت قواعد علم العقيدة منها ما بني على الاستقراء؛ إلا أن الاستقراء هنا مقصور-في الغالب-على استقراء النصوص الشرعية: دلالاتها ومعانيهاواستعمالاتها»[٣].

وتقسيمات التوحيد استقرائية وليست اصطلاحية، وذلك باعتبار أنها ترجع

---

(١) لسان العرب (١/ ١٢٨).

(٢) معيار العلم ص: ١٤٨.

(٣) المصدر: بحث بعنوان «الاستقراء ومجالاته في العلوم الشرعية» للباحث محمد أيمن الزهر، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية-المجلد ٢٩-العدد الأول-٢٠١٣م. (ص: ٤٧٧)

إلى النصوص فهي مصدرها، فتقسيم العلماء للتوحيد ناتج من استقراء الآيات والأحاديث الواردة في التوحيد؛ لأن المصدر في تلقي العقيدة هو القرآن والسنة، وبهذا يعلم أنها من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وليست أمرًا اصطلاحيًا أنشأه بعض العلماء.

فالفرق بين النوعين:

أن التقسيم الشرعي هو التقسيم الذي تنبني الأحكام عليه بمجرد التقسيم، وهذا النوع من التقسيم يحتاج إلى دليل؛ لأن الحكم لا يكون إلا بدليل.

ومثاله: تقسيم الكفر إلى نوعين أكبر وأصغر، فالأول مخرج من الملة دون الثاني.

والاستقراء نوع من أنواع الأدلة اليقينية في منهج البحث والتحري.

وأما التقسيم الاصطلاحي: فهو تقسيم المتشابهات إلى أقسام بوصفٍ جامع بينها دون بناء الأحكام عليها بمجرد التقسيم، فهذا لا يحتاج إلى دليل؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح.

فالاصطلاح فمعناه كما عرفه الجرجاني بعدة تعريفات بقوله:

«الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما.

وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد.

وقيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين»[١].

وقال الزبيدي: «والاصطلاح: اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص؛ قاله الخفاجي»[٢].

وهذه المناسبة لا تكون دائما في المصطلحات لذا يقال «لا مشاحة في الاصطلاح» إذا كانت لا توجد مناسبة بين الكلمة والمصطلح، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والاصطلاحات لا مشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة »[٣].

وبهذه التعريفات التي أوردها الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ) والزبيدي وغيرهما يتبين أن مقولة إن تقسيمات التوحيد اصطلاحية لا تنطبق على تقسيمات التوحيد فهي استقرائية كما صرح بذلك بعض أهل العلم.

❒ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٩٣ هـ): «وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته.

الثاني: توحيده جل وعلا في عبوديته.

النوع الثالث: توحيده-جل وعلا-في أسمائه وصفاته»[٤].

❒ وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ): «اعلم أن التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام، وأن هذه القسمة استقرائية؛ والاستقراء: هو تتبع النصوص؛ كما أن النحو علم بالاستقراء بتتبع لغة العرب؛ إما اسم، أو

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٨).
(٢) (تاج العروس ٦/ ٥٥١).
(٣) (مدارج السالكين ٣ / ٣٠٦).
(٤) أضواء البيان (٣/ ٤١٠-٤١١) وانظر: المعين والزاد ص: ٦٤-٦٥.

فعل، أو حرف، فكذلك علمنا أقسام التوحيد من تتبع القرآن؛ فالله- تعالى-قسم التوحيد ثلاثة أقسام في سورة الفاتحة؛ فقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: الآية: ٢]، والله هو المعبود بحق، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية: ٢]، والرب هو الذي يربي الأشياء، وهذا توحيد الربوبية. ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: الآيات: ٣-٤]، وهذا توحيد الأسماء والصفات. وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]، دل على توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية أن تكون جميع أعمالك خالصة لله؛ من صلاة وصيام وزكاة ونذر وخوف ورجاء وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله»[١].

- قال عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٠ هـ): «هذا التقسيم مأخوذ من الاستقراء والتأمل، لأن العلماء لما استقرأوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء»[٢].

- قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢١ هـ): «وعلموا [أي العلماء الذين قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام] ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والحديث، فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوهوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع»[٣].

---

(١) كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ١/ ٩٥.
(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/ ٢١٥).
(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ١٧-١٨).

❑ وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٢٩ هـ): «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٠ هـ)، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين -رحم الله الجميع-، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»(١).

❑ وقال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: «وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة»(٢).

وهناك من يقول إن تقسيمات التوحيد اصطلاحية كما ذكر ذلك كل من:

الدكتور صلاح الصاوي حيث قال: «التقسيم المعهود للتوحيد، إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فإن هذا التقسيم اصطلاحي، والهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم؛ كعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وعلم النحو والصرف، وعلم البلاغة ونحوه...» إلى أن قال: «وعلى هذا لا مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات، بل إن هذا التقسيم ابتداء على هذا النحو لم يرد به-

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص ٣٠).
(٢) مقدمة تحقيق كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني ص: ١٠.

فيما نعلم-آية محكمة أو سنة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني»[(١)].

❐ وقال الشيخ محمد إسماعيل المقدم: «وهذا التقسيم ما جاء به النبي ﷺ، ولم يستعمل هذه الاصطلاحات: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات» إلى أن قال: «والنبي ﷺ قد أتى بمضمون هذه الأقسام الثلاثة، ولا مشاحة في الاصطلاح، فلا نختلف في الاصطلاح، لكن المهم ما وراء هذا الاصطلاح»[(٢)].

❐ قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤٢ هـ): «وتقسيم معاني توحيده إلى اثنين علمي خبري، وقصدي طلبي؛ أو ثلاثة ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، إنما هو عمل تعليمي إرشادي اصطلاحي لم يأت هذا التقسيم بهذه القسمة الثنائية أو الثلاثية في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة والتابعين، وإنما هذا التقسيم مستفاد من معاني أسمائه وصفاته وتوحيده سبحانه وتعالى»[(٣)].

❐ وقال الدكتور ناصر العقل: «فتقسيم التوحيد تقسيم اصطلاحي علمي فني، وهو نتيجة لاستقراء نصوص التوحيد»[(٤)].

❐ قال الدكتور عبد الرحيم السلمي: «وهذا التقسيم وإن لم يرد في الكتاب والسنة بألفاظه إلا أن معناه صحيح وحق لا شك فيه.

---

(١) كتاب الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر (ص: ١٥١).
(٢) (دروس الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم ٦٠/ ١٣).
(٣) انظر: (كتاب أقسام التوحيد الاصطلاح والمضمون) وانظر مقال بعنوان: (أقسام التوحيد) منشور بموقع طريق الإسلام.
(٤) (كتاب شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٩).

لأن الاصطلاح هو استخدام ألفاظ معينة، وترتيب أقسام معينة المعاني معينة، فإن كانت هذه المعاني صحيحة فالتقسيم والاصطلاح صحيح، وإن كانت المعاني باطلة فالتقسيم والاصطلاح باطل. فالاصطلاحات ليست كلها حقا، وليست كلها باطة، بل هي بحسب المعاني الداخلة ضمن دلالة اللفظ الاصطلاحي.

ولهذا لم يختلف أهل العلم في أن مصطلحات النحو والصرف وأصول الفقه -في الجملة-ونحوها صحيحة لصحة المعاني الدالة عليها، ولم يعترض أحد من العلماء على هذه الاصطلاحات بأنها لم ترد في الكتاب والسنة.

وهذا المعنى مجمع عليه، لا أعلم فيه خلافا عند من عرف العلم، بينما اعترض علماء أهل السنة على مصطلحات أهل الكلام وتقسيماتهم إما لدلالتها على معنى باطل أو لإجمالها وغموضها وذلك الاحتمال دخول المعنى الباطل في هذا الإجمال»[(١)].

ولكنه ذكر بعد ذلك أن هذا التقسيم استقرائي فقال: «يتلخص مما تقدم أن تقسيم التوحيد موجود في القرآن والسنة، وقد دل التبغ والاستقراء على أن التوحيد له ثلاثة أقسام باعتبار وقسمين باعتبار آخر.

وهذا الاستقراء الاستقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى (اسم، وفعل، وحرف) والعرب لم ته بهذا ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء[(٢)].

وهذا يشير إلى عدم تفريقه بين الاستقراء والاصطلاح.

---

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص: ٨٩.

(٢) وعزا هذا النقل إلى التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص ٣٠ حاشية).

المطلب الثاني: تقسيمات التوحيد عند أهل السنة.

تنوعت عبارات علماء أهل السنة في التعبير عن أنواع التوحيد، ولكنها مع ذلك التنوع متفقة في المضمون، ولعل السبب في ذلك هو أن تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص ولم يُنص عليها باللفظ مباشرة.

❐ تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

فمن العلماء من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، هي: [(١)]

١- توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله كالخلق والرزق.

٢- توحيد الأسماء والصفات: وقد تقدم ذكر تعريفه.

٣- توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال العباد التعبدية؟ كالصلاة والصوم والدعاء.

❐ قال الإمام **أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧ هـ): «وذلك أن أصل الإيمان الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدهما: أن يعتقد العبد ربانيته[(٢)]؛ ليكون مباينا بذلك لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

---

(١) انظر: طريق الهجرتين ص: ٣,، وشرح الطحاوية ص: ٧٦، ولوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٢٨، وتيسير العزيز الحميد ص: ١٧-١٩.

(٢) أي: إثبات وجود الرب تبارك وتعالى.

الثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه؛ إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقربه ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته؛ فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده»[١].

❑ قال **أبو جعفر الطحاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢١ هـ): «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولاشيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره»[٢].

❑ وقال الإمام الحافظ **أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٥ هـ)، حيث فصل وبوب في كتابه القيم: (كتاب التوحيد) في الأقسام الثلاثة للتوحيد فمن تبويباته:

١- ذكر ما وصف الله عَزَّوَجَلَّ به نفسه ودل على وحدانيته عَزَّوَجَلَّ وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

٢- ذكر معرفة بدأ الخلق.

٣- ذكر معرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ الحسنة التي تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر-وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله:

«قسم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام حيث جعل أسماء الله الحسنى قسما مستقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي:

---

(١) الإبانة الكبرى [الرد على الجهمية] (٢/ ١٧٢-١٧٣).

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ص:

١- الوحدانية في الربوبية.

٢- توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

٣- توحيد أسماء الله الحسنى.

٤- الصفات»[١].[٢].

❑ قال الإمام **أبي عمرو عثمان الداني (ت: ٤٤٤ هـ)**: «والإيمان بالله -تعالى- : يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته، ...والتوحيد له: هو الإقرار بأنه ثابتٌ موجود، وواحدٌ معبود»[٣].

❑ قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «والكلام في التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له»[٤].

❑ قال **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-.

---

(١) التوحيد ابن مندة (١/ ٣٣) تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

(٢) انظر في ذلك: «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد»، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان.

(٣) الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني ص: ١٢٠.

(٤) شرح العقيدة الأصبهانية ص: ١٠٧. تحقيق: محمد بن عودة السعوي، ط: مكتبة دار المنهاج. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.

التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية، فهذه ثلاثة أنواع.

فأما توحيد العلم: فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص، وقد دل على هذا شيئان: مجمل، ومفصل.

أما المجمل: فإثبات الحمد له سبحانه، وأما المفصل: فذكر صفة الإلهية والربوبية، والرحمة والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات»[١].

❑ قال **ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ)**: «فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له»[٢].

❑ قال **سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ)**: «وسمي دين الإسلام توحيدا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء، والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٧-٣٨.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٧٨.

منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب»[(١)].

- وقال **الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠٧هـ): «واعلم أنه يجب على كل مسلم أن يوحد الله في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته فهذه أنواع التوحيد الثلاثة من أخل بها أو بشيء منها فهو كافر.

أما توحيد الربوبية: فهو أن يوحد الله تعالى بأفعاله بأن تعتقد أنه الموجد الممد فهو الذي يخلق وهو الذي يرزق وهو الذي يحيي ويميت ويعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويذل ويتصرف في الخلق ويحفظ على كل مخلوق وجوده.

وأما توحيد العبادة ويسمى أيضا توحيد الإلهية: فهو أن توحد الله بأفعالك فلا تتوجه بقلبك ولسانك إلى غيره بدعائك واستغاثتك واستعادتك واستمدادك واستشفائك واستعانتك وغير ذلك من حاجاتك التي لا يقدر عليها إلا الله.

وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو ألا تسمي الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله ﷺ في حديثه، وكل اسم سميت الله به لا تسم به أحدا من خلقه، وكل صفة وصفت الله بها لا تصف بها أحدا من خلقه»[(٢)].

- وقال الشيخ **أحمد بن حجر آل أبو طامي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٣٢هـ): «ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات»[(٣)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص:١٧.

(٢) كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية ١/ ٥٢-٥٣.

(٣) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ١/ ٢٤.

❐ وقال الشيخ **حماد بن محمد الأنصاري** (ت: ١٤١٨هـ): «التوحيد قد بينه الله في أول سورة الفاتحة،

فبدأ بتوحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وهلم جرا.

وذكر توحيد الأسماء والصفات، وقد تقدم التفصيل فيه.

وذكر توحيد الألوهية، وأنه توحيد الله بأفعال العباد كالصلاة والزكاة وهلم جرا»[(١)].

❐ وقال الشيخ **حماد بن محمد الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١٨هـ): «وأما كونها -أي سورة الفاتحة- اشتملت على التوحيد: فإنك حينما تقرأ هذه السورة أول ما يواجهك فيها التوحيد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: الآية:١]، هذا توحيد الربوبية الذي يسميه علماء التوحيد الصحيح: بتوحيد السيادة، وبتوحيد الخلق، وبتوحيد الملك، وبتوحيد الإحياء والإماتة، وهلم جرا.

وهذا النوع من التوحيد هو: توحيد الله بأفعاله، فنوحده بأنه: الخالق، السيد، المالك، المحيي المميت، النافع الضار، وغير ذلك من أسمائه التسعة والتسعين اسمًا، نوحده بتلك الأسماء.

وأما النوع الثاني: وهو توحيد الأسماء والصفات: الذي ثنى الله -عَزَّوَجَلَّ- به في هذه السورة في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ . . .ذكر الله -عَزَّوَجَلَّ- هنا ثلاثة أسماء من أسمائه التسعة والتسعين اسمًا التي من أحصاها دخل الجنة، والتي سردها الترمذي في جامعه.

(١) تفسير سورة الفاتحة بيان ما تضمنته من أنواع التوحيد ص ٥٨-٥٩.

ذكر منها ثلاثة أسماء: الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين.

ذكرها مثالًا لتوحيد الأسماء والصفات. . . .

وتوحيد الألوهية وهو النوع الثالث من أنواع التوحيد الذي نص الله-عز وجل- في هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]: هو الغاية والمقصد الأعظم.. وهو معنى: لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله»[١].

❑ تقسيم التوحيد إلى أربعة أقسام

ومن المتأخرين من زاد قسمًا رابعًا على الأقسام الثلاثة السابقة وسماه:

٤-توحيد الاتباع أو توحيد الحاكمية (أي التحاكم إلى الكتاب والسنة)، ولكن يلاحظ على من ذكر هذا القسم أن هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية، لأن العبادة لا تقبل شرعًا إلا بشرطين هما:

١- الإخلاص.

٢- الاتباع.

كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: الآية: ١١٠].

❑ قال الشيخ **محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت: ١٣٨٩هـ)**: «الهام هو النظر في الأصول العظام التي الإخلال بها هادم للدين من أساس، وذلك مسائل:

أ- توحيد الله تعالى بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات: إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل .

ب- وكذلك توحيد الألوهية،

---

(١) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد ص: ٢٥-٣٩.

ت- وتوحيد الربوبية.

ث- وكذا توحيد الاتباع، والحكم بين الناس عند النزاع: بأن لا يحاكم إلا إلى الكتاب والسنة، ولا يحكم إلا بهما»[١].

❐ وقد ألف الشيخ **تقي الدين الهلالي** رحمه الله (ت: ١٤٠٧هـ): مؤلفاً على هذا التقسيم وهو (سبيل الرشاد)، وقال عنه: «خطر ببالي منذ مدة أن أؤلف كتاباً لنفسي ولمن شاء الله بعدي، أشرح فيه أنواع التوحيد الأربعة، التي أولها توحيد الربوبية، وثانيها توحيد العبادة، وثالثها توحيد الاتباع، [٢] ورابعها توحيد الأسماء والصفات».

علَّق الشيخ على كلامه السابق مبيناً سبب تقسيمه التوحيد إلى أربعة أقسام

---

(١) كتاب فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٤/ ١٥٦.

(٢) علق الباحث عبد الرحمن بن محمد عميسان في رسالته (جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين) (ص: ١٠٠) فقال: «بيَّن الشيخ رحمه الله قصده في تقسيمه التوحيد إلى أربعة، وجعله القسم الرابع: توحيد الاتباع، وهو في الحقيقة داخلٌ في توحيد الألوهية؛ وذلك لكون توحيد الألوهية هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومعنى لا إله إلا الله لا معبود بحقٍ إلا الله، ومعنى محمد رسول الله أي لا متبوع بحق إلا رسول الله، وهذا معنى الاتباع، وقول الشيخ رحمه الله إن سبب هذا التقسيم هو كثرة خلاف المقلدين، أقول: لو فتح هذا الباب لما أغلق؛ لكون الخلاف وجد في أشياء كثيرة فهذا سيقول توحيد المشيئة؛ راداً على القدرية، وهذا سيقول توحيد التوكل؛ ليرد على الصوفية، ويأتي آخر بتوحيد الحاكمية ليكفروا بذلك المسلمين، مع أن الشيخ الهلالي قد نص أن جعل الحكم لله داخلٌ في توحيد الألوهية فقال: "اعلم أن دين الرسل واحد في أصوله وهي أربعة: -الأول: - توحيد الله في ربوبيته وعبادته-أي: الألوهية- وأسمائه وصفاته، ومن توحيده في عبادته جعل الحكم له-ثم ساق الثاني والثالث والرابع فيما تتفق عليه الرُسل-" [سبيل الرشاد(٤/ ٦٠)].

فقال: «أنواع التوحيد في الحقيقة ثلاثة لأن الثالث الاتباع داخل في الثاني، ولكنني جعلته قسماً لكثرة خلاف المقلدين لما جاء عن الرسول ﷺ»(١).

وقال أيضاً في بيان الواجب على المسلمين تجاه أقسام التوحيد قائلاً: «فاتباع توحيد الله تعالى بأنواعه الأربعة فرض على كل مسلم، والإعراض عن المشركين بمخالفتهم والبراءة منهم واجب حتم»(٢).

وعرَّف الشيخ بالإجمال والاختصار هذه الأنواع الأربعة بقوله: «فتوحيد الربوبية: أن تعلم وتعتقد بأن الذي أوجدك من العدم، وأفاض عليك النعم، وحفظ عليك وجودك، وأمدك بكل ما تحتاج إليه، وبيده حياتك، وموتك، وضرك، ونفعك، وفلاحك، وإخفاقك، هو الله رب العالمين لا شريك له لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الصالحين.

وتوحيد الألوهية: ويسمى أيضاً توحيد العبادة، وهو القسم الثاني: ألا تدعو لجلب خير، أو دفع شر إلا الله، ولا تستغيث في الشدائد إلا بالله، ولا تذبح بقصد التعظيم إلا لله...ثم قال: النوع الثالث: من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات، وهو أن تصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ... النوع الرابع: توحيد الاتباع...»(٣).

❐ وقال الشيخ **حماد بن محمد الأنصاري (ت: ١٤١٨هـ)**: «وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]، دل على توحيدين:

---

(١) سبيل الرشاد ١/ ١٩. (١/ ٦٧)
(٢) سبيل الرشاد ١/ ١٩١.
(٣) السراج المنير ص: ٩١-٩٢.

التوحيد الأول: توحيد الألوهية.

التوحيد الثاني: توحيد المتابعة.

ومعنى توحيد الألوهية: توحيد العبادة لله ﷻ بجميع أنواعها....

ومعنى توحيد المتابعة: إفراد هذا النبي الكريم-عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-بالمتابعة دون غيره من المخلوقات...

وكثير من المؤلفين والمصنفين، وكثير من طلبة العلم يقتصرون على أنواع التوحيد الثلاثة (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)، وليس معنى ذلك أنه لم يكن هناك توحيد رابع، كما ظن بعض الناس، بل التوحيد أربع أقسام، سواء ذكرنا الرابع أم لم نذكره، فهو موجود ضمنًا.

فالرابع هو توحيد المتابعة، أي توحيد النبي ﷺ بالمتابعة دون غيره من المخلوقات، لأنه لم يرسل إلينا غيره.

والدليل على هذا التوحيد آيات كثيرة تقدم ذكر بعضها، ويكفي دليلًا عليه كلمة شهادة الإخلاص، وشهادة الإخلاص ذات شقين:

الشق الأول: لا إله إلا الله.

والشق الثاني: محمد رسول الله.

فالشق الأول: توحيد الألوهية، أي العبادة.

والشق الثاني: توحيد المتابعة، أي إفراد النبي ﷺ دون غيره من المخلوقات بالمتابعة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ »[(١)].

---

(١) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد ص: ٤٣-٤٤.

❑ قال الشيخ **عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠ هـ)**: «هذا التقسيم مأخوذ من الاستقراء والتأمل، لأن العلماء لما استقرأوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء»[١].

ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين، وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين لأنهم يجمعون بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله ومعرفته عز وجل، فجمعوا بينهما لذلك، بينما توحيد الألوهية يشكل جانب العمل لله.

وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام راجع إلى اعتبار متعلق التوحيد، وتقسيمه إلى قسمين راجع إلى اعتبار ما يجب على الموحد.

❑ تقسيم العلماء التوحيد إلى قسمين:

فمن العلماء من يقول: التوحيد قسمان[٢]:

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات:

ويريد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسمي بتوحيد المعرفة، لأن معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب:

ويراد به الألوهية، وسمي بتوحيد القصد والطلب لأن العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة، ويقصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/ ٢١٥).

(٢) ممن ذكر ابن القيم في كتابه مدارج السالكين ٣/ ٤٤٩

● ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين هما:(١)

القسم الأول: التوحيد العلمي الخبري:

والمقصود به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وسمي بالتوحيد العلمي: لأنه يعتني بجانب معرفة الله، فالعلمي أي «العلم بالله».

والخبري: لأنه يتوقف على الخبر أي: «الكتاب والسنة».

القسم الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي:

والمقصود به توحيد الألوهية، وسمي بالتوحيد الإرادي لأن العبد له في العبادات إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقوم بها، وسمي بالطلبي، لأن العبد يطلب بتلك العبادات وجه الله ويقصده عز وجل بذلك.

❐ قال **ابن تيمية** رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ): «التوحيد الذي بعث الله به رسله هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وذلك يتضمن التوحيد بالقول والاعتقاد وبالإرادة والقصد»(٢).

❐ وقال **ابن تيمية** رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ): «والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول التوحيد في العلم والقول وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليسله فيها شبيه ولاكفؤ والتوحيد في الإرادة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك له»(٣).

---

(١) ممن ذكر ذلك ابن القيم في كتابه مدارج السالكين ٣/ ٤٥٠، وابن تيمية في الصفدية ٢/ ٢٢٨

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٤/ ١٢٣.

(٣) بيان تلبيس الجهمية ٣/ ١٤٠-١٤١.

❐ وقال **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه: فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح.

كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة «تنزيل» السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: الآية: ١] وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية: ٦٤]، -الآية وأول سورة « تنزيل الكتاب » وآخرها، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد.

بل نقول قولا كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيدالعلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء

توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد»[(١)].

❑ وقال **ابن القيم** رحمه الله (ت: ٧٥١ هـ): «فالأول: تسليم منازعات الأسباب لتجريد التوحيد العملي القصدي الإرادي. وهذا تجريد منازعات الأوهام المخالفة للخبر لتجريد التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي. وهذا حقيقة التسليم»[(٢)].

❑ وقال الشيخ **حافظ بن أحمد حكمي** رحمه الله (ت: ١٣٧٧هـ): «التوحيد نوعان: الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل، وتنزيهه عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه والرضا به ربا وإلها ووليا، وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية»[(٣)].

- **ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:**[(٤)]

القسم الأول: التوحيد القولي:

والمراد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بالقولي لأنه

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤١٧-٤١٨.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٤٨.

(٣) معارج القبول ١/ ٥٤.

(٤) ممن ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٧)، (١٩/ ١٧١)

في مقابل توحيد الألوهية الذي يشكل الجانب العلمي من التوحيد، وأما هذا الجانب فهو مختص بالجانب القولي العلمي.

القسم الثاني: التوحيد العملي:

والمراد به توحيد الألوهية، وسمي بالعملي، لأنه يشمل كلّاً من عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح التي تشكل بمجموعها جانب العمل من التوحيد، فالتوحيد له جانبان: جانب تصديقي علمي، وجانب انقيادي عملي.

❑ قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ): «فأما ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: الآية: ١]، فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة وهو الذي يتكلم به مشايخ التصوف غالبا.

وأما سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، أحد فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي»[(١)].

❑ قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ): «فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال ولا بد له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه: من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل وهذا يتضمن (التوحيد في عبادته وحده لا شريك له): وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل.

والأول يتضمن (التوحيد في العلم والقول) كما دل على ذلك سورة ﴿قُلْ

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ٥٤.

هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١].

ودل على الآخر سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: الآية: ١] وهما سورتا الإخلاص وبهما كان النبي ﷺ يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك.

فأما الأول وهو-التوحيد في الصفات-فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله: نفيا وإثباتا؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه»[(١)].

❑ وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «التوحيد الذي بعث الله به رسوله قولا وعملا

فالتوحيد القولي مثل سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١].

والتوحيد العملي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: الآية: ١]»[(٢)].

❑ وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وكان النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر تارة (سورة الإخلاص) و (قل يا أيها الكافرون) ففي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: الآية: ١] عبادة الله وحده وهو دين الإسلام؛ وفي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الإيمان هذا هو التوحيد القولي، وذلك هو التوحيد العملي»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٦٧.
(٣) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٧١.

❑ وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصا وهي دالة على التوحيد العملي لزوما»[١].

❑ قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وقد بسط الكلام في التوحيد وأنه نوعان:

- علمي قولي

- وعملي قصدي.

فقل يا أيها الكافرون اشتملت على التوحيد العملي نصا وهي دالة على العلمي لزوما. و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١] اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصا وهي دالة على التوحيد العملي لزوما»[٢].

● **ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:**

القسم الأول: توحيد السيادة:

ويعنى بذلك توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي بذلك لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته يوجب له القيادة المطلقة والتصرف التام في هذا الكون خلقا ورزقا وإحياء وإماتة وتصرفا وتدبيرًا، سبحانه وتعالى. فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

والقسم الثاني: توحيد العبادة:

المراد به توحيد الألوهية، وتسميته بذلك واضحة لا تحتاج إلى مزيد تفصيل.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ١٠٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ١٠٧-١٠٨.

- ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:

التوحيد توحيدان:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

والقسم الثاني: توحيد الإلهية.

❑ قال **أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٠٤هـ): «فالإيمان بالله -تعالى جده- إثباته والاعتراف بوجوده، والإيمان له القبول عنه والطاعة له.

والإيمان بالنبي إثباته والاعتراف بثبوته، والإيمان للنبي موافقته والطاعة له. ويدل على افتراق الصلتين أن إحداهما تصلح حيث لا تصلح الأخرى، فإن بني يعقوب عليه السلام لو قالوا لأبيهم: «وما أنت بمؤمن بنا» لما صلح لذلك. ولو قال كفار العرب: «ولا تؤمنوا إلا بمن اتبع دينكم» لما أدى ذلك لما أرادوه من المعنى. وأمر الله نبيه محمدا ﷺ أن يقول للمنافقين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ [التوبة: الآية: ٩٤]، أي لن نقبل منكم عذركم، ولو كان مكانه: «لن نؤمن بكم»، ما جاز ولا حسن. وقال-جل ثناؤه-: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية: ٦١]، ولو كان مكان ذلك: «ويؤمن بالمؤمنين» لما جاز ولا صلح. فثبت بما اقتصصنا أن الصلتين موضوعان لمعنيين متغايرين لا لمعنى واحد. ويدل على صحة ما ذكرت أن اسم التصديق الذي هو حقيقة الإيمان قد يحتمل صلتين: إحداهما الباء والأخرى الهاء.

فأما الباء فإنه يليق بالتصديق وبما يتصرف عنه من فعل ونعت.

وأما الهاء فإنه يلزم ما ينصرف عنه من فعل، فإذا جاء النعت جازت اللام مكان الهاء، فيقال: «صدقت فلانا وصدقت به»، فمعنى صدقته أثبت قوله

وخبره ووثقت بصحته ومعنى صدقت به: أثبت وجوده وكونه. ثم يقال: صدقت به وأنا مصدق. وإذا قيل صدقته، جاز أن يقال: «وأنا مصدقه ومصدق له، قال الله-تعالى-: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: الآية: ٤٨]، ولا يصلح مكانه ومصدقا بما بين يديه لأن الغرض، أن هذا الكتاب مثبت من وحدانية الله تعالى وقدسه ووجوب طاعته وتحسين العدل، وتقبيح الظلم والشهادة للذين جاؤوا بالكتب المقدمة، بأنهم جاؤوا بها من عند الله-تعالى-ما أثبتته تلك الكتب أنفسها. ولو قيل: «مصدقا لما بين يديه من الكتاب»، لصلح، فعلم أن اللام قائمة مقام الهاء في صدقته. ولو قيل: «ومصدقا بما يديه»، لم يدلك على أكثر من أنه أثبت أن كتبا كانت قبله، فثبت بهذا افتراق الصلتين، وتغاير ما يراد بهما، والله أعلم وما ينبغي لأحد أن يستنكر هذا الفرق، فإن الوجود منه هو الموافق للصواب والحكمة إذ كان الاعتراف بالله-جل جلاله-، لابد من أن يسبق حتى يصح القبول عنه وطاعته وعبادته من بعد، والاعتراف بالنبي كذلك لأنه يسبق، ثم تكون متابعته والقبول عنه، ولو تجردت المتابعة بفعل ما يأمر به، والانتهاء عما ينهي عنه عن الاعتراف بالنبوة لما سلمت، ولا سلمت نفعت، فكان حقا أن يعود الأصل من هاتين الخصلتين بإحدى هاتين اللفظتين والتابع منهما بالأخرى. فيكون التصديق بالله إثباته والاعتراف بوجوده، والتصديق له قبول شرائعه، وإتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل، والطاعة فيها لازمة، والمحافظة على حدوده، والثقة بوعده ووعيده.

وكذلك التصديق بالنبي، غير التصديق له.

فالتصديق به: هو الاعتراف بوجوده وكونه وإثباته نبيا في الجملة.

والتصديق له: إتباعه وطاعته وقبول ما جاء عنه.

وكذلك الإيمان بالله: هو الاعتراف به وإثباته.

والإيمان له: طاعته وإتباع أمره.

وعلى هذا الإيمان بالله أو النبي، إيمان بالدلائل التي دلت عليه، لأنه قبول لدلالتها عنها، وانقياد لموجبها»(١).

❑ وقال **محمد بن يعقوب الفيروزأبادي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨١٧ هـ): «والتوحيد توحيدان: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، فصاحب توحيد الربوبية يشهد قيومية الرب فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطى ولا مانع ولا مميت ولا محيى ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرا وباطنا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجرى حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.

وأما توحيد الإلهية فهو أن يجمع همه وقلبه وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه والقيام بعبوديته»(٢).

❑ قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «التوحيد: «توحيد الربوبية» و«توحيد الإلهية»(٣).

---

(١) شعب الإيمان للحليمي ١/ ٢١-٢٢.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ١٧٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٣١.

❑ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية وعلى توحيد الإلهية وهو التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن ...فإثبات الإلهية يوجب إثبات الربوبية ونفي الربوية يوجب نفي الإلهية؛ إذ الإلهية هي الغاية وهي مستلزمة للبداية كاستلزام العلة الغائية للفاعلية. وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية -وإن كان معلوما بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية- فهو أيضا معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية»[(١)].

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ)-في معرض كلامه عن غلط بعض العامة والسالكين-: «وذلك أن هذا الموضع غلط فيه كثير من العامة؛ بل ومن السالكين فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية دون الدينية فيرى أن الله خالق كل شيء وربه ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يسخطه ويبغضه وإن قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبية»[(٢)].

❑ وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية؛ وعلى توحيد الإلهية؛ وهو: التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن»[(٣)].

❑ وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وكثير من المتوجهين السالكين يشهد في سلوكه الربوبية والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق؛ من

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٧.
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ٦٦٨. وانظر: ١٥/ ٤٩٧.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٨٣.

الأعيان والصفات. وهذه الأمور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي-صلى الله تعالى عليه وسلم-يستعيذ بها فيقول: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن». فيغيب ويفنى بهذا **التوحيد الرباني** عما هو مأمور به أيضا ومطلوب منه وهو محبوب الحق ومرضيه من **التوحيد الإلهي**؛ الذي هو عبادته وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله والأمر بما أمر به والنهي عما نهى عنه والحب فيه والبغض فيه»[(١)].

❐ وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الألوهية هي نفس الربوبية وأن ما ذكر في القرآن من نفي إله آخر والأمثال المضروبة البينة فالمقصود به نفي رب يشركه في خلق العالم كما هو عادتهم في كتب الكلام فهذا قصور وتقصير منهم في فهم القرآن وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أن مبلغ علمهم هو ما سلكوه من الطريقة الكلامية فاعتقدوا أن المقصودين واحد وليس كذلك بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله أو أن يتخذه إلها فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضوعه كما بينت ذلك عامة آيات القرآن مثل قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: الآية: ٦٥]، ولهذا قال الخليل ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية: ٧٦]

ومن المعلوم أن كل حي فله إرادة وعمل بحسبه وكل متحرك فأصل حركته

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٥٧.

المحبة والإرادة ولا صلاح للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى كما لا وجود لها إلا أن يبدعها الله ولهذا قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٢]، ولم يقل لعدمتا إذ هو قادر على أن يبقيها على وجهة الفساد لكن لا يمكن أن تكون صالحة إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له فإن صلاح الحي إنما هو صلاح مقصوده ومراده وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادتها ونياتها»[١].

❑ قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فمتكلمة أهل الإثبات يثبتون لله صفات الكمال كالحياة والعلم والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر.

وهؤلاء يثبتون ذلك لكن قصروا في بعض صفات الكمال، وقصروا في التوحيد، فظنوا أن كمال التوحيد هو توحيد الربوبية، ولم يصعدوا إلى توحيد الإلهية الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب.

وذلك أن كثيرا من كلامهم أخذوه من كلام المعتزلة، والمعتزلة مقصرون في هذا الباب، فإنهم لم يوفوا توحيد الربوبية حقه، فكيف بتوحيد الإلهية.

ومع هذا فأئمة المعتزلة وشيوخهم وأئمة الأشعرية والكرامية ونحوهم خير في تقرير توحيد الربوبية من متفلسفة الأشعرية كالرازي والآمدي وأمثال هؤلاء، فإن هؤلاء خلطوا ذلك بتوحيد الفلاسفة كابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وأمثاله، وهو أبعد الكلام عن التحقيق في التوحيد، وإن كان خيرا من كلام قدمائهم أرسطو وذويه»[٢].

---

(١) قاعدة في المحبة صـ ١٤-١٥.

(٢) منهاج السنة ٣/ ٢٩٤-٢٩٥.

❑ وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «حتى أن كثيرا منهم يظنون أن التوحيد المفروض هو الإقرار والتصديق بأن الله خالق كل شيء وربه ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية الذي أقر به مشركو العرب وبين توحيد الإلهية الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ»[(١)].

❑ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فقوله: «لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت» توحيد الربوبية الذي يقتضي: أنه سبحانه: هو الذي يسأل ويدعى ويتوكل عليه. وهو سبب لتوحيد الإلهية ودليل عليه»[(٢)].

❑ وقال **أحمد بن علي المقريزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٤٥هـ): «ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة»[(٣)].

❑ وقال **المقريزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٤٥هـ): «فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين»[(٤)].

❑ وقال الشيخ **محمد بن إسماعيل الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨٢هـ): «الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد»[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٦٤.
(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٧٧.
(٣) تجريد التوحيد المفيد ص: ٧.
(٤) تجريد التوحيد المفيد ص: ٨.
(٥) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص: ٤٧.

❑ وقال الشيخ **محمد بن إسماعيل الصنعاني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨٢هـ): «التوحيد قسمان:

القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، ومعناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا، بل هم مقرون به.

والقسم الثاني: توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى»(١).

❑ وقال **المرتضى الزبيدي** رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب تاج العروس في شرح القاموس (ت: ١٢٠٥هـ): «التوحيد توحيدان:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.

فصاحب **توحيد الربانية** يشهد قيومية الرب فرق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا محيي ولا مميت ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرًا وباطنًا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجوز حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.

وأما **توحيد الإلهية**: فهو أن يجمع همته وقلب وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه، والقيام بعبوديته»(٢).

---

(١) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص: ٥٠.

(٢) تاج العروس (٩/ ٢٧٦).

❐ وقال الشيخ **محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٢٠٦هـ): «وهو نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية:

أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم،

وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكفر والإسلام»(١).

❐ وقال **الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٢٠٦هـ): «التوحيد نوعان: توحيد الربوبية: وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم. وهذا حق لا بد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام؛ بل أكثر الناس مقرون به، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: الآية: ٣١]، وأن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الإلهية، وهو: ألا يعبد إلا الله، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا»(٢).

❐ وقال الشيخ **محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٢٠٦هـ): «واعلم، أرشدك الله، أن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسألة واحدة، هي: توحيد الله وحده، والكفر بالطاغوت، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: الآية: ٣٦]، والطاغوت هو الذي يسمى: «السيد»، الذي ينخى وينذر له، ويطلب منه تفريج الكربات غير الله- تعالى-. وهذا يتبين بأمرين عظيمين:

---

(١) كتاب الجواهر المضية ص: ٣٧.

(٢) كتاب الرسائل الشخصية ص: ١٥١.

الأول: توحيد الربوبية، وهو الشهادة بأنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمور إلا هو؛ وهذا حق، ولكن أعظم الكفار كفرا، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، يشهدون به ولم يدخلهم في الإسلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: الآية: ٣١].

الأمر الثاني: وهو توحيد الإلهية، وهو أنه لا يسجد إلا لله، ولا يركع إلا له، ولا يدعى في الرخاء والشدائد إلا هو، ولا يذبح إلا له، ولا يعبد بجميع العبادات إلا الله وحده لا شريك له، وأن من فعل ذلك في نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء فقد أشرك بالله»[(١)].

❑ وقال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٥٤هـ): «أقول: المراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء..»[(٢)].

ويقول في موضع آخر مصرحا بهذه القسمة: «ولما كان التوحيد الذي هو لباب الدين وروحه نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية بين كلا منهما بالآيات والبراهين ...»[(٣)].

- **وهناك من يقسم التوحيد إلى قسمين:**

القسم الأول: توحيد المرسل.

---

(١) الرسائل الشخصية ص: ١٤٦-١٤٧.
(٢) تفسير المنار ٣/ ٣٢٥.
(٣) تفسير المنار ٨/ ٢٧٢.

القسم الثاني: توحيد متابعة الرسول.

❑ قال **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: هـ): «توحيدان. لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما:

توحيد المرسل.

وتوحيد متابعة الرسول. فلا يحاكم إلى غيره. ولا يرضى بحكم غيره»(١).

❑ وقال **ابن أبي العز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٢هـ): «فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غير»(٢).

• **ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين:**

القسم الأول: التوحيد الإجمالي.

القسم الثاني: التوحيد التفصيلي.

❑ قال الشيخ **حماد بن محمد الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١٨هـ): «والتوحيد ينقسم باعتبار آخر إلى قسمين:

أولًا: توحيد إجمالي.

ثانيًا: توحيد تفصيلي.

التوحيد الإجمالي: هو الذي يدرك بالآيات الفعلية.

والتوحيد التفصيلي: هو الذي يدرك بالآيات القولية.

والتوحيد الإجمالي الذي يدرك بالآيات الفعلية هو توحيد الربوبية.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٦٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٠٠.

والآيات الفعلية: هي السموات والأرض وما بينهما، وبالنظر إلى الخلق نستنتج أن لهذا الخلق ربًا عظيمًا متصفًا بجميع صفات الجمال والكمال.

وهذا في الإمكان أن يدركه كل أحد لأنه فطري.

أما التوحيد التفصيلي الذي بينه الله عز وجل في سورة الفاتحة فلا يمكن إدراكه إلا بالآيات القولية، وهي القرآن والسنة»[١].

- **وقد قسم بعض العلماء التوحيد إلى قسمين:**

الأول: توحيد عامي

الثاني: توحيد خاصي.

❑ قال **ابن القيم** رحمه الله (ت: ٧٥١ هـ): «فإن التوحيد نوعان: عامي وخاصي، كما أن الصلاة نوعان، والذكر نوعان، وسائر القرب كذلك خاصية وعامية.

فالخاصية: ما بذل فيها العامل نصحه وقصده بحيث يوقعها على أحسن الوجوه وأكملها.

والعامية: ما لم يكن كذلك.

فالمسلمون كلهم مشتركون في إتيانهم بشهادة أن لا إله إلا الله، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة وقيامهم بحقها باطنا وظاهرا أمر لا يحصيه إلا الله عز وجل»[٢].

❑ قال **ابن تيمية** رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «من كان توكله على الله ودعاؤه له

---

(١) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أقسام التوحيد ص: ٤٧.

(٢) طريق الهجرتين ص٥٩

هــــو في حصول مباحات فهو من العامة، وإن كان في حصول مستحبات وواجبات فهو الخاصة». »[١].

❑ قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لإلهية الرب سبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة، وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة، فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجوء إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسر عليه»[٢].

فالتوحيد الخاصي هو الذي حقق التوحيد معرفة بكل معانيه وعملا به وبلوازمه، وأما العامي ما نقص من ذلك إما معرفة وعلما أو عملا وطاعة، والله أعلم.

وهذا ما وقفت عليه من تقسيمات العلماء للتوحيد وهي واحدة من حيث مضمونها كما سبق إيضاح ذلك من خلال ربطها بالتقسيم الأول، ولذا فإن الاختلاف بينها منحصر في الألفاظ فقط. والله أعلم.

المطلب الثالث: الرد على شبهة من أنكر تقسيم التوحيد.

هناك من حاول إنكار تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام بدعوى:

أولاً: أن هذا التقسيم لا يعرف عند السلف البتة، وأن هذا التقسيم إنما انتشر بعد القرن السابع الهجري.

ومن ذلك قول حسن السقاف: «وخصوصًا أن هذا التقسيم لا يُعرف عند

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٦

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٢

السَّلَف البتَّة، وإنما اختُرِع هذا التقسيم وانتشر بعد القرن السابع الهجري»[(١)].

وقال: «ولم يَذكر الله تعالى في كتابه ولا النبيُّ ﷺ في سنته أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيدِ ربوبية، وتوحيدِ ألوهية، وتوحيدِ أسماء وصفات، بل لم ينطق بهذا التقسيم أحدٌ من الصحابة، بل ولا أحدٌ من التابعين، بل ولا أحدٌ من السَّلَف الصالح-رضي الله عن الجميع-، بل إن هذا التقسيم بدعة خَلَفية مذمومة حَدَثت في القرن الثامن الهجري، أي بعد زمن النبي ﷺ بنحو ثمان مئة سنة، ولم يقل بهذا التقسيم أحدٌ من قبل»[(٢)].

وقال: «ابن تيمية الذي اختَرَع تقسيمَ التوحيدِ إلى ألوهية وربوبية»[(٣)].

وقال أبو حامد بن مرزوق: «إن تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والقول بأنَّ المشركين كانوا مؤمنين بالأول دون الثاني ولم يُدخلهم في الإسلام أنَّ ذلك بدعة ابتدعها ابن تيمية وقلَّده فيها محمد بن عبد الوهاب»[(٤)].

ثانيًا: أن ذلك دعوة إلى التثليث،

- والرد على هذه الدعوى بأن يقال هذه الدعوى مقصودها التشغيب وإثارة الشكوك والبلبلة ومردودة على قائليها:

أولاً: هذا التقسيم مأخوذ من التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة فوجد العلماء أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأقسام وكل قسم من هذه الأقسام

(١) التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ٣).
(٢) التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ٦).
(٣) التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ١٠).
(٤) كتاب التوسل بالنبي وجهالة الوهابيين.

له أدلته من القرآن والسنة، وكل قسم له مميزاته وخصائصه.

- ثم إن هذا التقسيم من جنس تقسيمات العلماء الأخرى المتعلقة بالأمور الشرعية مثل تقسيم العلماء الأمر الشرعي إلى واجب ومندوب أو تقسيم النواهي الشرعية إلى محرم ومكروه، أو قولهم إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، أو تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية. فسائر هذه التقسيمات وغيرها كثير لم ترد في الشارع منصوصاً عليها وإنما استنبطها العلماء من خلال استقراء كلام الشارع(١).
- وقال الشيخ بكر أبو زيد: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري رحمه الله (ت: ٣١٠ هـ)، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين-رحم الله الجميع-، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»(٢).
- وقال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: «وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة»(٣).

ثانيًا: هذا التقسيم موجود مع بداية التصنيف والتدوين لمسائل العقيدة ومن

---

(١) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ص: ٩١).

(٢) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص ٣٠).

(٣) مقدمة تحقيق كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني ص: ١٠.

الأدلة على ذلك بعض النصوص الواردة عن السلف في بيان ذلك:

❑ النص الأول: للإمام **أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٨٧ هـ) حيث قال في كتابه (الإبانة) ما نصه: (... وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذاهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه..»[(١)]

وكلامه هذا صريح في أن أصل الإيمان بالله وتوحيده مبني على هذه الأمور الثلاثة فسمى الأول اعتقاد الربانية والثاني اعتقاد الوحدانية والثالث اعتقاد اتصافه بالصفات العلى اللازمة لكمال الله سبحانه وتعالى.

❑ والنص الثاني: للإمام الحافظ **أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٥ هـ) حيث فصل وبوب في كتابه القيم: (كتاب التوحيد) في الأقسام الثلاثة للتوحيد فمن تبويباته:

١- ذكر ما وصف الله عَزَّوَجَلَّ به نفسه ودل على وحدانيته عَزَّوَجَلَّ وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

---

(١) الإبانة (٢/ ١٧٢-١٧٣).

٢- ذكر معرفة بدأ الخلق.

٣- ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسنى التي تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر-وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله:

«قسم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام حيث جعل أسماء الله الحسنى قسما مستقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي:

الوحدانية في الربوبية.

توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

توحيد أسماء الله الحسنى.

الصفات»[(١)].[(٢)]

ثالثًا: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أمر مقرر عند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية على خلل في التقسيم لديهم بعدم ذكرهم لتوحيد الألوهية ومن قولهم في ذلك ما قاله الشهرستاني (ت: هـ): «وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له»[(٣)].

---

(١) التوحيد ابن منده (١/ ٣٣) تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

(٢) انظر في ذلك: «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد»، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان.

(٣) الملل والنحل (١ / ٤٢).

❑ وقال الرازي (ت: ٦٠٦ هـ): «اعلم أنه تعالى واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، أما أنه واحد في ذاته فلأن ذاته منزهة عن جهات التركيبات، لا من التركيبات المقدارية الحسية كما في الجسم، ولا من التركيبات العقلية كما في النوع المركب من الجنس والفصل.

وأما أنه واحد في صفاته فهو أنه ليس في الوجود مواد آخر يساويه في الوجود بالذات، وفي العلم بكل المعلومات، وفي القدرة على كل الممكنات، وفي الغني عن كل ما سواه.

وأما إنه واحد في أفعاله فهو أنه ليس في الوجود موجود بكون مبدئا لجميع الممكنات إما بغر واسطة، وإما بواسطة إلا هو»(١).

❑ وقال أبو منصور الماتريدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٣٣ هـ): «الإيمان بالله: هو أن تجعله رب كل شيء، وأن له الخلق والأمر، والإيمان برسوله: هو أن تصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى وفي كل قول وفعل، وأنه صادق، وأنه محق، وتعلم أنه بأمر الله تعالى ونهيه يأمر وينهى ويفعل لا من ذات نفسه؛ هذا هو الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ »(٢).

❑ قال الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ) في تعريف التوحيد: «التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله-تعالى-بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة»(٣).

❑ وقال كمال الدين ابن أبي شريف (ت: ٩٠٦ هـ):«التوحيد هو اعتقاد

(١) المطالَب العالية ١/ ١٦٣.
(٢) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٩/ ٥١٥-٥١٦.
(٣) التعريفات للجرجاني ص: ٩٩.

الوحدانية في الذات والصفات والأفعال»[١].

فلماذا لم يسقط هذا المنكر لتقسيم التوحيد دعواه على هذا القول بأن يقول عنه ما قاله عن تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات، بحيث يقال هذا التقسيم مبتدع وفيه مشابهة لدعوى النصارى بالتثليث، فهلا أخبرونا عن دليلهم الذي استدلوا به لهذا التقسيم؟! فما كان جوابًا لهم فهو جوابٌ لنا.

رابعًا: أن دعوى كون هذا التقسيم هو دعوة لعقيدة التثليث فهذه الدعوى فاسدة وميتة وهي دعوى ادعاها قدماء الجهمية.

❐ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وضربنا لهم مثلا في ذلك فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم شيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد لا نقول إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق قدرته والذي ليس له قدرة هو عاجز ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما فعلم والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا متى ولا كيف.

قال وسمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: الآية: ١١] وقد كان الذي سماه وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة وقد سماه وحيدا بجميع صفاته فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد»[٢].

---

(١) المسامرة شرح المسايرة: ص: ٤٣.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٣/ ٩٦-٩٧.

ثم إن التمييز بين الربوبية والألوهية ومن ثم تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية، لم ينفرد به ابن تيمية،بل قال به العديد من العلماء، وعلى سبيل المثال لا الحصر يقول أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت: ٣٥٤هـ): «الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته»[١].

قال الشيخ أحمد بن حجر آل طامي (ت: ١٤٣٢هـ): «أورد بعض المتعصبين: إن ذلك التقسيم لم يقل به النبي؟.

الجواب:

أولًا: أن يقال له: إن ترد أن النبي ﷺ لم يقل به لا لفظًا ولا معنى فباطل، فإنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»[٢].

وهذا هو توحيد الألوهية، والنبي ﷺ وأصحابه علموا الداخلين في الإسلام بأن لا يعبدوا إلا الله، وهو ما نريده.

وأكثر القوم كانوا معترفين بالربوبية، فكانوا عارفين بمعاني الألفاظ، لا يحتاجون إلى تفرقة.

فإذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ولا خالق ولا رازق إلا الله، عرفوا ما تدل

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١٤.

(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

عليه الجملة الأولى والثانية، وأنت حين توازن بين قوله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٧]، وقوله-تعالى-: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: الآية: ٥]، يظهر لك ما قلناه بجلاء ووضوح.

على أنه لا يضرنا أن النبي ﷺ وصحبه لم يصطلحوا هذا الاصطلاح، لأننا نقول: تؤخذ الأشياء بمعانيها، ولا يلزم أن يكون النبي ﷺ وصحابته-رضي الله عنهم-يمشون على هذا النهج المصطلح عليه.

وغاية قولنا: إن معنى الرب في اللغة غير معنى الإله، يدل الأول على الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية، والثاني: على المعبود بحق أو باطل.

ونقول في الجواب ثانيًا: إن لم يقسم النبي التوحيد إلى أقسام ثلاثة، فلم يحصره في قسم واحد-كما تزعم-، ومعنى الألفاظ الواردة في القرآن والسنة واللغة تساعدنا على ذلك، وليس معك ما ينصرك على دعواك»[(١)].

رابعًا: أن إخراج توحيد الألوهية من تقسيم التوحيد مرده إلى عدم تفريقهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وزعمهم بأنهما بمعنى واحد.

والذي دلت عليه النصوص وأقوال المفسرين والعلماء هو التفريق بين هذين النوعين من التوحيد.

عن مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤ هـ): «﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: الآية: ١٠٦]، إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره»[(٢)].

---

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ١/ ٦٦-٦٧.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

وعن قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١١٨هـ)، قوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: الآية: ١٠٦]، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته»[1].

- قال محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠ هـ): «يقول تعالى ذكره: وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عَزَّ وَجَلَّ صفتهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: الآية: ١٠٥]، بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابا، وزعمهم أن له ولدا، تعالى الله عما يقولون»[2]. وقول هنا فيه تفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

- قال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤١٨ هـ): «توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية ليسا بمعنى واحد، كما ظنه الأشعرية الكلابية، والحنفية الماتريدية، والكرامية السجستانية، والجهمية الجعدية.

وهكذا كل هؤلاء الطوائف من المتكلمين المتفلسفين، الذين أعرضوا عن القرآن وعن السنة النبوية، واشتغلوا بالفلسفة والكلام، وبمجرد آراء يبدونها حول قضايا جوفاء لا نتيجة لها صحيحة»[3].

خامسًا: أن إخراج توحيد الألوهية من تقسيم التوحيد مرده إلى قول طوائف

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٨.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٦.

(٣) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد ص: ٣٠.

المتكلمين من إخراجهم العمل عن مسمى الإيمان وأنه التصديق فقط.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-(ت: ٧٢٨ هـ): «الوجه الثاني من غلط المرجئة: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب، كما تقدم عن جهمية المرجئة، الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمة له، والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر»(١).

المطلب الرابع: العلاقة بين أقسام التوحيد

أقسام التوحيد تُشكل بمجموعها جانب الإيمان بالله الذي نُسميه التوحيد، فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، فهي متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضًا، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح-ولا يقوم-توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أيِّ نوع منها هو خلل في التوحيد كله، «فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله، فهما متلازمان»(٢).

وقد أوضح بعضُ أهل العلم العلاقة بين أنواع التوحيد بقوله: «هي علاقة

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٤).

(٢) «تحذير أهل الإيمان» (١/ ١٤٠)، (ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية»).

تلازم وتضمن وشمول».

فتوحيد الربوبية مُستلزم لتوحيد الألوهية.

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معًا.

بيان ذلك: أنَّ مَن أقرَّ بتوحيد الربوبية، وعلم أنَّ الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته لَزمه (١) من ذلك الإقرار أن يُفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربًّا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

ولهذا جَرَت سُنَّة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مَقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك:

قوله-تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وأمَّا توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأنَّ مَن عبد الله ولم يُشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا ربَّ غيره.

وهذا أمر يشاهده المُوحد من نفسه، فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم يَصرف

(١) اللازم هنا قد يتخلف، كما هو الحال في كفار قريش؛ فهم يُقرون بتوحيد الربوبية، كما دَلَّت على ذلك النصوص، ولكنهم لم يُحققوا اللازم مِن إقرارهم بتوحيد الربوبية.

شيئًا منها لغير الله، ما هو إلا لإقراره بتوحيد الربوبية، وأنه لا ربَّ ولا مالك ولا متصرف إلا الله وحده.

وأمَّا توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنَّوعين معًا، وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكلِّ ما له من الأسماء الحسنى والصفات العُلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها: الرَّب-الخالق-الرازق-الملك، وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها: الله-الغفور-الرحيم-التَّواب، وهذا هو توحيد الألوهية[١].

---

(١) انظر: «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» للشيخ عبد العزيز السلمان (ص ٤٢١، ٤٢٢).

المبحث الخامس

بيان معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

❐ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مجمل معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني: شرح قول أهل السنة: «من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل».

المطلب الثالث: «كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل».

المطلب الأول: مجمل معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته هو: أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتًا ونفيًا، فهم بذلك:

١- يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

٢- ويثبتون لله عز وجل ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٣- وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فأهل السنة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات فيجب بذلك إثباتها.

وأما النفي فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي.

❐ قال الإمام أحمد رحمه الله (ت: ٢٤١ هـ): «لا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]. ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله؛

محكمه ومتشابهه»[١].

❑ وقال عبد الرحمن بن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩١ هـ): «لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه-تبارك وتعالى-لا مثل له ولا شبيه، ولكن هو الله لا إله إلا الله كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفها: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧]، كما وصف نفسه»[٢].

❑ وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١١ هـ): «إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرنا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله-تعالى-في تنزيله، ونبيه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف»[٣].

❑ وقال الكلاباذي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٤ هـ): «أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف؛ من العلم، والقدرة، والقوة، والعز، والحلم، والحكمة، والكبرياء، والجبروت، والقدم، والحياة، والإرادة، والمشيئة، والكلام... وأن له سمعا وبصرا ووجها ويدا على الحقيقة، ليس كالأسماع

---

(١) يُنظر: «ذم التأويل» لابن قدامة (ص: ٢٢).

(٢) ينظر: «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص: ٧٥).

(٣) ينظر: «ذم التأويل» لابن قدامة (ص: ١٨).

والأبصار والأيدي والوجوه»[(١)].

❑ وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣ هـ): «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله»[(٢)].

❑ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، ولا يمثلون صفاته بصفات المخلوقين؛ فالنافي معطل، والمعطل يعبد عدما، والمشبه ممثل، والممثل يعبد صنما، ومذهب السلف إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهذا رد على الممثلة. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، رد على المعطلة»[(٣)].

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به

(١) ينظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» (ص: ٣٥).
(٢) ينظر: «التمهيد» (٧/ ١٤٥).
(٣) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٣٢).

رسوله، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل، والتكييف والتعطيل؛ فإن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. فمن نفى صفاته كان معطلا، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا، والواجب إثبات الصفات، ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات؛ إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، فهذا رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، رد على المعطلة، فالممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما»(١).

فقولهم في الصفات مبني على أصلين:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا كالسنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات»(٢).

ومن النصوص التي توضح ذلك ما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١].

ففي مقام النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وفي مقام الإثبات: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٥).

(٢) منهاج السنة ٢/ ٥٢٣

ب- قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: الآية: ٥٨].

ففي مقام الإثبات: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ﴾ .

وفي مقام النفي: ﴿ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ .

ج-قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

ففي مقام الإثبات: ﴿ٱللَّهُ﴾ ، و ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ .

وفي مقام النفي: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، و﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ .

وأما من السنة، ففي مقام الإثبات قوله ﷺ : «ينزل ربنا -عز وجل- حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا». متفق عليه (١)

وقوله ﷺ : «لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي». متفق عليه (٢)

وفي مقام النفي قوله ﷺ : «أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»(٣).

وقوله ﷺ : «إن الله تعالى ليس بأعور»(٤).

وقوله ﷺ : «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»(٥).

---

(١) البخاري ٣/ ٢٢٩، ومسلم ١/ ٥٢١ ح ١٦٨
(٢) البخاري ٦/ ٢٨٧، ح ١٩٤، ومسلم ٤/ ٢١٠٧ ح ١٤
(٣) البخاري ١٣/ ٣٧٢ ح ٧٣٨٦
(٤) متفق عليه، البخاري ١٣/ ٩٠، ومسلم ١٨/ ٥٩
(٥) مسلم في صحيحه ١/ ١١١

المطلب الثاني: شرح قول أهل السنة: «من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل».

توحيد الأسماء والصفات له ضدان هما:

١- التعطيل.

٢- التشبيه والتمثيل.

فمن نفى صفات الرب عَزَّوَجَلَّ وعطلها، فقد كذب تعطيله توحيده.

ومن شبهه بخلقه ومثله بهم، فقد كذب تشبيهه وتمثيله توحيده[١].

- **أولاً: معنى قولهم: «من غير تحريف ولا تعطيل»:**

هذه العبارة فيها تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة أهل التعطيل، وهذه العبارة يمكن توضيحها من خلال النقاط الآتية:

أ- معنى التحريف وبيان أنواعه:

١-معنى التحريف:

التحريف لغة: التغيير والتبديل والإمالة.

فهو في الأصل مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه إذا أملته وغيرته.

والتحريف شرعًا: الميل بالنصوص عما هي عليه، إما بالطعن فيها، أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها.

أو نقول بعبارة مختصرة: هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص: ٣٦

غيره[١].

والتحريف في باب الأسماء والصفات: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها.

٢- أنواع التحريف:

التحريف نوعان:

النوع الأول: تحريف اللفظ:

وتعريفه: هو العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها، وله أربع صور:

١- الزيادة في اللفظ.

٢- النقصان في اللفظ.

٣- تغيير حركة إعرابية.

٤- تغيير حركة غير إعرابية.

- **ومن أمثلة تحريف اللفظ:**

المثال الأول: تحريف إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: الآية: ١٦٤]، من الرفع إلى النصب، وقال: ﴿وكلَّمَ اللّهَ﴾ أي موسى كلم الله، ولم يكلمه الله، ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد: فكيف تصنع بقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، فبهت المحرف.

مثال آخر: إن بعض المعطلة سأل بعض أئمة العربية: هل يمكن أن يقرأ العرشُ بالرفع في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية: ٥]،

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٢١٥

وقصد بهذا التحريف أن يكون الاستواء صفة للمخلوق لا للخالق[١].

النوع الثاني: تحريف المعنى:

وتعريفه: هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ[٢]. أو نقول: تعريفه: هو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

وهذا النوع هو الذي جال فيه أهل الكلام من المعطلة وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلاً، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة[٣].

والتعبير عنه بالتحريف هو الأولى بالتسمية، فإن الله تعالى قال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: الآية: ٤٦]، والتعبير الذي عبر به القرآن أولى من غيره، لأنه أدل على المعنى

- **ومن أمثلة تحريف المعنى:**

كقول المعطلة في معنى استوى: استولى في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية: ٥].

وفي معنى اليد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤]، النعمة والقدرة.

وفي معنى المجيء في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: الآية: ٢٢]، وجاء أمر ربك.

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٢١٨

(٢) الصواعق المنزلة ١/ ٢٠١

(٣) مختصر الصواعق ٢/ ١٤٧

وقد ذكر الله التحريف وذمه حيث ذكره، وهو مأخوذ في الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيه، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيرًا من ألفاظ التوراة وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه، ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم.

وقد درج على آثارهم الرافضة، فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، وكذلك الجهمية، فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم في اليهود(١).

وأصحاب تحريف الألفاظ شر من أصحاب تحريف المعنى من وجه.

وأصحاب تحريف المعنى شر من أصحاب تحريف اللفظ من وجه.

فأصحاب تحريف اللفظ عدلوا باللفظ والمعنى جميعًا عما هما عليه فأفسدوا اللفظ والمعنى، بينما أصحاب تحريف المعنى أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيرًا من أولئك من هذا الوجه.

فأصحاب تحريف اللفظ لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا له لفظًا يصلح له لئلا يتنافر اللفظ والمعنى، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدأوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمهم على المعنى الذي قصدوا(٢).

وأما كون أصحاب تحريف المعنى شرا من أصحاب تحريف اللفظ من وجه، فلأن تحريف المعنى هو الأكثر استعمالا عند أصحاب التحريف، ولأنه أسهل رواجا وسوقًا عند الجهلة والعوام من الناس، فيفتتن به من ليس لديه زاد

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٢١٥، ٢١٦.

(٢) مختصر الصواعق ٢/ ١٤٧، ١٤٨.

من العلم الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

ب- معنى التعطيل:

التعطيل لغة: مأخوذ من «العطل»: الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: الآية: ٤٥]، أي أهملها أهلها وتركوا وردها[١].

والتعطيل في جانب الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، وهو قول الدهرية الملاحدة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٩٧ هـ): «لَـمَّا رأى إبليس قلّة موافقيه على جحد الصانع، لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع، حسَّن لأقوام أن هذه المخلوقات من فِعْل الطبيعة»[٢].

القسم الثاني: تعطيل عبادته عَزَّوَجَلَّ، أي ما يجب له عَزَّوَجَلَّ على عباده من حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل في أهل الشرك الذين صرفوا شيئا من العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

القسم الثالث: تعطيل الله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله[٣].

وهذا القسم الثالث هو الذي نقصده هنا.

فالمراد بالتعطيل في باب الأسماء والصفات هو: نفي الأسماء والصفات

(١) شرح الواسطية ص: ٢٠

(٢) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص: ٤١-٤٢.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص: ١٥٣.

أو بعضها وسلبها عن الله.

أو نقول: هو نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله تعالى[١].

- **ثانياً: معنى قولهم: «من غير تكييف ولاتمثيل»:**

هذه العبارة فيها تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة.

«فالتكييف» هو: جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل.

مثال ذلك: قول الهشامية عن الله: «طوله كعرضه»[٢].

أو قولهم: «طوله طول سبعة أشبار بشبر نفسه».

وعلى هذا التعريف يكون هناك فرق بين التكييف والتمثيل.

فالتكييف: ليس فيه تقيد بمماثل.

وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

ولعل الصواب أن التكييف أعم من التمثيل.

فكل تمثيل تكييف، لأن من مثل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيف تلك الصفة أي جعل لها حقيقة معينة مشاهدة.

وليس كل تكييف تمثيلاً، لأن من التكييف ما ليس فيه تمثيل بصفات المخلوقين، كقولهم: طوله كعرضه.

ومعنى قول أهل السنة: «من غير تكييف» أي من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد من قولهم: «من غير تكييف» أنهم ينفون الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف، إذ

---

(١) شرح الواسطية ص: ٢٠.

(٢) مقالات الإسلاميين ص ٣١

لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه[١].

فمن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل، لأنه تعالى أخبرنا عن الصفات ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا في أمر الكيفية قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وقد أخذ العلماء من قول الإمام مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» قاعدة ساروا عليها في هذا الباب.

«ولا تمثيل»:

المثيل لغة: هو الند والنظير.

والتمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق، أنها مثل صفات المخلوقين.

وهو قول الممثل: له يد كيدي وسمع كسمعي، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد، وإن كان هناك فرق بينهما في أصل اللغة[٢].

فالمماثلة: هي مساواة الشيء لغيره من كل وجه.

والمشابهة: هي مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه.

ولكن التعبير هنا بنفي «التمثيل» أولى لموافقة لفظ القرآن.

في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١].

(١) شرح العقيدة الواسطية ص: ٢١

(٢) القواعد المثلى ص: ٢٧

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: الآية: ٧٤].

وقد وقع في التمثيل والتكييف «المشبهة» الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق.

التمثيل نزعة يهودية الأصل، «فإن اليهود كثيرا ما يعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه عنها، وهي من صفات خلقه»[١].

فقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه، كقوله -تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨١]، وقوله رداً على وصفه سبحانه بالتعب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: الآية: ٣٨].

- **أقسام التمثيل:**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «حقيقة الشرك هو:

١ـ التشبه بالخالق.

٢ـ التشبيه للمخلوق به.

هذا هو التشبيه في الحقيقة»[٢].

وإذا كان التشبيه هو حقيقة الشرك كما ذكر ابن القيم، فإنه يمكن توضيح صوره بناءً على أقسام التوحيد الثلاثة المعروفة وذلك على النحو التالي:

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٥.

(٢) الجواب الكافي (١٥٩).

• أولاً: التمثيل في جانب الربوبية

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التشبيه للمخلوق به، ومثاله:

١- شرك القدرية القائلين بأن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته.

٢- شرك غلاة عباد القبور الذين يعتقدون في أصحاب القبور أنهم يتصرفون وينفعون ويضرون من دون الله.

ولا شك أن من خصائص الرب التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل به وحده. فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، -فضلاً عن غيره- شبيهاً لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيده، ومرجعها إليه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات»[(١)].

القسم الثاني: التشبه بالخالق، ومن أمثلته:

١- من تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم[(٢)].

ففي الصحيح عنه ﷺ قال: «يقول الله -عز وجل-: العظمة إزاري، والكبرياء

---

(١) الجواب الكافي (ص: ١٥٩-١٦٠).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٦١).

ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبته»[١].

• ثانياً: التمثيل في جانب الألوهية.

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التشبيه للمخلوق به، ومن أمثلة ذلك:

السجود لغير الله، والذبح لغير الله، والتوبة لغير الله، والحلف بغير الله.

فمن خصائص الإلهية، العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما:

١- غاية الحب.

٢- مع غاية الذل.

هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين. فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه.

فإذا عرف هذا، فمن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به.

ومنها التوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.

ومنها الحلف باسمه تعظيماً وإجلالاً له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به[٢].

القسم الثاني: التشبه به، ومثاله:

من دعا الناس إلى تعليق القلب به خوفاً، ورجاءً، وتوكلاً، والتجاءً،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وأحمد (٩٣٥٩) واللفظ لهما، وابن ماجه (٤١٧٤) باختلاف يسير.

(٢) انظر الجواب الكافي (ص١٦٠-١٦١).

واستعانةً[١].، كما يفعله بعض مشايخ طرق الصوفية مع مريديهم.

• أقسام التمثيل في باب الأسماء والصفات:

ينقسم التمثيل في باب الأسماء والصفات إلى قسمين:

القسم الأول: تمثيل المخلوق بالخالق.

وهذا ما زعمه النصارى في شأن عيسى -عليه السلام- إذ أعطوه خصائص الخالق -عز وجل- وجعلوه إلهاً.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها، ويشبهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة، وقالوا المسيح ابن الله»[٢].

ومن هذا القسم كذلك السبيئة[٣] من غلاة الروافض: الذين شبهوا علياً رضي الله عنه، بالله، وجعلوه إلهاً، وقالوا: أنت الله حتى حرقهم، فإنه خرج ذات يوم فسجدوا له. فقال لهم: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو. قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله الذي لا إله إلا هو.

فقال: ويحكم هذا كفر، فارجعوا عنه، وإلا ضربت أعناقكم، فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك، فأخرهم ثلاثة أيام -لأن المرتد يستتاب ثلاثة

---

(١) المصدر السابق (ص١٦١).

(٢) منهاج السنة (٥/ ١٦٩).

(٣) السبيئة: نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي أظهر الإسلام، وكاد للمسلمين كيداً عظيماً، وهو الذي قال لعلي: أنت الله. انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٣٣)، والملل والنحل (١/ ١٧٤).

أيام- فلما لم يرجعوا، أمر بأخاديد من نار فخدت عند باب كندة، وقذفهم في تلك النار، وروي عنه أنه قال:

لـما رأيـت الأمـر أمـراً مـنـكـراً أججت ناري ودعوت قنبراً».[1]

القسم الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق

وهذا ما زعمه اليهود قاتلهم الله إذ وصفوا الخالق ببعض صفات المخلوقين، كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه العزيز حيث قال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٨١]، وقال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: الآية: ٦٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فاليهود تصف الرب بصفات النقص التي يتصف بها المخلوق، كما قالوا: إنه بخيل، وإنه فقير، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب»[2].

وإنّه رمد وعادته الملائكة وإنّه بكى على طوفان نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[3].

ويدخل في هذا القسم المشبهة الذين جعلوا ما ورد من صفات الله-جل وعلا- مماثلاً ومشابهاً لصفات المخلوقين كقولهم له يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري.

المطلب الثالث: «كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل».

فكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل.

---

(١) منهاج السنة (١/ ٣٠٧).

(٢) منهاج السنة (٥/ ١٦٨).

(٣) منهاج السنة (٢/ ٦٢٧).

١- بيان جمع المعطلة بين التعطيل والتمثيل:

أما تمثيل المعطلة: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات.

فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته، بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم.

وتعطيل المعطلة: في نفيهم لما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات اللائقة به سبحانه.

وبذلك جمعوا بين التعطيل والتمثيل: مثلوا أولاً، وعطلوا آخرًا.

وامتاز أهل التعطيل عن أهل التمثيل بنفيهم المعاني الصحيحة للصفات.

مثال لجمع المعطلة بين التعطيل والتمثيل:

نصوص الاستواء، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: الآية: ٥].

فإن المعطل يقول: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام. فهذا المعطل لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم الذي جاء به المعطل تابع لهذا المفهوم.

وكان الواجب عليه أن يثبت لله استواء يليق بجلاله ويختص به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي هي من لوازم المخلوقات، ويجب نفيها في حق الله.

فأهل التعطيل وقعوا في أربعة محاذير:

الأول: كونهم مثلوا ما فهموه من النصوص بصفات المخلوقين، وظنوا أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنهم عطلوا النصوص عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله.

الثالث: أنهم بنفي تلك الصفات صاروا معطلين لما يستحقه الرب من صفات الكمال.

الرابع: أنهم وصفوا الرب بنقيض تلك الصفات، من صفات الأموات والجمادات والمعدومات(١).

٢-بيان جمع أهل التمثيل بين التعطيل، والتمثيل(٢):

أما تعطيل الممثل فمن وجوه ثلاثة:

أحدها: أنه عطل نفس النص الذي أثبت الصفة، حيث صرفه عن مقتضى ما يدل عليه، فإن النص دال على إثبات صفة تليق بالله لا على مشابهة الله لخلقه.

الثاني: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطله عن كماله الواجب، حيث شبه الرب الكامل بالمخلوق الناقص.

الثالث: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطل كل نص يدل على نفي مشابهة الله لخلقه، مثل قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: الآية: ٤].

أما تمثيل أهل التمثيل: فإنهم يقولون: إن الله ﷻ لا يخاطبنا إلا بما

---

(١) الرسالة التدمرية ص: ٧٩-٨٠

(٢) انظر: الفتوى الحموية ص: ٦٢-٦٣، ط: دار فجر للتراث

نعقل، فإذا كان مستويًا على العرش فهو كاستواء الإنسان على السرير، إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا، فامتاز هؤلاء الممثلة بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين، كما امتاز المعطلة بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي.

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها.

«فقد هدى الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى فأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، وتفوا عنه مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين وهديا بين ضلالتين.

فقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف.

بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نجهل.

ولا نقول: ليس له يدان، ولا وجه، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، ولا قدرة، ولا استوى على عرشه.

ولا نقول: له يدان كأيدي المخلوقين، ووجه كوجوههم وسمع وبصر وحياة وقدرة واستواء، كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم.

بل نقول: له ذات حقيقة ليست كذوات المخلوقين.

وله صفات حقيقة ليست كصفات المخلوقين.

وكذلك قولنا: في وجهه تبارك وتعالى، ويديه، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه.

ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك، الصفات وحقائقها، كما لم يمنع ذلك من أثبت لله شيئا من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها، فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة وفهم معناهما، فهكذا سائر الصفات المقدسة، يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك، ولا أراده منهم، ولم يجعل لهم إليه سبيلا»[١].

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٢٥-٤٢٧

المبحث السادس

الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات.

❑ وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: بيان مجمل الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني: بيان الأساس الأول من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.

المطلب الثالث: بيان الأساس الثاني من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: تنزيه الله جل وعلا أن يماثل شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين.

المطلب الرابع: بيان الأساس الثالث من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بصفاته.

المطلب الأول: بيان مجمل الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.

ارتكز معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسية، هي[١]:

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

الأساس الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفضل وتميز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل (من الفلاسفة وأهل الكلام) من جهة.

وعن عقيدة أهل التمثيل (من الكرامية والهشامية وغيرهم) من جهة أخرى.

فالأساس الأول: فيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة، فأهل السنة يجعلون الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا يتجاوزونها، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه.

«وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقًا، وأما في باب الأخبار فمن السلف من يمنع ذلك، ومنهم من

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ٢٥

يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عر وجل وجب رده»(١).

ومجمل القول إن في الأمر ثلاثة أبواب:

١- باب الأسماء: وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٢- باب الصفات: وهذا كذلك يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٣- باب الأخبار: وهذا لا يشترط فيه ورود النص الشرعي، ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسيء.

أما أهل التعطيل: فقد جعلوا «العقل» وحده هو أصل علمهم، فالشبه العقلية هي الأصول الكلية الأولية عندهم، وهي التي تثبت وتنفي، ثم يعرضون الكتاب والسنة على تلك الشبه العقلية، فإن وافقتها قبلت اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن عارضتها ردت تلك النصوص الشرعية وطرحت، وفي هذا يقول قائلهم: «كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزا له وجب التصديق به.

وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول.

وظواهر أحاديث التشبيه-يعني بها أحاديث الصفات-أكثرها غير صحيحة، والصحيح منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل»(٢).

---

(١) رسالة في العقل والروح ٢/ ٤٦-٤٧ لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية)

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص: ١٣٢-١٣٣. وقال في كتابه المستصفى ٢/ ١٣٧-١٣٨: «كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال، إذ الأدلة العقلية يستعجل نسخها وتكاذبها، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل، فإما أن لا يكون متواترًا فيعلم أنه غير صحيح، وإما أن يكون متواترًا فيكون مؤولاً ولا يكون متعارضًا».

فهذا النقل يبين لك مدى تقديم هؤلاء لشبههم العقلية وتعصبهم لها، وكيف أنهم يجعلونها هي الأصول والسمع معروضا عليها، فما أجازته عقولهم قبلوه، وما لم تجزه عقولهم شككوا فيه وانتقصوه، ومن ثم سعوا في تأويله وتحريفه، ومن يلقي نظرةً على كتب الأشاعرة مثلاً يجد أن القوم يقسمون أبواب العقيدة إلى إلهيات-ونبوّات-وسمعيات، وهم في باب الإلهيات والنبوات لا يقبلون نصوص الكتاب والسنة، ولذلك لن تجد في هذين البابين إلا الشبه العقلية المركبة وفق القواعد المنطقية، ويا عجبا أنأخذ ديننا من كلام الله ورسوله، أم من ملاحدة اليونان وتلاميذهم!

وأما باب السمعيات-أي البعث والحشر والجنة والنار والوعد والوعيد- فهم يقبلون فيه النصوص الشرعية، وبالتالي سموا هذا الباب بالسمعيات. في مقابل باب الإلهيات والنبوات، إذ إنهم يعتمدون فيهما على العقليات، وهؤلاء شابهوا حال من قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٨٥]

وأما الأساس الثاني: وهو تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة من جهة، وعن عقيدة المشبهة من جهة أخرى.

فأهل السنة: يعتقدون أن ما اتصف الله به من الصفات لا يماثله فيها أحد من خلقه، فالله عز وجل قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، فإذا ورد النص بصفة من صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة فيجب الإيمان به والاعتقاد

الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ، أن يكون معظمًا لله جل وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه، لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه، أخذا بقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]

أما أهل التعطيل: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة، فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل، وهذا الشر إنما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كاستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق، فيتلطخ القلب بأقذار التشبيه لم يقدر الله حق قدره ولم يعظم الله حق عظمته حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيكون أولاً نجس القلب بأقذار التشبيه ثم دعاه ذلك إلى أن ينفي صفة الخالق جلَّ وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولاً مشبهًا، وثانيًا معطلاً ضالّاً ابتداءً وانتهاءً متهجمًا على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق[1].

وأما عقيدة أهل التمثيل: فهي تقوم على دعواهم أن الله ﷻ لا يخاطبنا إلا

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ١٩-٢٠

بما نعقل، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا: له يد كيدي، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأمَّا العارفون به، المصدقون لرسله، المقرون بكماله فهم يثبتون لله جميع صفاته، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدًى بين ضلالتين.

وأما الأساس الثالث: ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة، فأهل السنة يفوضون علم كيفية اتصاف الباري عز وجل بتلك الصفات إلى الله عز وجل، فلا علم للبشر بكيفية ذات الله-تبارك وتعالى «ولا تفسير كنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا، وكل من تجرأ على شيء من ذلك فقوله من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل، واعتقاد ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى ورسوله ﷺ، فهو لم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]، فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه»(١).

وأما المشبهة فقد تعمقوا في شأن كيفيات صفات الله وتقولوا على الله بغير علم، فقالوا: له بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا، وسيأتي توضيح الأسس الثلاثة في المطالب الآتية.

---

(١) انظر: معارج القبول ١/ ٣٢٦-٣٢٧

المطلب الثاني: بيان الأساس الأول من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.

وهذا الأساس لابد فيه من مراعاة ما يلي:

أولاً: إن طلب العلم في المطالب الإلهية إنما يكون عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

فالذي يجب اعتقاده هو أن معرفة هذا النوع من أنواع التوحيد تتوقف على دراسة الكتاب والسنة، لأن هذا التوحيد يتطلب، أسماء وصفات معينة، وهذه لا سبيل إلى معرفتها والحصول عليها إلا من طريق الكتاب والسنة (فنحن نؤمن بالله تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته، فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأبين دليلاً من غيره)[١]، ولذلك كان معتقد أهل السنة هو الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه إثباتًا ونفيًا، لأنه لا يسمي الله أعلم بالله من الله، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: الآية: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: الآية: ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٥٩]، فالله -عز وجل-، هو الذي سمى ووصف نفسه بما جاء في نص كلامه الذي هو القرآن.

---

(١) معارج القبول ١/ ٣٣٠-٣٣١

ولا يسمي ويصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ ، الذي قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم: الآيات: ٣-٤]، ولقد جاءت رسالة النبي ﷺ بإثبات الصفات إثباتًا مفصلاً على وجه ثلجت به الصدور واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، وفصلت ذلك أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررته أكمل تقرير في أبلغ لفظ، ولذلك كان لزامًا على كل مسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

- قال ابن خزيمة رحمه الله (ت: ٣١١ هـ): «نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله عز و جل بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه»[(١)].
- وقال أيضًا: «لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه إما في كتاب الله أو على لسان نبيه بنقل العدل عن العدل موصولا إليه لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ولا نحتج أيضا في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس شيء منها أبدا مخالفا لكتاب الله، أو الشيء منه، فمن ادعى من الجهلة أن شيئا من سنن النبي إذا ثبت من جهة النقل مخالف لشيء من كتاب الله فأنا الضامن بتثبيت صحة مذهبنا على ما أبوح به منذ أكثر من أربعين سنة»[(٢)].
- قال الحافظ أبو نصر الوائلي البكري السجزي رحمه الله (ت: ٤٤٤ هـ]: «وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم أن اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع فإذا ورد السمع بشيء قلنا به، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف»[(٣)].

---

(١) التوحيد (١/ ٥٧) وينظر (١/ ٥١، ٦٥).
(٢) التوحيد (١/٣٧).
(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص: ١٥٣.

ثانيًا: تقديم الشرع على العقل، فالأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع. فمعتقد أهل السنة في هذا الباب وفي غيره من أبواب العقائد والأحكام أن العقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام، وإنما المرجع في ذلك إلى القرآن والسنة.

فالعقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف في ذلك على النص، لأن العقل يقصر عن إدراك حقيقة المغيبات حتى وإن كانت تلك المغيبات أقرب شيء إليه، فهو قاصر عن أن يحيط علمًا بحقيقة روحه التي بين جنبيه لما أخفى الله أمرها عنه، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]، فإذا كان الإنسان يجهل أمر روحه فكيف يحيط علمًا بذات الله وما يصلح وما لا يصلح لذاته من الأسماء والصفات، والله قد أخفى عن الخلق كيفية ذاته؟!.

«ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس باعتقاده من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفة الجنة وصفة النار، وجدناها أمورًا لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئًا من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد في ذلك، والشكر ومنه التوفيق، وما لم يمكنَّا إدراكه ولم تبلغه عقولنا آمنا به، وصدقناه، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه، ومشيئته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥]»(١).

«واعلم أن فصل ما بيننا وبين المعطلة هو «مسألة العقل»، فإنهم أسسوا

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٢١ بتصرف

دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعًا للمعقول.

وأما أهل السنة فقالوا: الأصل في الدين الإتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء»[١].

فالتقرير بأن النقل مقدم على العقل لا ينبغي أن يفهم منه أن أهل السنة ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف والتفكير به في خلق السموات والأرض، وفي الآيات الكونية الكثيرة، فأهل السنة لا ينكرون استعمال العقل، ولكنهم توسطوا في شأن «العقل» بين طائفتين ضلتا في هذا الباب، هما:

أهل الكلام: الذين يجعلون العقل وحده أصل علمهم، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية، المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

فهؤلاء جعلوا عقولهم هي التي تثبت وتنفي والسمع معروضا عليها، فإن وافقها قيل اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن عارضها رُدَّ وطُرِحَ، وهذا من أعظم أسباب الضلال التي دخلت على هذه الأمة.

وأهل التصوف: الذين يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية، والمقامات الرفيعة، لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب صريح العقل.

ويمدحون السكر والجنون والوله، وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها.

(١) المصدر السابق ١/ ٣٢٠

وكلا الطرفين مذموم.

وأما أهل السنة: فيرون أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاًّ بذلك.

فالعقل غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين.

فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس أو النار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.

وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه[(١)].

- **فائدة: «مسكن العقل»:**

سُئِل شيخ الإسلام ابن تيمية: أين مسكن العقل في الإنسان؟

فأجاب بقوله: «العقل قائمٌ بنفس الإنسان التي تعقل، وأمَّا البدن فهو متعلق بقلبه، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: الآية: ٤٦].

وقيل لابن عباس: بماذا نلت العلم؟

قال: «بلسانٍ سؤولٍ وقلبٍ عقولٍ»، لكن لفظ القلب قد يُرَادُ به:

١-المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن، التي جوفها

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣٨-٣٣٩ بتصرف

علقة سوداء، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» متفق عليه[١].

٢- وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقًا، فإن قلب الشيء باطنه، كقلب الحنطة، واللوزة والجوزة، ونحو ذلك، ومنه، سمي القُليب قُليبًا، لأنه أخرج قلبه وهو باطنه، وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضًا، ولهذا قيل: إن العقل في الدماغ كما يقوله كثير من الأطباء، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، ويقول طائفة من أصحابه: (إن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ).

والتحقيق «أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا، لكن:

مبدأ الفكر والنظر في الدماغ.

ومبدأ الإرادة في القلب.

والعقل يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريدًا إلا بعد تصور المراد، فلابد أن يكون القلب متصورًا، فيكون منه هذا وهذا، ويبتديء ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء.

وكلا القولين له وجه صحيح»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/ ١٢٦ ح٥٢، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٥/ ٥٠-٥١

(٢) رسائل في العقل والروح ٢/ ٤٨-٤٩ (مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية)

ثالثًا: الإيمان بما دلت عليه نصوص الأسماء والصفات من المعاني والأحكام.

فالسلف يؤمنون بأسماء الله وصفاته، وبما دلت عليه من المعاني والأحكام، أما كيفيتها فيفوضون علمها إلى الله.

وهم برآء مما اتهمهم به المعطلة الذين زعموا أن السلف يؤمنون، بألفاظ نصوص الأسماء والصفات، ويفوضون معانيها.

وهذا الزعم جهل على السلف، فإنهم كانوا أعظم الناس فهما وتدبرًا لآيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ، خاصة فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى، فكانوا يدرون معاني ما يقرأون ويحملون من العلم، ولكنهم لم يكونوا يتكلفون الفهم للغيب المحجوب، فلم يكونوا يخوضون في كيفيات الصفات شأن أهل الكلام والبدع، فإنهم حين خاضوا في ذات الله وصفاته وقعوا في التأويل والتعطيل، وإنما ألجأهم إلى ذلك، الضيق الذي دخل عليهم بسبب التشبيه، فأرادوا الفرار منه فوقعوا في التعطيل،، ولم يقع تعطيل إلا بتشبيه، ولو أنهم نزهوا الله تعالى ابتداء عن مشابهة الخلق، وأثبتوا الصفة مع نفي المماثلة لسلموا ونجوا، ولوافقوا اعتقاد السلف ولبان لهم أن السلف لم يكونوا حملة أسفار لا يدرون ما فيها.

ومن تدبر كلام أئمة السلف المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظرًا، وأعلم الناس في هذا الباب، وأن الذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، ولذلك صار أولئك الذين خالفوا مختلفين في الكتاب، مخالفين للكتاب، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٦].

ومن له اطلاع على أقوال الأسف المدونة في كتب العقيدة والتفسير

والحديث عند الحديث عن نصوص الصفات يعلم أن السلف تكلموا في معاني الصفات وبينوها ولم يسكتوا عنها، وهذه الأقوال هي أكبر شاهد على فهم السلف لمعاني الصفات وإيمانهم بها.

رابعًا: رفض التحريف والتعطيل لنصوص الأسماء والصفات.

فالسلف يعتقدون أن الواجب في نصوص القرآن والسنة بما في ذلك نصوص الأسماء والصفات هو إجراؤها على ظاهرها، وذلك بأن تُفهتم وفق ما يقتضيه اللسان العربي، وأن لا يتعرض لها بتحريف أو تعطيل كما فعل المعطلة، الذين تلاعبوا بظواهر النصوص! لمجرد أنها خالفت باطلهم ومناهجهم الفاسدة(١).

فنصوص الصفات ألفاظ شرعية يجب أن تحفظ لها حرمتها، وذلك بأن نفهمها وفق مراد الشارع، فلا نتلاعب بمعانيها لنصرفها عن مراد الشارع.

فمن الأصول الكلية عند السلف أن الألفاظ الشرعية لها حرمتها، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد الله ورسوله بها ليثبت ما أثبته الله ورسوله من المعاني، وينفى ما نفاه الله ورسوله من المعاني(٢).

وبحمد الله وفضله نجد أن نصوص الصفات الواردة في القرآن والسنة هي من الوضوح والكثرة بمكان، بحيث يستحيل تأويلها والتلاعب بنصوصها، فلقد جاءت رسالة النبي ﷺ بإثبات الصفات إثباتًا مفصَّلاً على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء، وحصل به العلم اليقيني، ورفع الشك والريب، فثلجت به الصدور، واطمأنت به القلوب، واستقر الإيمان في نصابه، فلقد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٣٠١

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ١١٣-١١٤ بتصرف

فصلت رسالة نبينا محمد ﷺ الأسماء والصفات والأفعال أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررت إثباتها أكمل تقرير في أبلغ لفظ.

فالمطلع على نصوص القرآن والسنة الخبير بهما، لا يزيده تحريف المعطلة لتلك النصوص إلا احتقارًا لهم، ويقينًا بفساد معتقدهم وبطلانه.

ولا تروج تحريفات المعطلة إلا على الجاهل بمعرفة تلك النصوص قليل البضاعة فيها، فهذا الصنف! أتي من جهة جهله لا من قلة النصوص الواردة في هذا الباب، والله أعلم.

❑ قال المقريزي رحمه الله (ت: ٨٤٥ هـ) في كلامه على افتراق الناس في نصوص الصفات: «فصار للمسلمين في ذلك خمسة أقوال:

أحدها: اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة.

وثانيها: السكوت عنها مطلقا،

وثالثها: السكوت عنها بعد نفي إرادة الظاهر،

ورابعها: حملها على المجاز،

وخامسها: حملها على الاشتراك»[(١)].

❑ وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي[(٢)] (ت: ٦٩٤ هـ): «وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع

---

(١) الخطط المقريزية ٣/ ٣١٩ .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عماد الدين الواسطي، البغدادي، فقيه كان شافعا، قدم دمشق فتتلمذ على ابن تيمية وانتقل إلى المذهب الحنبلي ورد على المبتدعة الذين خالطهم. من كتبه اختصار دلائل النبوة»، و «شرح منازل السائرن وغيرها. الأعلام ١/ ٨٩، الدرر الكامنة ١/ ١١، الشذرات ٩/ ٢٩.

ذلك: من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل»[(١)].

● **ومن أقوال العلماء في تقرير هذا الأساس:**

❑ قول عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٤ هـ) - وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب - «وقد سئل فيما جحدت به الجهمية:

أما بعد: فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب [العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وكَلَّت الألسن عن] تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد مساغًا فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أُمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال «كيف»؟ لمن لم يكن ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول، ولم يَزَلْ، وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبد ومن لم يمت، ولا يبلى، وكيف [يكون] لصفة شيء منه حد أو منتهى؟ يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين، لا حق أحق منه، ولا شيء، أبين منه. الدليل على عجز العقول في تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغرًا يحول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر، لما يتقلب به ويحتال من عقله، أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادات، وربهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١].

---

(١) النصيحة في صفات الرب جل وعلا ص ٩.

اعرف ـ رحمك الله ـ غناك عن تَكَلُّف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها، إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته، أو تنزجر به عن شيء من معصيته؟

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقًا وتكلفًا، فقد ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: الآية: ٧١] فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن [قال]: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا فعمي عن البَيِّن بالخفي، وجحد ما سمى الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الرب ـ عز وجل ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣] فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه، ونضرته إياهم ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: الآية: ٥٥]، «وقد قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه ينظرون.

إلى أن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟

فقال رسول الله ﷺ: «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك».

وقال رسول الله ﷺ: «لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه،

فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض».

وقال لثابت بن قيس رضي الله عنه: «لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة».

وقال فيما بلغنا: «إن الله ليضحك من أزلِكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم»، فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ [قال: «نعم». قال: لا نعدم من رب يضحك خيرًا» في أشباه لهذا مما لم نحصه.

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: الآية: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: الآية: ٣٩]، وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٦٧]. فوالله ما دلَّهُم على عِظَم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته إلا صغر [نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي] ألقى في روعهم، وخلق على معرفة [قلوبهم]، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله ﷺ سميناه كما أسماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا ـ لا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.

اعلم-رحمك الله-أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حد لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيبًا، ولا تتكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدرًا.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك

ـ من ذكر ربك ـ فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك [معرفة] ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم [تكلف] ما وصف الواصفون مما لم يصف منها.

فقد ـ والله عَزّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله من نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلبُ مسلم، ولا تكلَّف صفة قدرة ولا تسمية غيره من الرب مؤمن.

وما ذكر عن الرسول ﷺ أنه سماه من صفة ربه، فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب من نفسه.

والراسخون في العلم ـ الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها ـ لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدًا، ولا يتكلَّفون وصفه بما لم يُسم تعمُّقًا، لأن الحقَّ تركُ ما ترك وتسميةُ ما سمَّى ومن يتبع ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: الآية: ١١٥]، وَهَبَ اللهُ لنا ولكم حُكْمًا، وألحَقَنا بالصالحين اهـ.

وقد تضمن كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدداً من المسائل منها:

أن هناك أربعة أمور لابد من مراعاتها في باب الصفات:

أولاً: الإثبات في قوله: «**فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله** ﷺ سميناه كما أسماه» أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

ثانيًا: عدم الزيادة في قوله: «**ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا**»ـ أي: لا نزيد على ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

ثالثا: التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه في قوله: «**ولا نتكلف معرفة ما لم يصف**» أي لا نخوض ونتكلف في معرفة ما لم يرد به النص.

رابعاً: عدم النقص في قوله: «**لا نجحد ما وصف**» أي: لا ننقص مما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

وقوله: «**اعلم ـ رحمك الله ـ أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك ولا تجاوز ما حد لك**»، هذه قاعدة لو التزمها العبد لسلِم ونجا، قف عند ما أخبرك الله من الغيب ولا تتجاوز ذلك الحد، «**فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر** »: أي: من إقامة الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر.

«**فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافنّ في ذكره**» يعني: اصدع به، وقل ربنا يضحك، وربنا يغضب، وربنا يرضى، لماذا تجبن في هذه المواقف؟ مع أن عندك كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ؟

«**وصفته من ربك ما وصفه من نفسه عيبًا**»، يعني: لا تخف عيب أن يُعاب عليك فيُقال لك مشبِّه، أو يُقال لك مجسِّم، أو يُقال لك حشوي، أو يُقال وهَّابي، وغير ذلك من العبارات التي تسمعها، ومعك من ذلك دليلٌ من كلام الله-تعالى-وكلام رسوله ﷺ؟

فلا بُدَّ من إقامة المعروف ولا بُدَّ من إنكار المنكر، أمة تعطِّل وتجحد، وأنت على الحق تعرف الحق وعندك دليله، لماذا لا تصدع بالحق؟ ولماذا لا

تنكر المنكر الذي هو في هذا الباب هو التعطيل؟ «**ولا تتكلفنّ لما وصف لك من ذلك قدرًا**» يعني: لا تخض في الكيفية كما وقع المشبه في هذا.

«**وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك، فلا تكلفن علمه بعقلك**»، هذا الباب ليس فيه رأي وليس فيه اجتهاد، فيه نص فقط، فإن جاء النص فبها، وإلا فاسكت ولا تخض فيما لا علم لك بك.

ليس الأمر كمسائل الفروع مثلًا، أو مسائل ما يتعلق بأمور الفقه، فأمور الفقه تخضع لاجتهاد في حال عدم النص، لكن أمور الاعتقاد لا بُدَّ فيها من نص.

«**ولا تصفه بلسانك**» يعني: هذا في حق ما لم يرد، نصيحة غالية من أحد أئمة السلف: لا تتجاوز الحدَّ الذي يُحدُّ لك، فما جاء به النص فآمن وسلم، وما لم يأت به النص فعندنا هنا في هذا الباب ثلاثة أمور:

- أمورٌ أثبتها الله لنفسه فنثبت ما أثبته لنفسه.
- أمورٌ نفاها عن نفسه فننفي ما نفاه عن نفسه.
- وأمورٌ لم يرِد بها نفيٌ ولا إثبات فنتوقف فيها ولا نخوض فيها.

هذه ثلاثة أمور: نثبت ما أثبته لنفسه، وننفي ما نفاه عن نفسه، وما لم يرد إثباته أو نفيه نسكت عنه ولا نخوض فيه.

«**فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها**» يعني: يستوي، فهذا محظور وهذا محظور، التعطيل محظور وكذلك التقول على الله بغير علم محظور، «**فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظِم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها**».

إذًا كما أنت تكبر وتعظم ما فعله المعطِّلة من جحد الصفات، فكذلك أكبر وأعظم التقول على الله بغير علم، وقلنا إن هذا من سبيل الشيطان؛ لأن الله تعالى عندما ذكر الشيطان ذكره بذلك، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: الآية: ١٦٩] فهذا من سبيل الشيطان.

فإذًا من القول على الله ﷻ بغير علم: أن تصفه بما لم يصف به نفسه، فهل هناك أسلم من هذا المنهج؟! منهجٌ يقف مع النص ولا يتجاوز النص، فبالتالي ما أثبته الله لنفسه يُثبت، وما نفاه عن نفسه يُنفى، وما لم يثبته أو ينفه فنقف فيه فلا نخوض فيه لا نفيًّا ولا إثباتًا.

«**فقد-والله-عز المسلمون**» يعني: قل الذين على المعتقد الصحيح، «**الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن**» فهذا حال المؤمن.

فهذه نصوص واضحة لو أن الإنسان نظر لها النظرة السليمة، ولكن كما قال الشاعر:

وكَمْ من عائِبٍ قوْلًا صَحيحًا ... وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ

فالسبب في هذا: أفهام سقيمة، وإن النصوص واضحة وثابتة، فالخلل هنا إما أن يكون في النصوص، أو يكون في عقول هؤلاء، وحاشا أن يكون في النصوص، فالنصوص ثابتة والله تعالى أخبر عن استوائه ونبيه ﷺ أخبر عن نزوله، وهكذا في سائر صفاته بين الكتاب والسُنَّة نصوص ثابتة صريحة صحيحة.

لكن الخلل من أفهام تنظر إلى هذه الأمور بنظرةٍ غير صحيحة وغير سليمة، فهذه النصوص فلذلك عزَّ والله من يعرف المعروف وينكر المنكر، وهذه النصوص واضحة وصريحة وامتلأت بها الكتب التي حوت هذا الأمر.

«**وما ذُكر عن رسول الله** ﷺ أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب تعالى من نفسه» يعني: ما جاء في السُنَّة مثل ما جاء في القرآن لا نفرق بين هذا وبين هذا، فهذا وحيٌ متلو، وهذا وحيٌ غير متلو، وكلٌ نحن متعبدون به، الإيمان به والتصديق به والإقرار به كما أخبر الله تعالى، والله تعالى قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية: ٧].

«**والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها، لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدها، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقًا**» فانظر المنهج الصحيح: يثبتون ما أثبته لنفسه ولا يجحدون، وكذلك ما أثبتوه لا يخوضون في كيفيات، «**لأن الحق ترك ما ترك، وتسمية ما سمى**».

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا كله كلام ابن الماجشون (ت: ١٦٤ هـ) الإمام فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقة لغيره من الأئمة، وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزم من إثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية: أنه يلزم أن يكون جسمًا أو [عَرَضًا فيكون].»
- قول عبد الرحمن بن قاسم العُتَقي من كبار فقهاء المالكية، صحب مالكاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩١ هـ): «لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن»[١].

(١) انظر: رياض الجنة بتخريج أصول السنة ص (٧٥) برقم (٢٥)، والصفات أيضاً تؤخذ =

❐ وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤ هـ): «حرامٌ على العقول أن تُمَثِّل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحدَّه، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكِّر، وعلى الضمائر أن تعمَّق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ»[(١)].

❐ قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤ هـ): «هذه المعاني التي وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، لا يُدرك حقيقة ذلك بالفكر والرؤية»[(٢)].

❐ قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤ هـ): «نثبت هذه الصفات، وننفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه -تعالى- ذكره، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۭ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]»[(٣)].

❐ وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية، ... ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت»[(٤)].

❐ وقال سحنون (ت: ٢٥٦ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه»[(٥)]..

= من السنة الصحيحة، ولعل قول عبد الرحمن بن القاسم جاء على الغالب، والله أعلم.

(١) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص: (٢٣٤-٢٣٥) برقم (٣٤).

(٢) اعتقاد الإمام الشافعي، رواية أبي طالب العشاري (١٨).

(٣) اعتقاد الإمام الشافعي، رواية أبي طالب العشاري (١٨).

(٤) انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص (٢٣٤) برقم (٣٣).

(٥) انظر: التمهيد (٧/١٤٦)، ذم التأويل لابن قدامة ص (٢٣٦) برقم (٣٨).

❐ وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٧٦ هـ)، عن نصوص الصفات: «نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها ... من غير أن نقول في ذلك بكيفية، أو بحد، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجوا أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدًا، إن شاء الله تعالى»[(١)].

❐ وقال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠ هـ): «لا نكيف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف الناطق من كتابه ثم ما وصف رسوله»[(٢)].

❐ وقال الدارمي (ت: ٢٨٠ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلًا، أو صفة، بفعالهم، وصفتهم»[(٣)].

❐ وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠ هـ) عن الصفات: «الصواب من هذا القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات، ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]»[(٤)].

❐ وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١١ هـ)، عن أحاديث نزول الرب -جَّل وعلا-: «رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب -جل وعلا- إلى السماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله -جل وعلا- لم يترك ولا نبيه -عليه السلام- بيان ما

---

(١) الاختلاف في اللفظ (٢٤٣) مطبوع ضمن كتاب عقائد السلف للنشار.
(٢) نقض الدارمي (٢/ ٦٨٠).
(٣) الرد على الجهمية (٩٣).
(٤) التبصير في معالم الدين (١٤٠) وينظر: (١٤٢،١٤٤).

بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول»[١].

- وقال ابن خزيمة (ت: ٣١١ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «نحن نثبت لخالقنا -جل وعلا- صفاته التي وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى ﷺ، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه»[٢].
- وقال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢٩ هـ) «ولا يقول في صفات الرب -تعالى-: كيف؟ ولِمَ؟ إلا شاك في الله»[٣].
- وقال أبو بكر الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٧٠ هـ): «اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن مذهب أهل الحديث -أهل السنة والجماعة-: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله -تعالى-، وما صحت به الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، لا معدل عما وردا به، ولا سبيل إلى رده... ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى، موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه ﷺ»[٤].
- وقال الإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٨ هـ): «إن صفات الله -تعالى- لا تؤخذ إلا من كتاب أو من قول رسول الله ﷺ دون قول أحد من الناس كائناً من كان علت درجته أو نزلت تقدم زمانه أو تأخر لأنها لا تدرك من

---

(١) التوحيد (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) التوحيد (١/ ٥٧).

(٣) شرح السنة (٤١).

(٤) اعتقاد أهل السنة (٣١-٣٢) وأورده الذهبي بإسناده في العلو (٢٢٩) وفي السير (١٦/ ٢٩٥)، وانظر: مختصر العلو للألباني (٢٤٨).

طريق القياس والاجتهاد فيكون فيها لقائل مقال ولناظر مجال»[١].

❑ وقال أيضاً: «ومن علم هذا الباب -أعني الأسماء والصفات- ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام»[٢].

❑ قال ابن عقيل رحمه الله (ت: ٥١٣ هـ) في الكفاية[٣]: «فصل عجيب يخفى على كثير من الأصوليين: وذلك أنه لا يجوز الإغراق في الإثبات مجاوزة لما أثبته الشرع ودلَّ عليه، كذلك لا يجوز الإغراق في النفي ولا الإقدام على نفي شيء عن الله إلا بدليل؛ لأن النفي أيضا لا يؤمن معه إزالة ما وجب له سبحانه، فالنفي يحتاج إلى دليل كما أن الإثبات يحتاج إلى دليل، كما أن إثبات ما لا يجب له كفر، فنفي ما جُوِّزَ عليه خطأ وفسق، ومثال ذلك: أن يغرق هؤلاء الخطباء والقصاص في نفي النقائص، ثم يدرجون فيها ما وردت به السنن ويقولون ليس بفوق ولا تحت ولا يدرك ولا يعلم ولا يعرف ولا ولا، فربما ساقوا في نفيهم نفي صفة وردت بها السنن»[٤].

❑ وعلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «وهذا هو الصواب عند السلف والأئمة وجماهير المسلمين أنه لا يجوز النفي إلا بدليل

---

(١) نقلاً عن بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٤٢).

(٢) شأن الدعاء ص (١١١).

(٣) «كفاية المفتي» في عشر مجلدات، ويسمى أيضاً: «الفصول»، معظمه مفقود، وتوجد منه قطعتان مخطوطتان، إحداهما: بدار الكتب المصرية، والأخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق، انظر: مقدمة تحقيق كتاب «الواضح في أصول الفقه» (١/ ١٩).

(٤) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في بيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٩).

كالإثبات، فكيف ينفى بلا دليل ما دل عليه دليل إما قطعي وإما ظاهري، بل كيف يقال: ما لم يقم دليل قطعي على ثبوته من الصفات يجب نفيه أو يجب القطع بنفيه، ثم يقال في القطعي إنه ليس بقطعي، فهذه المقدمات الفاسدة هي وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين»[(١)].

- وقال الإمام السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٤٤ هـ): «وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف ... ولا يجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ»[(٢)].

- وقال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦٣ هـ): «... ما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله-تعالى-إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ»[(٣)].

- وقال قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٣٢ هـ): «قال علماء السلف: جاءت الأخبار عن النبي ﷺ متواترة في صفات الله تعالى، موافقة لكتاب الله-تعالى-، نقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة، والإيمان به والتسليم، وترك التمثيل والتكييف، وأنه-عَزَّ وَجَلَّ-أزلي بصفاته وأسمائه، التي وصف بها نفسه، أو وصفه الرسول ﷺ بها، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدا، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت دخل في حكم التشبيه في الصفات التي هي محدثة في المخلوق، زائلة بفنائه غير باقية، وذلك أن الله-تعالى-امتدح نفسه بصفاته، ودعا عباده إلى مدحه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٩).

(٢) الردّ على من أنكر الحرف والصوت ص (١٢١).

(٣) التمهيد (٧/ ١٤٥).

بذلك، وصدق به المصطفى ﷺ، وبين مراد الله فيما أظهر الله لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته، وكان ذلك مفهومًا عند العرب غير محتاج إلى تأويله»[(١)].

❐ وقال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله (ت: ٦٢٠ هـ): «فإن صفات الله تعالى لا تُثبت ولا تُنفى إلا بالتوقيف»[(٢)].

❐ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «وباب الأسماء والصفات يُتَّبَع فيها الألفاظ الشرعية، فلا نطلق إلا ما يرد به الأثر»[(٣)].

وقال أيضاً: «ومن الوجوه الصحيحة أن معرفة الله بأسمائه وصفاته على وجه التفصيل لا تعلم إلا من جهة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، إما بخبره وإما بخبره وتنبيهه ودلالته على الأدلة العقلية، ولهذا يقولون لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ قال الله -تعالى-: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصفات: الآيات: ١٨٠-١٨٢]»[(٤)].

وقال رحمه الله: «ومعلوم أن الوصف بالنفي كالوصف بالإثبات»[(٥)]. أي يحتاج فيهما إلى دليل من الكتاب والسنة.

وقال أيضاً: «فالأصل في هذا الباب -أي باب توحيد الأسماء واصفات-، أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً، فيثبت

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٨٣) و(٢/ ٥٤٩).
(٢) ذم التأويل لابن قدامة ص: (١٢١).
(٣) قاعدة في المحبة، ضمن جامع الرسائل (٢/ ٢٣٩).
(٤) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٤٨).
(٥) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٤٤).

لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه»(١).

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «فنثبت ما علمنا ثبوته، وننفي ما علمنا نفيه، ونسكت عما لا نعلم نفيه ولا إثباته»(٢).

وقال أيضاً: «بل النافي عليه الدليل على نفي ما نفاه، كما على المثبت الدليل على ثبوت ما أثبته، ومن ليس عنده دليل على النفي والإثبات، فعليه أن لا ينفى ولا يثبت فغاية ما عنده التوقف في نفي ذلك وإثباته»(٣).

وقال أيضاً: «وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: الآية: ١٨٠]، أي: عما يصفه الكفار المخالفون للرسل، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: الآية: ١٨١]، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: الآية: ١٨٢]، فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصَّل ونفي مجمل، فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات كان معطلاً، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً،

---

(١) التدمرية ص (٦-٧).

(٢) التدمرية ص (١٤٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٤٤).

والمعطِّل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهو ردٌّ على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وهو ردٌّ على المعطِّلة»[(١)].

وقال أيضاً: «فالواجب أن ينظر في هذا الباب فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني»[(٢)].

❐ وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي»[(٣)].

❐ وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٩٢ هـ): «فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يُعتصم بها في الإثبات والنفي، فنُثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني»[(٤)].

❐ وقال ابن الوزير اليمني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٤٠ هـ): «وأيضا فأسماء الله وصفاته توقيفية شرعية وهو أعز من أن يطلق عليه عبيده الجهلة ما رأوا من ذلك»[(٥)].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٤٠٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٥٤).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٤٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص: (٢٦١).

(٥) إيثار الحق على الخلق ص: (٣٠٨).

❑ وقال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١٤ هـ): «حيث إن أوصاف الله تعالى توقيفية»[(١)].

❑ وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٢١ هـ): «إذا قال قائل: هل الصفات توقيفية كالأسماء، أو هي اجتهادية؛ بمعنى أنه يصح لنا أن نصف الله -تعالى- بشيء لم يصف به نفسه؟

فالجواب أن نقول: إن الصفات توقيفية على المشهور عند أهل العلم، كالأسماء، فلا نصف الله إلا بما وصف به نفسه»[(٢)].

هذه بعض النقول من بعض الأئمة فيها بيان أن توحيد الأسماء والصفات عموماً وباب الصفات منه، توقيفيٌ لا يؤخذ إلا من الكتاب والسنة، وهذا شاملٌ للنفي والإثبات، فكما أننا لا نثبت لله -عَزَّ وَجَلَّ- شيئاً إلا إذا ورد في الكتاب والسنة، فكذلك لا ننفي عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- شيئاً إلا إذا ورد نفيه في الكتاب والسنة.

فكلام هؤلاء الأئمة صريح في أن هذا الباب توقيفي؛ لأنه من باب الغيب الذي لا يُعْلَم إلا بخبر من الله -عَزَّ وَجَلَّ- على لسان رسوله ﷺ، في كتابه -عَزَّ وَجَلَّ- أو سنة نبيه ﷺ الصحيحة، والكلام فيه دون توقيف من أعظم الافتراء على الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهو من الأبواب التي لا يصلح معها النظر العقلي الصِّرف؛ لأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- قرر بأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وإذا كان كذلك، كان لابد من اعتماد على النصوص الشرعية.

---

(١) الردّ على القائلين بوحدة الوجود ص: (١١٣).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٤٢).

المطلب الثالث: بيان الأساس الثاني من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: تنزيه الله جل وعلا أن يماثل شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين.

فتوضيحه يكون وفق ما يلي:

- **أولاً: الأدلة الشرعية الواردة في تنزيه، الله عن مشابهة المخلوقين:**

١- قال -تعالى-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: الآية: ١١].

٢- وقال -تعالى-: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [النحل: الآية: ٧٤].

٣- وقال -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: الآية: ٦٠].

٤- وقال -تعالى-: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الروم: الآية: ٢٧].

٥- وقال -تعالى-: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: الآية: ٦٥].

٦- وقال -تعالى-: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١].

٧- وقال -تعالى-: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: الآية: ٤].

- **وجه دلالة الآيات:**

١- قوله -عز وجل-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: الآية: ١١]: دليل على أن الله منزه عن أن يكون له مثل في شيء مما يوصف به من صفات كماله[(١)].

والآية: في تفسيرها وجهان:

الأول: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل «المثل» في الكلام توكيدًا للكلام.

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٩٨

والثاني: أن يكون معناها: ليس مثله شيء، فتكون «الكاف» هي المدخلة في الكلام توكيدًا [١] وهذا وجه قوي حسن وهو الأظهر[٢].

وقد اتفق أهل السنة على أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله[٣].

٢- وقوله-تعالى-: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ .[النحل: الآية: ٧٤]:

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١٠ هـ) في تفسيرها: «فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل ولا شبه»[٤].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٧٤ هـ): «أي لا تجعلوا له أندادًا وأشباهًا وأمثالاً»[٥].

٣- وقوله-تعالى-: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ . [النحل: الآية: ٦٠].

٤- وقوله-تعالى-: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .[الروم: الآية: ٢٧]

«فالله تعالى وصف نفسه بأن له المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلَّما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى من غيره.

---

(١) تفسير الطبري ٢٥/ ١٢-١٣

(٢) شرح الطحاوية ص: ١٤٦

(٣) شرح الطحاوية ص: ٩٩

(٤) تفسير الطبري ١٤/ ١٤٨.

(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٨.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة»[(١)].

٥-وقوله-تعالى-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ .[مريم: الآية: ٦٥]: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها قوله: «هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً»[(٢)].

وكذلك قال مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) وسعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) وقتادة (ت: ١١٨ هـ) وابن جريج (ت: ١٥٠ هـ)، وغيرهم[(٣)].

٦-وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية: ١/]، فالأحد يقتضي أنه لا مثل له ولا نظير.

٧-وكذا قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: الآية: ٤]، فالوحدانية تقتضي الكمال، والشركة تقتضي النقص[(٤)].

- **ثانيًا: دلالة العقل على بطلان.شبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين:**

١- القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شي لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات،

---

(١) الصواعق المنزلة ٣/ ١٠٣٢، وشرح الطحاوية ص: ١٤٤.
(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦.
(٣) تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٣١.
(٤) مجموع الفتاوى ١٦/ ٩٩.

فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات[١].

فقد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر من صفات المخلوقين المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكهما في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينهما وبين الخالق أجلى وأقوى[٢].

وبهذا نعلم أن الله لا مثل له، ولا تضرب له الأمثال، التي فيها مماثلة لخلقه، بل له المثل الأعلى.

٢- أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا[٣].

٣- «إذا كان المخلوق منزهًا عن مماثلة المخلوق، مع الموافقة في الاسم، فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في الاسم»[٤].

«فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات، من أصناف المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمساكن، فأخبرنا أن فيها لبنًا وعسلاً وخمرًا وماءً ولحمًا وفاكهةً وحريرًا وذهبًا وفضةً وحورًا وقصورًا.

---

(١) الرسالة التدمرية ص: ٤٣

(٢) القواعد المثلى ص: ٢٦

(٣) القواعد المثلى ص: ٢٦

(٤) الرسالة التدمرية ص ٥٠

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء»[(١)].

فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها، هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا، وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق، وهذا بين واضح[(٢)].

• ثالثًا: فصل ما بين معتقد أهل السنة في هذا الأساس ومعتقد أهل التعطيل وأهل التمثيل:

قال شارح الطحاوية: « اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ولكن لفظ «التشبيه» قد صار في كلام الناس لفظًا مجملاً يراد به:

١- المعنى الصحيح: من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، وهذا ما دل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى الآية: ١١]،

---

(١) أخرجه مسدد في مسنده كما عند ابن حجر في المطالب العالية (١٨/ ٦٩٦) من طريق يحيى بن سعيد القطان، والطبري في تفسيره ت شاكر (١/ ٣٩١-٣٩٢) أخرجه هناد بن السري في الزهد (١/ ٤٩) ومن طريقه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (١/ ١٤٧) وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (ص: ٢١٠) وابن عساكر في معجمه (٢/ ٩٣٨).

(٢) المصدر السابق ص ٤٧

فهذا رد على الممثلة المشبهة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوقين فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم.

٢- المعنى المردود: أن يراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات فلا يقال: له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لأن العبد موصوف بهذه الصفات ولازم هذا القول إنه لا يقال له: حي، عليم، قدير، لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك[١].

وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتا في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقًا كليًا، بل لا يوجد إلا معينًا مختصًّا.

وهذه الأسماء إذا سُمي الله بها كان مسمَّاها معينا مختصا به.

فإذا سُمي بها العبد كان مسماها مختصًّا به.

فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى فزادوا فيه على الحق فضلوا.

وأن المعطلة أخذوا نفى المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا.

---

(١) شرح الطحاوية ص: ٩٩ بتصرف

وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه[(١)].

❑ **ومن أقوال العلماء في تقرير هذا الأساس:**

❑ قال أبو عبد الله بن أبي زَمِنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٩ هـ): «فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه ﷺ ليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم تره العيون فتَحُدُّه كيف هو كينونته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به»[(٢)].

❑ وقال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٦٣ هـ): «الذي عليه أهل السنة، وأئمة الفقه والأثر، في هذه المسألة-أي مسألة الصفات-وما أشبهها، الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها، والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه»[(٣)].

المطلب الرابع: بيان الأساس الثالث من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بصفاته:

وتوضيح هذا الأساس يتم بما يلي:

• **أولاً: إن الله لم يطلع الخلق على ذاته ولم يكلفهم معرفة ذاته.**

لم يشأ الله-عَزَّ وَجَلَّ-أن يجعل للعباد من سبيل إلى معرفة كيفية وكنه صفاته،

(١) شرح الطحاوية ص ١٠٤ بتصرف
(٢) رياض الجنة بتخريج أصول السنة (ص: ٧٤).
(٣) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٨).

فقد سد سبحانه الطرق الموصلة إلى ذلك، فهو من جهة لم يطلع الخلق على ذاته، فهذا باب موصود إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث: «اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»(١).

ومن جهة ثانية لم يخبرنا الله-عز وجل-بكيفية وكنه صفاته في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فما وردت به النصوص إنما هو إثبات وجود لتلك الصفات لا إثبات كيفية.

ومن جهة ثالثة فإن الله لم يكلف العباد معرفة كيفية صفاته، ولم يتعبدهم بذلك ولا أراده منهم، بل قصرهم على الإيمان بما أخبرهم به، فالواجب عليهم أن يؤمنوا الإيمان الصحيح بما كلفوا به، وأن لا يتجاوزوا حدود ذلك.

وقد ورد النص في وجوب قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله، فإدراك ذلك مستحيل، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: الآية: ١١٠]

- قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (ت: ١٣٩٣ هـ): «إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا ما نص عليه في هذه الآية: من سورة طه، فقوله: ﴿يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾ [طه: الآية: ١١٠]، فعل مضارع منفي، والفعل الصناعي الذي يسمى (بالفعل المضارع، وفعل الأمر، والفعل الماضي) ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا، فيحيطون في مفهومها (الإحاطة) فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٦٤)، وأحمد (٢٢٧٦٤) باختلاف يسير.

البشري برب السموات والأرض، فينفى جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة منفية (للخلق) عن رب العالمين»[(١)].

● **ثانيًا: قصور العقل عن معرفة كيفية صفات الله.**

إن على العقل أن ييأس من تعرف كنه الصفات وكيفياتها لعجزه عن معرفة ذلك، لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله، فوجب بطلان تكييفها.

وعلم الإنسان محدود كما أخبر الله بذلك، حيث قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

وإذا كانت نفس الإنسان التي هي أقرب الأشياء إليه بل هي هويته، لا يعرف الإنسان كيفيتها ولا يحيط علمًا بحقيقتها، فالخالق جل جلاله أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علمًا بحقيقته[(٢)].

وقد أدب الله عباده المؤمنين ووجههم بأن لا يخوضوا في أمور لا علم لهم بها، فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: الآية: ٣٦].

وقال -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: الآية: ٣٣].

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٤

(٢) رسالة في الحقل والروح لابن تيمية ٢/ ٤٤ "مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية"

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته عز وجل، لأنه تعالى أخبرنا عنها، ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا، في أمر الكيفية قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به، ومخالفة لما نهانا الله وحذرنا منه، وحرمه علينا.

فيجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان أو تقريرًا باللسان، أو تحريرًا بالبنان، لأن أية كيفية تقدرها الأذهان فالله أعظم وأجل من ذلك، ثم هي في الوقت ذاته ستكون كذبًا، لأنه لا علم لقائلها بذلك[1]. ولهذا نقل أصحاب المقالات عن بعض المشبهة-الذين خاضوا في كيفية صفات الله-أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل[2]، وصدق الله إذ قال في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية: ٨٢].

فعلى المسلم أن يحذر من التكييف أو محاولته، فإن من فعل ذلك فقد وقع في مفاوز لا يستطيع الخلاص منها، فالخوض في ذلك هو مما يلقيه الشيطان في القلوب، وهو نزغة من نزغاته، فلذلك يجب على المؤمن أن يلجأ إلى ربه ويستعيذ به من نزغات الشيطان، قال-تعالى-: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ . [الأعراف: الآية: ٢٠٠].

❑ قال الطحاوي رحمه الله (ت: ٣٢١ هـ): «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهرالتسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب،

(١) القواعد المثلى ص ٢٧-٢٨

(٢) مقالات الإسلاميين ص ٣٣

والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا زائغًا شاكًا، لا مؤمنا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبا»[(١)].

• ثالثاً: معنى قول السلف: «بلا كيف».

إن معنى قول السلف «بلا كيف» أي بلا كيف يعقله البشر، فليس المراد من قولهم «بلا كيف» هو نفي الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد هو نفي العلم بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه[(٢)]، فهذا مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى الوصول إليه، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا نعلم كيفيتها. ولهذا لما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٩ هـ)، فقيل له: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية: ٥]، كيف استوى؟

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: وما أراك إلا رجل سوء، وأمر بإخراجه من مجلسه»[(٣)].

وقد روى عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٦ هـ) قوله: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول»[(٤)]. أي لا تعقله العقول ولا

---

(١) العقيدة الطحاوية ص: ٩-١٠

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٦٦) واللالكائي في شرح أصببول اعتقاد أهل السبنة والجماعة (٣/٤٤١) والصابوني-من ثلاثة طرق-في عقيدة السلف (١٨٠-١٨٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٥) ح (٨٦٧) وفي الاعتقاد (٥٦). وقال الذهبي في العلو (١٣٩): "هذا ثابت عن مالك "

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أ صول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٤٢) والبيهقي في =

تحيط به.

وهذا يقال في سائر الصفات، وقد مشى أهل العلم على هذا الميزان واعتبروا ذلك قاعدة من قواعد الصفات.

فقول الإمام مالك (الاستواء معلوم): أي معلوم المعنى في لغة العرب، فاستوى هنا عديت بعلى فهي هنا بمعنى علا وارتفع، وهكذا الأمر في سائر نصوص الصفات، فإن معانيها معروفة في لغة العرب، وليست مجهولة.

(والكيف مجهول): أي مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله مستوٍ على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، لأنه مما استأثر الله بعلمه.

= الأسماء والصفات (٣٠٦/٢) ح (٨٦٨) وساقه الذهبي في العلو (١٢٩) بإسناده إلى ربيعة، وصححه الألباني في مختصر العلو (١٣٢).

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠): "وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن..." فذكره. وقال أيضًا في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥): "ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك". - وروي نحوه عن أم سلمة-رضي الله عنها-، [أخرجه اللالكائي في شرح أصببول اعتقاد أهل السبنة والجماعة (٣/ ٤٤٠) والصابوني في عقيدة السببلف (١٧٨-١٧٩)] لكنه غير ثابت عنها من طريق صحيح.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥): "وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة-رضي الله عنها-، موقوفًا ومرفوعا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه".

وقال الذهبي في العلو (٨١): "هذا القول محفوظ عن جماعة، كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح". وللدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر كتاب بعنوان: الأثر المشهور عن الإمام مالك-رحمه الله-في صفة الاستواء، دراسة تحليلية

(والإيمان به واجب): أي الإيمان باستواء الله على عرشه حقيقة واجب لوروده في النصوص الشرعية.

(والسؤال عنه بدعة): أي السؤال عن كيفية الاستواء، لأن السائل قال: كيف استوى؟

❑ قال الوليد بن مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٥ هـ): «سألت الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ)، والثوري (ت: ١٦١ هـ)، ومالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ)، والليث بن سعد (ت: ١٧٥ هـ)، عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلهم قال: أمروها كما جاءت بلا تفسير[١]»[٢].

❑ وسئل عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١ هـ)، عن أحاديث الصفات فقال: «تمر كما جاءت بلا كيف»[٣].

❑ وجاء عن وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٧ هـ)، أنه قال عن أحاديث الصفات: «نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف هذا، ولِمَ جاء هذا»[٤].

❑ وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٢٤ هـ)، -وقد ذكر بعض أحاديث الصفات-: «هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحدبث

(١) أي: تفسير الكيفية، كما في الرواية الأخرى عن الوليد أنهم قالوا: «امضها بلا كيف».

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١١٤٦)، والدارقطني في الصفات (٧٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السبنة والجماعة (٣/ ٥٥٨)، وأورده أبو يعلى في إبطال التأويلات (١/ ٤٧)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩) وعزاه إلى الخلال في السنة، وأورده الذهبي في العلو (١٤٠-١٣٩).

(٣) إبطال التأويلات (١/ ٥٣).

(٤) أخرجه الدارقطني في الصفات (٧١).

والفقهاء، بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟ قلنا: لا يفسر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره»[(١)].

❏ وقال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٦٤ هـ)، عن أحاديث الصفات: «هذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ، أمروها كما جاءت بلا كيف»[(٢)].

❏ قال أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٥٨ هـ): «روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١ هـ) وغيره من أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا: أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين»[(٣)].

❏ قال قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٣٥ هـ): «الكلام في صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فمذهب السلف -رحمة الله عليهم أجمعين-: إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها»[(٤)].

❏ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «ومثل هذا يوجد كثيرًا في كلام السلف والأئمة، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لا يعلم كيف الله إلا الله، فلا يعلم ما هو إلا هو»[(٥)].

---

(١) أخرجه الدارقطني في الصفات (٦٨-٦٩) وانظر: إبطال التأويلات (١/ ٤٨).

(٢) إبطال التأويلات (١/ ٥٣).

(٣) إبطال التأويلات (١/ ٤٣-٤٤).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٨٨) وبنحوه قال الخطيب البغدادي، كما في السببير للذهبي (١٨/ ٢٨٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٥٨).

❐ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٥١ هـ): «العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف: (بلا كيف) أي: بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كيفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم.

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والعظمة كلها، والكبرياء كلها؟...»[١].

● **رابعًا: عدم معرفة الكيفية لا يقدح في الإيمان بالصفات ومعرفة معانيها.**

إن عدم العلم بكيفية صفات الله لا يقدح في الإيمان بتلك الصفات ومعرفة معانيها، لأن الكيفية وراء ذلك، فالسلف يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ويفهمون معاني تلك الصفات، ويفسرونها، فإذا أثبتوا لله السمع والبصر أثبتوهما حقيقية وفهموا معناهما، وهكذا سائر الصفات يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهم إليه سبيلاً.

وكثير من المخلوقات لم يجعل الله للعباد سبيلاً إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فهذه أرواح الخلائق التي هي أدنى إليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها، وقد أخبرنا الله عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار،

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٧٦)

فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه، فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهارًا من خمر وأنهارًا من عسل، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته كما قال ابن عباس: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء».

فكذا الأسماء والصفات لا يمنع انتفاء نظيرها في الدنيا من فهم معانيها وحقائقها والإيمان بذلك واعتقاد اتصاف الله بها(١).

فإيماننا صحيح بحق ما كلفنا به، وإن لم نعرف حقيقة ماهيته وكيفيته، والله أعلم.

وهذه الأسس الثلاثة يجب الأخذ بها جميعًا، ولا يجوز الإخلال بشيء منها، فهذا ما كان عليه معتقد السلف من هذه الأمة ومن سار على نهجهم.

وهم بهذا توسطوا في هذا الباب بين طائفتين ضلتا في هذا الباب هما:

١-المعطلة.

٢-المشبهة.

فمعتقد السلف هو الإثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل، فهم لا ينفون عن الله ما سمى أو وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العلى ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة.

كما أنهم لا يشبهون صفات الله بصفات خلقه كما فعل المشبهة.

---

(١) مدارج السالكين ٣/٣٥٨

المبحث السابع

توحيد الأسماء والصفات

❐ يشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.

المطلب الأول: الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.

يجب أن يُعْلَم أن توحيد الأسماء والصفات يشتمل على ثلاثة أبواب:

- الباب الأول: باب الأسماء
- الباب الثاني: باب الصفات
- الباب الثالث: باب الإخبار

فنحن إذا وقفنا وقفةَ تأمل عند نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن نجد الحقائق التالية: أن الله أطلق على نفسه أسماء كـ (السَّميع) و(البصير)، وأوصافاً كـ (السمع) و(البصر)، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: الآية: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: الآية: ١٥]. فاستعملها في تصاريفها المتنوعة، مما يدل على أن مثل ذلك يجوز إطلاقه عليه في أي صورة ورد.

وأطلق على نفسه أفعالاً كـ (الصُّنع) و(الصِّبغة) و(الفعل) ونحوها. قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: الآية: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ [البقرة: الآية: ١٣٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: الآية: ١٠٧]، لكنه لم يَتَسَمَّ ولم يصف نفسه بها ولكن أخبر بها عن نفسه، ممَّا يدل على أنَّها تخالف الأوَّل في الحكم فوجب الوقوف فيها على ما ورد

ووصف نفسه بأفعال في سياق المدح كـ (يريد) و(يشاء) فقال جلَّ شأنه:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الأنعام: الآية: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: الآية: ٢٩] إلا أنه لم يشتق له منها أسماء فدل على أن هذا النوع مخالف للقسمين الأولين، فوجب رده إلى الكتاب والسنة وذلك بالوقوف حيث أوقفنا الله ورسوله ﷺ

ووصف نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء فقال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: الآية: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية: ٣٠]. ولم يشتق منها أسماء له تعالى فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكمٌ خاصٌ فوجب الوقوف على ما ورد

● **فهذه الحقائق السابقة قررت عند العلماء النتائج التالية:**

١ـ أن النصوص جاءت بثلاثة أبواب هي (باب الأسماء) و(باب الصفات) و(باب الإخبار)

٢ـ أن باب الأسماء هو أخص تلك الأبواب، فما صح اسماً صحَّ صفة وصحَّ خبراً وليس العكس

٣ـ باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فما صحَّ صفة فليس شرطاً أن يصحَّ اسماً، فقد يصحُّ وقد لا يصح، مع أن الأسماء جميعها مشتقة من صفاته

٤ـ أن ما يدخل في باب الإخبار عنه-تعالى-أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، فالله يُخْبَرُ عنه بالاسم وبالصفة وبما ليس باسم ولا صفة كألفاظ (الشيىء) و(الموجود) و(القائم بنفسه) و(المعلوم)، فإنه يخبر بهذه الألفاظ عنه ولا تدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا

● **إن باب الأسماء والصفات توقيفيان.**

فالأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيهما عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه

وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء والصفات إطلاقاً[١].

❑ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٤١ هـ): «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والسنة».

❑ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ »[٢].

● **أما باب الإخبار فالسلف لهم فيه قولان:**

القول الأول: أن باب الإخبار توقيفي، فإن الله لا يُخْبَرُ عنه إلا بما ورد به النص، وهذا يشمل الأسماء والصفات، وما ليس باسم ولا صفة مما ورد به النص كـ (الشيء) و(الصنع) ونحوها

وأما مالم يرد به النص فإنهم يمنعون استعماله[٣].

القول الثاني: إن باب الإخبار لا يشترط فيه التوقيف، فما يدخل في الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كـ (الشيء)

---

(١) رسالة في العقل والروح لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/ ٤٦-٤٧).

(٢) منهاج السنة (٢/ ٥٢٣).

(٣) انظر رسالة في العقل والروح (٢/ ٤٦-٤٧).

و(الموجود) و(القائم بنفسه)، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فالإخبار عنه قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيِّئ، أي باسم لا ينافي الحسن، ولا يجب أن يكون حسناً، ولا يجوز أن يخبر عن الله باسم سيِّئ[(١)] فيخبر عن الله بما لم يرد إثباته ونفيه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حَقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده[(٢)].

المطلب الثاني: الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.

يمكن تقسيم الألفاظ المجملة-أي التي لم يرد استعمالها في النصوص- على النحو التالي:

- **أولاً: ألفاظ ورد استعمالها ابتداءً في بعض كلام السلف.**

ومن أمثلة ذلك لفظ (الذات) و(بائن)

وهذه الألفاظ تحمل معاني صحيحة دلت عليها النصوص

وهذا النوع من الألفاظ يجيز جمهور أهل السنة استعمالها

وهناك من يمنع ذلك بحجة أن باب الإخبار توقيفي كسائر الأبواب

والصواب أنه ما دام المعنى المقصود من ذلك اللفظ يوافق ما دلت عليه النصوص، واستعمل اللفظ لتأكيد ذلك فلا مانع

كقول أهل السنة: «إن الله استوى على العرش بذاته»

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٦١)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢-١٤٣)

(٢) رسالة في العقل والروح (٢/ ٤٦-٤٧).

فلفظة (بذاته) مراد بها أن الله مستو على العرش حقيقة وأن الاستواء صفة له.

وكقولهم: «إن الله عالٍ على خلقه بائن منهم»

فلفظة (بائن) يراد بها إثبات العلو حقيقة، والرد على زعم من قال إن الله في كل مكان بذاته

❐ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة، لما فيها من لبس الحق بالباطل، مع ما تُوقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة، بخلاف الألفاظ المأثورة، والألفاظ التي بينت معانيها، فإن ما كان مأثوراً حصلت به الألفة، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة»[(١)]

وقال أيضاً: «فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل

ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا

ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه

ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة، وقالوا إنما قابل البدعة ببدعة ورد باطلاً بباطل»[(٢)].

فيستفاد من كلام شيخ الإسلام المتقدم أن الألفاظ على أربعة أقسام:

القسم الأول: الألفاظ المأثورة وهي التي وردت بها النصوص

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٥٤).

القسم الثاني: الألفاظ المعروفة وهي التي بُيِّنَت معانيها

القسم الثالث: الألفاظ المبتدعة التي تدل على معنى باطل

القسم الرابع: الألفاظ المبتدعة التي تحتمل الحق والباطل

فلفظ (الذات) و(بائن) هي من القسم الثاني

وهذه الألفاظ كما أسلفنا إنما تستعمل في باب الإخبار ولا تستعمل في باب الأسماء والصفات، ولذلك لما اعترض الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) على استعمالها بقوله: «وزعم بعضهم أنه جائز أن يقال له تعالى حد لا كالحدود كما نقول يد لا كالأيدي فيقال له: إنما أُحْوِجْنَا إلى أن نقول يد لا كالأيدي لأن اليد قد جاء ذكرها في القرآن وفي السنة فلزم قبولها ولم يجز رَدُّها. فأين ذكر الحد في الكتاب والسنة حتى نقول حد لا كالحدود، كما نقول يد لا كالأيدي؟!»(١).

فرد شيخ الإسلام ابن تيمية على قول الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) من وجوه منها: «أن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجه لو قالوا: إن له صفة هي الحد، كما توهمه هذا الراد عليهم. وهذا لم يقله أحد، ولا يقوله عاقل؛ فإن هذا الكلام لا حقيقة له إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شيىء من الموصوفات-كما وصف باليد والعلم-صفة معينة يقال لها الحد، وإنما الحد ما يتميز به الشيىء عن غيره من صفته وقدره»(٢).

فأهل السنة لم يثبتوا بهذه الألفاظ صفة زائدة على ما في الكتاب والسنة، بل بينوا بها ما عطله المبطلون من وجود الرب تعالى ومباينته من خلقه وثبوت

(١) نقض تأسيس الجهمية (١/ ٤٤٢).

(٢) نقض تأسيس الجهمية (١/ ٤٤٢-٤٤٣).

حقيقته»[١].

ثانياً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف تارة لإثباتها وتارة لنفيها.

ومن أمثلة ذلك: لفظ (الحد) ولفظ (المماسة)، فإطلاق السلف لها ليس من باب الصفات وإنما هو من باب الإخبار، ولهم في حال الإثبات والنفي توجيه ليس هذا محل بسطه

ثالثاً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف وفي كلام خصومهم.

ومن أمثلة ذلك: لفظة (الجهة)

رابعاً: ألفاظ ورد استعمالها في كلام الخصوم ولم يرد استعمالها في كلام السلف.

ومن أمثلة ذلك: لفظ (الجسم) و(الحيز) و(واجب الوجود) و(الجوهر) و(العرض)

وأما النوعان الثالث والرابع فالجواب عن ذلك أن نقول الأصل في هذا الباب أن الألفاظ نوعان:

النوع الأول: نوع مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل الإجماع.

فهذا يجب اعتبار معناه، وتعليق الحكم به، فإن كان المذكور به مدحاً استحق صاحبه المدح، وإن كان ذماً استحق الذم، وإن أثبت شيئا وجب إثباته، وإن نفى شيئا وجب نفيه، لأن كلام الله حق، وكلام رسوله حق، وكلام أهل الإجماع حق.

وهذا كقوله-تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ

---

(١) نقض تأسيس الجهمية (١/ ٤٤٥).

وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٤]، وقوله-تعالى-: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر ٢٢-٢٣]، ونحو ذلك من أسماء الله وصفاته

وكذلك قوله-تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وقوله-تعالى-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، وقوله-تعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]، وأمثال ذلك مما ذكره الله تعالى ورسوله ﷺ، فهذا كله حق.

النوع الثاني: الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع

فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناها، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع، والألفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب، كلفظ (الجسم) و(الحيز) و(الجهة) و(الجوهر) و(العرض) [١]. فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أموراً مما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، فيدخلون فيها نفي علمه وقدرته وكلامه، ويقولون إن القرآن مخلوق، ولم يتكلم الله به، وينفون رؤيته لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم، ثم يقولون: والله منزه عن ذلك فلا تجوز رؤيته. وكذلك يقولون إن المتكلم لا يكون إلا جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز فلا يكون متكلماً، ويقولون: لو كان فوق العرش لكان جسماً متحيزاً، والله ليس بجسم متحيز، فلا يكون متكلماً فوق العرش وأمثال ذلك[٢].

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤١-٢٤١)

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٨).

الموقف من هذا النوع: «إذا كانت هذه الألفاظ مجملة-كما ذُكر- فالمخاطب لهم إما:

١- أن يفصل لهم ويقول: ما تريدون بهذه الألفاظ؟ فإن فسروها بالمعنى الذي يوافق القرآن قُبلت. وإن فسروها بخلاف ذلك رُدَّت.

٢-وأما أن يمتنع عن موافقتهم في التكلم بهذه الألفاظ نفياً وإثباتاً. ولكن يلاحظ أن الإنسان إذا امتنع عن التكلم بها معهم فقد ينسبونه إلى الجهل والانقطاع وأن الإنسان إذا تكلم بها معهم نسبوه إلى أنه أطلق تلك الألفاظ التي تحتمل حقاً وباطلاً، وأوهموا الجهال باصطلاحهم أن إطلاق تلك الألفاظ يتناول المعاني الباطلة التي ينزه الله عنها»[(١)].

ولعل الراجح في المسألة أن الأمر يختلف باختلاف المَصْلَحَةِ

١- فإن كان الخصم في مقام دعوة الناس إلى قوله وإلزام الناس بها أمكن أن يقال له: لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولا له دعوة الناس إلى ذلك، ولو قدر أن ذلك المعنى حق وهذه الطريق تكون أصلح إذا لَبَّسَ مُلَبِّسٌ منهم على ولاة الأمور، وأدخلوه في بدعتهم، كما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعتهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك، فكان من أحسن مناظرتهم أن يقال: إئتونا بكتاب أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة.

وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٩).

ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل، وهؤلاء المختلفون يدعي أحدهم أن العقل أدَّاه إلى علم ضروري ينازعه فيه الآخر، فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة.

وبهذا ناظر الإمام أحمد الجهمية لما دعوه إلى المحنة، وصار يطالبهم بدلالة الكتاب والسنة على قولهم؛ فلما ذكروا حججهم كقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢]، وقوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢]، وقول النبي ﷺ: «تجيء البقرة وآل عمران»، وأمثال ذلك من الأحاديث.

أجابهم عن هذه الحجج بما بين به أنها لا تدل على مطلوبهم.

ولما قالوا: ما تقول في القرآن أهو الله أو غير الله؟ عارضهم بالعلم فقال: ما تقولون في العلم أهو الله أو غير الله؟ ولما ناظره أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث -وكان من أحذقهم بالكلام- ألزمه التجسيم، وأنه إذا أثبت لله كلاماً غير مخلوق لزم أن يكون جسماً.

فأجابه الإمام أحمد: بأن هذا اللفظ لا يُدرى مقصود المتكلم به، وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع، فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله.

وأخبره أني أقول: هو أحد، صمد، لم يلد ولم يلد، ولم يكن له كفواً أحد، فبين أني لا أقول هو جسم ولا ليس بجسم، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول فيما دعاهم إليه وإجابة من دعاهم إليه رسول الله -ﷺ-، لا إجابة من دعاهم إلى قول مبتدع، ومقصود

المتكلم بها مجمل لا يُعرف إلا بعد الاستفصال والاستفسار، فلا هي معروفة في الشرع، ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها.

فهذه المناظرة ونحوها هي التي تصلح إذا كان المناظر داعياً

٢- وأما إذا كان المناظر معارضاً للشرع بما يذكره، أو ممن لا يمكن أن يرد إلى الشريعة. مثل من لا يلتزم الإسلام ويدعو الناس إلى ما يزعمه من العقليات أو ممن يدَّعي أن الشرع خاطب الجمهور، وأن المعقول الصريح يدل على باطن يخالف الشرع، ونحو ذلك.

أو كان الرجل ممن عرضت له شبهة من كلام هؤلاء.

فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها إما:

١- بألفاظهم

٢- وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم، وحينئذ يقال لهم الكلام إما:

أ- أن يكون في الألفاظ.

ب- وإما أن يكون في المعاني.

جـ- وإما أن يكون فيهما.

فإن كان الكلام في المعاني المجردة من غير تقييد بلفظ كما تسلكه المتفلسفة ونحوهم ممن لا يتقيد في أسماء الله وصفاته بالشرائع بل يسميه علة وعاشقاً ومعشوقاً ونحو ذلك.

فهؤلاء إن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسناً

وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم، فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ. كما لو جاء

جيش كفار ولا يمكن دفع شرهم عن المسلمين إلا بلبس ثيابهم، فدفعهم بلبس ثيابهم خير من ترك الكفار يجولون في خلال الديار خوفاً من التشبه بهم في الثياب. وأما إذا كان الكلام مع من قد يتقيد بالشريعة

فإنه يقال له: إطلاق هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً بدعة، وفي كل منها تلبيس وإيهام، فلابد من الاستفسار والاستفصال؛ أو الامتناع عن إطلاق كلا الأمرين في النفي والإثبات.

وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة للكلام إنما لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة كلفظ (الجوهر) و(الجسم) و(العرض)، وقالوا: إن مثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو سلاحاً يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء وغيره

وليس الأمر كذلك: بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث الألفاظ، فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة، ومخالفته للعقل الصريح، ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعاً. ثم من الناس من يعلم بطلانه بعقله، ومنهم من لا يعلم ذلك

وأيضاً: فإن المناظرة بالألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل إذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر كان كلاهما مخطئاً، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله.

فإذا رد الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة فالمعاني الصحيحة ثابتة فيهما، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة.(١)

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٨-٢٣٣).

المبحث الثامن

من هم المعطلة.

❐ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القسم الأول من المعطلة وهم الفلاسفة.

المطلب الثاني: القسم الثاني من المعطلة وهم أهل الكلام.

المطلب الثالث: مسالك التعطيل.

وقد وقع في التحريف والتعطيل طوائف، يجمعهم أهل العلم تحت مسمى«المعطلة».

وينقسم المعطلة إلى قسمين رئيسيين هما:

المطلب الأول: القسم الأول من المعطلة وهم الفلاسفة.

وهم صنفان:

الصنف الأول: أهل الفلسفة البحتة .

الصنف الثاني: أهل الفلسفة الباطنية، وهي نوعان:

أ- رافضية .

ب- صوفية.

وهم ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: أهل فلسفة محضة كالفارابي (ت: ٣٣٩ هـ)، والكندي (ت: ٢٥٩ هـ)، وابن رشد الحفيد (ت: هـ)[١].

القسم الثاني: أهل فلسفة باطنية وتنقسم إلى قسمين:

الأول: فلسفة باطنية إسماعيلية قرمطية كابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وإخوان الصفا[٢].

الثاني: فلسفة صوفية اتحادية كابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، وابن سبعين (ت: ٦٦٩ هـ)، وابن الفارض (ت: ٦٣٢ هـ).

«وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٥٢٣، ٥٢٤ .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص: ٧٦.

ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه. وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو، وهم المشاؤون خاصة وهم الذين هذب ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، طريقتهم وبسطها وقررها. وهي التي يعرفها، بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين»[١].

والذي ينبغي معرفته أن الفلاسفة لا يؤمنون بوجود الله حقيقة، ولا يؤمنون بوحي ولا نبوة ولا رسالة، وينكرون كل غيب، فالمبادئ الفلسفية جميعها تقوم على أصلين هما:

الأصل الأول: أن الأصل في العلوم هو عقل الإنسان، فهو عندهم مصدر العلم.

الأصل الثاني: أن العلوم محصورة في الأمور المحسوسة المشاهدة فقط.

فتحت الأصل الأول أبطلوا الوحي، وتحت الأصل الثاني أبطلوا الأمور الغيبية بما فيها الإيمان بالله واليوم الآخر.

وقد تسلط الفلاسفة على المسائل الاعتقادية وزعموا أنها مجرد أوهام وخيالات لا حقيقة ولا وجود لها في الخارج، فلا الله موجود حقيقة، ولا نبوة ولا نبي على التحقيق، ولا ملائكة، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور. وبيان ذلك:

- **أولاً: عقائدهم في الإلهيات.**

فالفلاسفة إيمانهم بالله تبارك وتعالى لا يكاد يتعدى الإيمان بوجوده المطلق، -أي بوجوده في الذهن والخيال دون الحقيقة-، وأما ما عدا ذلك

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٧).

فلا يكادون يتفقون على شيء، فالمباحث العقدية عندهم من أسخف وأفسد ما قالوا به.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «أما الإلهيات فكلياتهم فيها أفسد من كليات الطبيعة، وغالب كلامهم فيها ظنون كاذبة فضلاً عن أن تكون قضايا صادقة»[١].

ويتجلى فساد معتقد الفلاسفة في الله أكثر عندما نعرض لك بعض أقوالهم في ذات الله وصفاته.

فالفلاسفة يطلقون على الله مسمى (واجب الوجود)، وتوحيد واجب الوجود عندهم يكفي مجرد تصوره للعلم الضروري بفساده.

فالتوحيد عندهم يقتضي تجريده من كل صفات الكمال اللازمة له، فهو ليس له حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام، ولا غير ذلك من الصفات، ويقولون بدلاً من ذلك: (إنه عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ وملتذ ولذة، وعالم ومعلوم وعلم)، وجعلوا كل ذلك أموراً عدمية.

ودفعهم إلى ذلك زعمهم أن تعدد الصفات موجب للتركيب في حق الله، وفساد هذا القول جلي واضح.

فالله وصف نفسه بالصفات، ووصفه بها رسوله ﷺ وثبت ذلك في الكتاب والسنة نقلاً.

كما أن العقل يشهد بفساد قولهم، فإن تعدد الصفات لم تقل لغة ولا شرع ولا عقل سليم إنه يوجب تركيب الموصوف إلا عند الفلاسفة[٢].

(١) الرد على المنطقيين (ص١١٤).
(٢) انظر الرد على المنطقيين ص٣١٤.

ومن شنيع كلامهم كذلك زعمهم أن الله لا يعلم الجزئيات، فهو عندهم لا يعرف عين موسى، ولا عيسى، ولا محمداً عليهم الصلاة والسلام، فضلاً عن الوقائع التي قصها القرآن وغيرها من أمور المخلوقات. وفساد هذا القول واضح جلي في النقل والعقل.

أما النقل فالله يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: الآية: ٥٩]. وكذا العقل أيضاً شاهد بفساد هذا المعتقد، فكيف يجهل الله أموراً سيرها بأمره وأجراها بقدره وأخبر عنها في كتابه(١).

ومن شنيع قولهم ما قالوه في قدرة الله من أنه فاعل بالطبع لا بالاختيار لأن الفاعل بالطبع يتحد فعله، والفاعل بالاختيار يتنوع فعله، وما دروا أنهم بهذا جعلوا الإنسان الفاعل بالاختيار أكمل من الله الفاعل بالطبع على حد زعمهم. وهذا القول مردود بقول الله ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: الآية: ٦٨]. ومردود بالعقل لأن الله هو أكمل الفاعلين فكيف يُشبَّه فعله بفعل الجماد.

والفلاسفة يدأبون حتى يثبتوا واجب الوجود، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق، لا صفة له ولا نَعْتَ، ولا فعل يقوم به، لم يخلق السموات والأرض بعد عدمها، ولا له قدرة على فعل، ولا يعلم شيئاً.

ولا شك أن الذي كان عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم أهون من هذا، فعباد الأصنام كانوا يثبتون رباً خالقاً عالماً قادراً حياً، وإن كانوا يشركون معه في العبادة.

---

(١) انظر الرد على المنطقيين ص٤٦١.

ففساد أقوال الفلاسفة في الله لا يضاهيه فساد، وسنعرض لأقوالهم في أسماء الله وصفاته فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فهذا ما عند هؤلاء من خبر الإيمان بالله-عَزَّوَجَلَّ-.

• ثانيًا: عقائدهم في الملائكة.

«وأما الإيمان بالملائكة فهم لا يعرفون الملائكة، ولا يؤمنون بهم. وإنما الملائكة عندهم ما يتصوره النبيُّ بزعمهم في نفسه من أشكال نُورانِية، هي العقول عندهم، وهي مجرَّدات ليست داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوق السموات ولا تحتها، ولا هي أشخاص تتحرك، ولا تصعد، ولا تنزل، ولا تدبِّر شيئاً، ولا تتكلم، ولا تكتب أعمال العبد، ولا لها إحساس ولا حركة البتة، ولا تنتقل من مكان إلى مكان، ولا تُصَفُّ عند ربها، ولا تصلي، ولا لها تصرف في أمر العالم البتة، فلا تقبض نفس العبد، ولا تكتب رزقه وأجله وعمله، ولا عن اليمين وعن الشمال قعيد، كل هذا لا حقيقة له عندهم البتة.

وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام، فقال: الملائكة هي القوى الخَيِّرة الفاضلة التي في العبد، والشياطين هي القوى الشريرة الرَّديئة، هذا إذا تقربوا إلى الإسلام وإلى الرسل»[١].

• ثالثًا: عقائدهم في الكتب.

وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك، فإنه ما قال شيئاً، ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام. ومن تقرب إليهم ممن ينتسب للمسلمين يقول: الكتب المنزلة فَيْضٌ فاضَ من العقل الفَعَّال على النفس

(١) إغاثة اللهفان

المستعدة الفاضلة الزكية، فتصورت تلك المعاني، وتشكلت في نفسه بحيث توهم أصواتاً تخاطبه، وربما قَوِيَ الوهم حتى يراها أشكالا نورانية تخاطبه، وربما قوي ذلك حتى يُخَيِّلها لبعض الحاضرين، فيرونها ويسمعون خطابها، ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج»[(١)].

● **رابعًا: عقائدهم في الرسل.**

وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص، من استكملها فهو نبيٌّ:

أحدها: قوة الحدس، بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة.

الثانية: قوة التخيل والتخييل، بحيث يتخيل في نفسه أشكالاً نورانية تخاطبه، ويسمع الخطاب منها، ويخيلها إلى غيره.

الثالثة: قوة التأثير بالتصرف في هيولي العالم. وهذا يكون عنده بتجرد النفس عن العلائق، واتصالها بالمفارقات، من العقول والنفوس المجردة.

وهذه الخصائص تحصل بالاكتساب؛ ولهذا طلبَ النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كابن سبعين (ت: ٦٦٩ هـ)، وابن هود (ت: ٦٣٥ هـ)، وأضرابهم. والنبوة عند هؤلاء صنعةٌ من الصنائع، بل من أشرف الصنائع، كالسياسة، بل هي سياسة العامة، وكثير منهم لا يرضى بها، ويقول: الفلسفة نبوة الخاصة. والنبوة: فلسفة العامة»[(٢)].

● **خامسًا: عقائدهم في اليوم الآخر.**

وأما الإيمان باليوم الآخر فهم لا يقرون بانفطار السموات، وانتشار

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٠٢٥.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ١٠٢٥-١٠٢٦.

الكواكب، وقيامة الأبدان، ولا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأوجد هذا العالم بعد عدمه.

فلا مبدأ عندهم، ولا معاد، ولا صانع، ولا نبوة، ولا كتب نزلت من السماء، تكلم الله بها، ولا ملائكة تنزلت بالوحي من الله تعالى.

فدين اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل خير من دين هؤلاء.

وحَسبُكَ جهلاً بالله-تعالى-، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، من يقول: إنه سبحانه لو علم الموجودات لحقه الكلال والتعب، واستكمل بغيره. وحسبك خذلاناً، وضلالاً وعمى: السير خلف هؤلاء، وإحسان الظن بهم، وأنهم أولو العقول»(١).

● **سادسًا: قولهم في العمليات أي الأوامر والنواهي.**

❑ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(ت: ٧٢٨ هـ): «ثم إن كثيرا منهم يجعلون الأمر والنهي من هذا الباب، فيجعلون الشرائع المأمور بها، والمحظورات المنهي عنها، لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها، كما يتأولون الصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، وحج البيت، فيقولون: إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم، وإن صيام شهر رمضان كتمان أسرارهم، وإن حج البيت السفر إلى شيوخهم، ونحو ذلك من التأويلات التي يعلم بالاضطرار أنها كذب وافتراء على الرسل صلوات الله عليهم، وتحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه، وإلحاد في آيات الله.

وقد يقولون: إن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة، فإذا صار الرجل من عارفيهم ومحققيهم وموحديهم رفعوا عنه الواجبات، وأباحوا له المحظورات.

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٢٦).

وقد يوجد في المنتسبين إلى التصوف والسلوك من يدخل في بعض هذه المذاهب.

وهؤلاء الباطنية الملاحدة أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى»[(١)].

أي إذا جاءوا إلى الأمور العملية فمنهم من يقررها على سبيل أنها رياضات نفسية تستوي كرياضة اليوجا أو غيرها من الرياضات لأنها كلها تصب في باب واحد وهو تزكية النفس.

ومنهم من يقول: هي فقط للعوام وليست للخواص، ولذلك ترسخ هذا الفكر عند بعض الناس فترى أنه لا يصلي ولا يصوم ويزعم أنه مسلم لأنه يرى هذه النظرة أن الصلاة والزكاة لطائفة دون طائفة أخرى.

فإذا في العمليات كالصلاة والصوم والزكاة والحج، منهم من يقول: تبقى على ما هي عليه لأنها من سبيل الرياضات النفسية، فالنفس تتروض بمثل ذلك وتزكو فلا مانع من بقائها على ما هي عليه، ومنهم من يجريها هذا المجرى ويقول: إنما

يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

❐ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وكان لهؤلاء الفلاسفة أقوال فاسدة تلقوها من أسلافهم الفلاسفة، ولما رأوا أن ما تواتر عن الرسل يخالفها، سلكوا طريقهم الباطنية فقالوا: إن الرسل لم تبين العلم والحقائق التي يقوم

(١) انظر: شرح التدمرية للتميمي ١/ ٤٨٨-٤٨٩.

عليها البرهان في الأمور العلمية، ثم منهم من قال: إن الرسل علمت ذلك وما بينته، ومنهم من يقول: إنها لم تعلمه وإنما كانوا بارعين في الحكمة العملية دون الحكمة العلمية، ولكن خاطبوا الجمهور بخطاب تخييلي، خيلت لهم في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما ينفعهم اعتقاده في سياستهم، وإن كان ذلك اعتقادا باطلا لا يطابق الحقائق.

وهم يقرون بالعبادات، ولكن يقولون مقصودها إصلاح أخلاق النفس، وقد يقولون إنها تسقط عن الخاصة العارفين بالحقائق فكانت بدعة أولئك المتكلمين مما أعانت إلحاد هؤلاء الملحدين»[(١)].

فهذا الفريق هذا شأنه مع النصوص، طعن في النصوص وطعن في علم الرسول ﷺ، وطعن في إرادته وطعن في قدرته؛ وهذا قولهم في الجملة

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «وحقيقة الأمر أن اسم الباطنية قد يقال في كلام الناس على صنفين:

أحدهما: من يقول إن للكتاب والسنة باطنا يخالف ظاهرها فهؤلاء هم المشهورون عند الناس باسم الباطنية من القرامطة وسائر أنواع الملاحدة.

وهؤلاء في الأصل قسمان:

قسم يرون ذلك في الأعمال الظاهرة حتى في الصلاة والصوم والحج والزكاة وتحريم المحرمات من الفواحش والظلم والشرك ونحو ذلك فيرون أن الخطاب المبين لوجوب هذه الواجبات وتحريم المحرمات ليس هو على ظاهره المعروف عند الجمهور، ولكن لذلك أسرار وبواطن يعرفونها كما يقولون الصلاة معرفة أسرارنا والصوم كتمان أسرارنا والحج الزيارة إلى

(١) منهاج السنة ١/ ٣٢١، ٣٢٢. «بتصرف».

شيوخنا المقدسين فهؤلاء زنادقة منافقون باتفاق سلف أئمة الإسلام ولا يخفى نفاقهم على من له بالإسلام أدنى معرفة.

(وقسم): وهم خواصهم لا يقولون برفع هذه الظواهر عن الجمهور، بل يقولون برفعها عن الخاصة كما يقولون في الأمور العملية فإن من دفع أن يكون الخطاب العلمي مرادا به هذه الأعمال فهو للخطاب العملي أعظم دفعا.

وهذا الصنف يقع في:

- القرامطة المظهرين للرفض.

- ويقع في زنادقة الصوفية من الاتحادية الحلولية.

- ويقع في غالية المتكلمة لكن هؤلاء قد يدعون تخصيص الخطاب العام الموجب للصلاة والزكاة والصيام والحج، وإن كان ذلك كذبًا معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام أنه باطل لا يدعون رفع حكم الخطاب مطلقا.

وأما عقلاء هذه الطائفة الباطنية مثل ابن رشد (ت: ٥٩٥ هـ) هذا وأمثاله فإنهم يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العلميات، وأما العمليات فيقرونها على ظاهرها وهذا قول عقلاء الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، مع أنهم في التزام الأعمال الشرعية مضطربون لما في قلوبهم من المرض والنفاق وتارة يرون سقوطها عنهم أو عن بعضهم دون العامة.

وابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، كان مضطربا في ذلك لكن له عهد قد التزم فيه موافقة الشريعة وهم في الجملة يرون موافقة الشريعة العملية أولى من مخالفتها.

وليس هذا موضع تفصيل مقالات الناس ولا يكاد تفصيل الباطل ينضبط.

وأما القسم الثاني: فالذين يتكلمون في الأمور الباطنة من الأعمال والعلوم لكن مع قولهم إنها توافق الظاهر ومع اتفاقهم على أن من ادعى باطنا يخالف الظاهر فهو منافق زنديق فهؤلاء هم المشهورون بالتصوف عند الأمة وهم في ما يتكلمون فيه من الأعمال الباطنة وعلم الباطن يستدلون على ذلك بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة كما يستدل بذلك على الأعمال الظاهرة وذلك في علم الدين والإسلام كما للإنسان بدن وقلب وهؤلاء من أعظم الناس إنكارا على من يخالف الظاهر ممن فيه نوع تجهم دع الباطنية الدهرية وهم أشد إيمانا بما أخبر به الرسول ﷺ باطنا وظاهرا من غيرهم وأشد تعظيما للأعمال الظاهرة مع الباطنة من غيرهم، ولكن يوجد فيهم من جنس ما يوجد في بقية الطوائف من البدعة والنفاق مثل من قد يرى الاستغناء بالعمل الباطن عن الظاهر ومن يدعي أن للقرآن باطنا يخالف ظاهره ونحو ذلك من صنوف المنافقين والزنادقة فهؤلاء بالنسبة إلى الصوفية الذين هم مشائخ الطريقة الذين لهم في الأمة لسان صدق بالنسبة إلى المنافقين الزنادقة ومن متكلمي الفلسفة ونحوهم موجودين في الفقهاء بالنسبة إلى الفقهاء الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق فكما أن أولئك الأئمة الفقهاء برءاء من بدع أهل الكلام فضلا عن بدع الفلاسفة من الباطنية ونحوهم فكذلك المشائخ الصوفية برآء من بدع أهل التصوف فضلا عن من دخل فيهم من المتفلسفة وغيرهم فهذا أصل عظيم ينبغي معرفته»(١).

ومذهب النفاة من هؤلاء الذين هم فلاسفتهم: أنه ليس له إلَّا صفات سلبية أو إضافية أو مركَّبة منهما، ويقصد بهؤلاء الذين تلقَّى عنهم الجعد وأخذ منهم

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١١٩.

الجعد، فقد كانوا أصحاب فلسفة صابئة، وفلاسفة الصابئة كان قولهم في هذه المسائل: عدم إثبات صفات الله تعالى، إذ أنه كما أسلفنا الفلاسفة عمومًا لا يرون أن هناك وجودًا لله تعالى على الحقيقة.

وبالتالي يدور كلامهم بين صفات سلبية أو إضافية.

فالسلبية مثل قولهم: لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا مباين، ولا، ولا . . . وتأتي اللاأت اللامتناهية، هذا جانب.

والإضافية مثل قولهم عنه: واجب الوجود، هي عبارات في حقيقتها لا تدل على أنه له صفة ثابتة، وهي عبارات يثبتونها، المقصد منها أنه ليس لله ﷻ صفات والإضافات عندهم هي أمر لا يتعلق بالذات، لأنهم في حقيقتهم لا يريدون إثبات ذاته، بل أمر خارج عن الذات كما يقولون: واجب الوجود.

فإذا قلت لهم: ما واجب الوجود؟ قال قائلهم: «واحد بسيط لا تكثر فيه بوجه من الوجوه، ولا قسمة له لا في الكَمِّ، ولا في الكيف، ولا في المعقول، ولا في اللامعقول، ولا في الهيلولي، ولا في الصورة، ولا، ولا، ولا . . .» عبارات منتهاها أنه في الذهن دون الخارج، أنه موجود وجودًا ذهنيًا في الخيال لا حقيقة له، فهذا كلامهم يقول لك: «واحد بسيط»، وهذه عبارات فلسفية، لابد لفهمها أن تنظر إلى تفسير معنى الواحد عندهم، فهم لا يقصدون بالواحد الوحدانية، وهكذا معنى البسيط عندهم؟

إذًا قولهم «واحد بسيط» معناه: أن وجوده وجوداً مطلقاً أي وجود ذهني، فلو فسرت هذا في عباراتهم لوجدت أن معنى الواحد عندهم: هو الوجود المطلق الذي هو في الخيال لا في الحقيقة.

وهذا هو السِتَار الذي استطاع به هؤلاء أن ينشروا كتبهم، ويبثوا مقالاتهم

لأن كل حرف، وكل كلمة تحتاج إلى قاموس لا يستطيع فهمه إلا من تربى على أيديهم، فلا يمكن أن يأتيك الواحد منهم ويقول لك مباشرة: إن وجود الله تعالى وجود ذهني لا حقيقة له في الخارج، هذه المسألة لا يمكن أن يقولها صراحة لكن يغلِّفها بغلاف فلسفي وعبارات فلسفية، حتى إذا قرأتها لم تفهم منها حرفًا، فمعنى «واحد بسيط لا تكثر فيه»؟! وما معنى «الوجود»؟! وما معنى «لا قسمة له لا في الكَمِّ ولا في الكيف؟! ولا في المعقول ولا في اللامعقول؟! ولا في المتناهي ولا في اللامتناهي؟! ولا في الهيلولي ولا في الصورة»؟!

كل هذا الكلام بحاجة إلى قاموس يوضح معنى كل عبارة وماذا تعني.

فإذًا هذا هو أصل كلام هؤلاء، ومن يدرس طريقة الفلسفة، وحبذا لو يقرأ كتاب ابن تيمية [الرد على المنطقيين] فقد أشار إلى شيء من تاريخ الفلاسفة، ومن أقوالهم، ومقالاتهم، ومن ضمنهم هؤلاء فلاسفة حران.

ففساد أقوال الفلاسفة في الله لا يضاهيه فساد، وهم على أربع درجات:

الدرجة الأولى: درجة المكذبة النفاة:

وهي التي عليها غُلاة الجهمية وطائفة من الفلاسفة (١) وهو كذلك قول ابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ) وأمثاله(٢).

فهم يصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون له إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان،

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٧-٨.

(٢) الصفدية ١/ ٢٩٩، ٣٠٠.

يمتنع تحققه في الأعيان [١]، فهؤلاء وصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات[٢].

الدرجة الثانية: المتجاهلة الواقفة:

وهم الذين يقولون: لا نُثبت ولا نَنفي، وهذه الدرجة للقرامطة الباطنية المتفلسفة [٣] فهؤلاء يسلبون عنه النقيضين فيقولون: لا موجود، ولا معدوم، ولا حي، ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بداهة العقول؛ وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول ﷺ، فوقعوا في شر مما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من الممتنعات[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «فالقرامطة الذين قالوا لا يوصف بأنه حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، بل قالوا لا يوصف بالإيجاب ولا بالسلب، فلا يقال حي عالم ولا ليس بحي عالم، ولا يقال هو عليم قدير ولا يقال ليس بقدير عليم، ولا يقال هو متكلم مريد، ولا يقال ليس بمتكلم مريد، قالوا: لأن في الإثبات تشبيهًا بما تثبت له

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٧، شرح الأصفهانية ص: ٥١، ٥٢.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٨.
(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ص: ٧٦.
(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ٧-٨.

هذه الصفات، وفي النفي تشبيه له بما ينفي عنه هذه الصفات»[١].

الدرجة الثالثة: المتجاهلة اللا أدرية:

وهم الذين يقولون: نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، فلا ننفي النقيضين، بل نسكت عن هذا وهذا، فنمتنع عن كل من المتناقضين، لا نحكم بهذا ولا بهذا، فلا نقول: ليس بموجود ولا معدوم، ولكن لا نقول هو موجود ولا نقول هو معدوم.

ومن الناس من يحكي نحو هذا عن الحلاج (ت: ٣٠٩ هـ)، وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط، الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه[٢].

الدرجة الرابعة: أصحاب وحدة الوجود:

وهم الذين لا يميزون الخالق بصفات تميزه عن المخلوق، ويقولون بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق. فعلى سبيل المثال هم يقولون بأن الله هو المتكلم بكل ما يوجد من الكلام وفي ذلك يقول ابن عربي (ت: هـ):

ألا كل قول في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه
يعم به أسماع كل مكون ... فمنه إليه بدؤه وختامه[٣]

فيزعمون أنه هو المتكلم على لسان كل قائل. ولا فرق عندهم بين قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: الآية: ٢٤] ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: الآية: ٣٨] وبين القول الذي يسمعه موسى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص: ٧٦.
(٢) الصفدية ١/
(٣) الفتوحات المكية ٤/ ١٤١، ط: دار صادر، بيروت.

إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: الآية: ١٤]. بل يقولون: إنه الناطق في كل شيء، فلا يتكلم إلا هو، ولا يسمع إلا هو، حتى قول مسيلمة الكذاب، والدجال، وفرعون، يصرحون بأن أقوالهم هي قوله» .[1]

وهذا قول أصحاب وحدة الوجود كابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، وابن سبعين وابن الفارض، والعفيف التلمساني.

وأصل مذهبهم: أن كل واحد من وجود الحق، وثبوت الخلق يساوي الآخر ويفتقر إليه، وفي هذا يقول ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ):

فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده[2].

القسم الثاني: الفلاسفة الباطنية المتصوفة

أولاً: التعريف بهم.

ويمكن أن نلخص الأطوار التي مر بها التصوف عمومًا فيما يلي:

المرحلة الأولى: كان يغلب على أصحابها جانب العبادة والبعد عن الناس، حيث اشتهروا بالصدق في الزهد إلى حد الوساوس والبعد عن الدنيا، وكان يغلب على بعضهم الخوف الشديد والبكاء المستمر، ولكنه كان يغلب على أكثرهم الإستقامة في العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، وإن كان ورد عن بعضهم. مثل الجنيد (ت: ٢٩٨ هـ). بعض العبارات التي عدها العلماء من الشطحات، ومن أشهر رموز هذا التيار:

الجنيد بن محمد الجنيد (ت: ٢٩٨ هـ)، وأبي سليمان الداراني (ت: ٢١٥ هـ)، وسهل بن عبد الله التستري (ت: ٣٨٣ هـ).

(١) بغية المرتاد ص٣٤٩.

(٢) فصوص الحكم ١/ ٨٣ .

المرحلة الثانية: انتقل في هذه المرحلة الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات: الوحدة، والفناء، والاتحاد، والحلول، والسكر، والصحو، والكشف، والبقاء، والمريد، والعارف، والأحوال، والمقامات، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم، مما زاد العداء بينهما، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية

ومن أبرز أعلام هذه الطبقة: أبو اليزيد البسطامي (ت: ٢٦١ أو ٢٦٤ هـ)، ذو النون المصري (ت: ٢٤٥ هـ)، الحكيم الترمذي (ت: ٢٩٥ هـ)، أبو بكر الشبلي (ت: ٣٣٤ هـ) .... الخ.

المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة تسربت الفلسفة، فأثرت تأثيرًا كبيرًا في التصوف، إذ كان تأثير الفلاسفة قوية بعد ترجمة كتب الفلاسفة، وعرفت في هذه المرحلة عدة نظرات فلسفية منها نظرية الفيض والإشراق، حيث ولع الكثيرين بالفلسفة وتأثروا بهما.

ومن أبرز أعلام هذه المرحلة شهاب الدين السهروردي (ت: ٥٨٦ هـ)، وابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)، وابن سبعين (ت: ٦٦٩ هـ) وابن الفارض (ت: ٦٣٢ هـ).

ويرى بعض الباحثين أن هؤلاء أخذوا نظرية الفيض التي تمسكوا بها عن الأفلاطونية المحدثة.

ويرى آخرون أنها مأخوذة من البوذية، وغيرها من الديانات المحرفة

كاليهودية والنصرانية»، فصار بعض هؤلاء يعتقدون أنه ليس هناك فرق بين الله وخلقه، إلا أن الله تعالى كل والخلق جزؤه، وأن الله متجل في كل شيء من الكون حتى الكلاب والخنازير، فالكل مظاهره، وما في الوجود إلا الله، فهو الظاهر في الكون، والكون مظهرها.

وهنا يظهر انقسام الغلاة من المتصوفة إلى فريقين: ففريق من المتصوفة قد غالوا وأفرطوا وهم الذين قالوا بوحدة الوجود، وفريق آخر عبث بظاهر الشرع وأفرط في السبحات والوثبات والاستغراقات حتى تحلل من الفرائض والآداب.

لكن التصوف الصادق لا يعترف بهؤلاء ولا هؤلاء، بل يبرأ منهم ويهاجمهم بأشد من هجوم الفقهاء أنفسهم.

المطلب الثاني: القسم الثاني من المعطلة وهم: أهل الكلام.

والفرق بين الفلاسفة وأهل الكلام أن الفلاسفة ينظرون إلى العقائد على أنها أوهام وخيالات.

وأما أهل الكلام فإنهم يوافقون الفلاسفة في بعض المسائل، كتقديم العقل على النقل في أمور العقائد، ولكن أهل الكلام أقل شرًّا من الفلاسفة.

وقد شارك أهل الكلام الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة. وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم، وهم وإن كانوا يخالفون الفلاسفة في قولهم: إن هذه الحقائق مجرد وهم وخيال، إلا أنهم شاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف

طوائفهم تقريرا لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة، فبدل أن تسمع أو تقرأ قال الله أو قال رسوله ﷺ، أو قال الصحابة، فإنك لا تجد في كتبهم إلا قال الفضلاء، قال العقلاء، قال الحكماء، ويعنون بهم فلاسفة اليونان من الوثنيين، فكيف جاز لهم ترك كلام الله وكلام رسوله ﷺ والأخذ بكلام من لا يعرف الله ولا يؤمن برسوله. والمطلع على كتب أهل الكلام يدرك عظم الضرر الذي جنته على الأمة المسلمة، إذ تسببت تلك الكتب في حجب الناس عن المعرفة الصحيحة لله ورسوله ولدينه، وجعل بدل ذلك مقالات التعطيل والتجهيل والتخييل.

- ❐ قال ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «إن الفلاسفة والمتكلمين من أعظم بني آدم حشواً وقولاً للباطل، وتكذيباً للحق في مسائلهم ودلائلهم، لا يكاد-والله أعلم -تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك»(١).
- ❐ وقال ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «من تعوّد معارضة الشرع بالرأي، لا يستقر في قلبه الإيمان»(٢).

• النوع الثاني من أهل الكلام: متكلمة الصفات:

وهم الذين يقولون بقيام بعض الصفات بالذات، ونفي أن يقوم به بعض الصفات، وهؤلاء هم: متكلمة الصفاتية (الكلابية -الأشاعرة -الماتريدية).

وأهل الكلام ليسوا صنفاً واحداً بل هم عدة أصناف، وهم

١ـ الجهمية، ٢ـ المعتزلة، ٣ـ الكلابية، ٤ـ الأشاعرة، ٥ـ الماتريدية.

وهذه الأصناف الخمسة كل له قوله ورأيه بحسب الشبه العقلية التي استند إليها.

(١) نقض المنطق، ابن تيمية، ص (٢٤).

(٢) درء التعارض (١/ ١٧٨).

• أولاً: الجهمية.

فأما الجهمية فهم أتباع جهم بن صفوان (ت: ١٢٨ هـ)الذي أخذ عن الجعد ابن درهم (ت: ١٢٤ هـ) مقالة التعطيل عندما التقى به بالكوفة[١]، وقد نشر الجهم مقالة التعطيل وامتاز عن شيخه الجعد بمزية المغالاة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه نظراً لما كان عليه من سلاطة اللسان وكثرة الجدال والمراء.

من أشهر معتقداتهم:

١ـ إنكارهم لجميع الأسماء والصفات كما سيأتي تفصيله.

٢ـ أنهم في باب الإيمان مرجئة، يقولون: إن الإيمان يكفي فيه مجرد المعرفة القلبية، وهذا شر أقوال المرجئة.

٣ـ أنهم في باب القدر جبرية، ينكرون قدرة العبد واختياره في فعله.

٤ـ ينكرون رؤية الخلق لله يوم القيامة.

٥ـ يقولون إن القرآن مخلوق.

٦ـ يقولون بفناء الجنة والنار.

إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة التي قال بها الجهمية.

• ثانياً: المعتزلة .

وهم أتباع واصل بن عطاء (ت: ١٣١ هـ) وعمرو بن عبيد (ت: ١٤٣ هـ)، وهم فرق كثيرة يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة وهي:

١ـ التوحيد، ٢ ـ العدل، ٣ـ الوعد والوعيد،

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٥٠)، والبداية (٩/ ٣٥٠).

٤ـ المنـزلة بين المنـزلتين، ٥ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والاعتزال في حقيقته يحمل خليطاً من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر، فقد جمع المعتزلة بين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج، والرافضة.

فقد شاركوا الجهمية في بعض أصولهم، فوافقوهم في إنكار الصفات، فزعموا أن ذات الله لا تقوم بها صفة ولا فعل، كما سيأتي تفصيله. وقالوا بإنكار رؤية الله يوم القيامة وقالوا إن القرآن مخلوق إلى غير ذلك.

كما شاركوا القدرية في إنكارهم لقدرة الله في أفعال العباد، وأخذوا عنهم القول بأن العباد يخلقون أفعالهم.

كما شاركوا الخوارج في مسألة الإيمان، وقالوا بقولهم إن الإيمان قول، واعتقاد، وعمل، لا يزيد ولا ينقص، وأنه إذا ذهب بعضه زال كلّه.

وبناءً على ذلك شاركوهم في مسألة مرتكب الكبيرة، فالمعتزلة وإن قالوا بأن مرتكب الكبيرة في منـزلة بين المنـزلتين في الدنيا، لكنهم وافقوا الخوارج في قولهم بأن مرتكب الكبيرة في الآخرة خالد مخلد في النار.

وأخذوا كذلك عن الخوارج رأيهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما أنهم شاركوا الروافض في الطعن في أصحاب النبي ﷺ، فقد كان من كلام واصل بن عطاء (ت: ١٣١ هـ) في أهل صفين قوله: «إن كليهما فاسق لا بعين» وقوله عن علي ومعاوية رضي الله عنهما: «لو أن كليهما جاء عندي يشهد على حزمة بقل ما قبلت شهادتهما»، وأواخر المعتزلة كانوا أقرب إلى التشيع.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ): «وقدماء الشيعة كانوا مخالفين للمعتزلة بذلك (يعني مسائل الصفات والقدر)، فأما متأخروهم

من عهد بني بويه ونحوهم من أوائل المائة الرابعة ونحو ذلك، فإنهم صار فيهم من يوافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم، والمعتزلة شيوخ هؤلاء إلى ما يوجد في كلام ابن النعمان المفيد (ت: ٤١٤ هـ)، وصاحبيه أبي جعفر الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، والملقب بالمرتضى (ت: ٤٣٦ هـ) ونحوهم هو من كلام المعتزلة، وصار حينئذ في المعتزلة من يميل إلى نوع من التشيع إما تسوية علي بالخليفتين، وإما تفضيله عليهما، وإما الطعن في عثمان، وإن كانت المعتزلة لم تختلف في إمامة أبي بكر وعمر.

وقدماء المعتزلة كعمرو بن عبيد (ت: ١٤٣ هـ) وذويه كانوا منحرفين عن علي حتى كانوا يقولون: لو شهد هو وواحد من مقاتليه شهادة لم نقبلها، لأنه قد فسق أحدهما لا بعينه. فهذا الذي عليه متأخرو الشيعة والمعتزلة خلاف ما عليه أئمة الطائفتين وقدماؤهم»[١].

كما أخذوا عن الشيعة الرافضة أكثر آرائهم الخاصة بالإمامة.

وعلى هذا فأفكار المعتزلة إنما هي خليط من آراء الفرق المخالفة في عصرهم.

وأفكار المعتزلة يحملها اليوم كل من: الرافضة الإمامية، والزيدية، والإباضية، وكذلك من يسمون بالعقلانيين.

فالمعتزلة ومعهم النجارية والضرارية والرافضة الإمامية والزيدية والإباضية وغيرهم. وهؤلاء مشتركون مع الجهمية والفلاسفة في نفي الصفات[٢] وإن

(١) نقض تأسيس الجهمية (١/ ٥٤-٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٣١.

كان بين الفلاسفة والمعتزلة نوع فرق [١] فالمعتزلة تجمع على غاية واحدة وهي نفي إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها. ولكنهم سلكوا طريقين في موقفهم من الصفات.

الطريق الأول: الذي عليه أغلبيتهم وهو نفيها صراحة فقالوا: إن الله عالم بذاته لا بعلم وهكذا في باقي الصفات.

والطريق الثاني: الذي عليه بعضهم وهو إثباتها اسماً ونفيها فعلاً فقالوا: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته وهكذا بقية الصفات، فكان مجتمعاً مع الرأي الأول في الغاية وهي نفي الصفات.

والمقصود بنفي الصفات عندهم: هو نفي إثباتها حقيقة في الذات ومتميزة عنها، وذلك أنهم يجعلونها عين الذات فالله عالم بذاته بدون علم أو عالم بعلم وعلمه ذاته[٢].

وهناك آراء أخرى للمعتزلة لكنها تجتمع في الغاية مع الرأيين الأولين، وهو التخلص من إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها[٣].

وهذه الآراء للمعتزلة حملها عنهم الزيدية والرافضة الإمامية [٤]والإباضية. وابن تومرت (ت: ٥٢٤ هـ) [٥]، وابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ)[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٥١.

(٢) المعتزلة وأصولهم الخمسة ص: ١٠٠.

(٣) المصدر السابق ص: ١٠١.

(٤) كان أبو عبد الله محمد بن تومرت على مذهب المعتزلة في نفي الصفات، شرح الأصفهانية ص: ٢٣.

(٥) لم يكن في قدماء الرافضة من يقول بنفي الصفات بل كان الغلو في التجسيم مشهوراً عن شيوخهم هشام بن الحكم وأمثاله، شرح الأصفهانية ص: ٦٨.

(٦) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٤٩، ٢٥٠.

فالمعتزلة يرون امتناع قيام الصفات به، لاعتقادهم أن الصفات أعراض، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثه فقالوا حينئذ إن القرآن مخلوق، وإنه ليس لله مشيئة قائمة به، ولا حب ولا بغض ونحو ذلك.

وردوا جميع ما يضاف إلى الله إلى إضافة خلق، أو إضافة وصف من غير قيام معنى به[١].

• **النجارية:**

وهم أتباع حسين بن محمد بن عبد الله النجار المتوفى سنة (ت: ٢٢٠ هـ) تقريباً وكان يزعم أن الله سبحانه لم يزل جواداً بنفي البخل عنه، وأنه لم يزل متكلماً بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام، وأن كلام الله سبحانه محدث مخلوق، وكان يقول بقول المعتزلة في التوحيد، إلا في باب الإرادة والجود، وكان يخالفهم في القدر ويقول بالإرجاء[٢].

• **الضرارية:**

وهم أتباع ضرار بن عمرو الغطفاني (ت: ١٩٠ هـ) تقريباً وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر أنه ليس بجاهل ولا عاجز وكذلك كان يقول في سائر صفات الباري لنفسه»[٣].

فكل من النجارية والضرارية يحملون النصوص الثبوتية على المعاني السلبية، كما قال البغدادي عنهم: «من غير إثبات معنى أو فائدة سوى نفي

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٧، ١٤٨، ٣٥٩.
(٢) مقالات الإسلاميين ١/ ٣٤١-٣٤٢، وانظر الفرق بين الفرق ص: ٢٠٧، والملل والنحل ١/ ٨٩، ٩٠.
(٣) مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٩.

الوصف بنقيض تلك الأوصاف عنه»[١].

وكان الجهمية والمعتزلة والنجارية والضرارية هم خصوم أهل السنة زمن فتنة القول بخلق القرآن[٢].

ثالثاً: متكلمة الصفاتية (الكلابية -الأشاعرة -الماتريدية).

١ـ أما الكلابية:

وهم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان (ت: ٢٤٣ هـ)[٣].

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) صنفين:

فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله -تعالى- من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها.

والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا.

فأثبت ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها. ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي (كان معاصرًا لأبي الحسن الأشعري)، وأبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وغيرهما.

وأما الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ)، ولهذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب

(١) الفرق بين الفرق ص: ٢١٥.
(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٥١،٣٥٢.
(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٥).

(ت: ٢٤٣ هـ) وأتباعه ثم قيل عن الحارث: إنه رجع عن قوله»[١].

فهذا النهج الذي أحدثه ابن كلاب هو ما صار يعرف فيما بعد بمنهج متكلمة الصفاتية لأن ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) كان في طريقته يميل إلى مذهب أهل الحديث والسنة، لكن كان في طريقته نوع من البدعة، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله، ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته.

وقد كانت له جهود في الرد على الجهمية[٢] ولكنه ناظرهم بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولاً هم واضعوها من امتناع تكلمه تعالى بالحروف، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك.[٣] فأصبح بعد ذلك قدوة وإماماً لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات وناقضوا نفاتها، لكن شاركوهم في بعض أصولهم الفاسدة التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول»[٤].

فابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) أحدث مذهباً جديداً، فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية. وبذلك يكون قد أسس مدرسة ثالثة وهي مدرسة «الصفاتية» التي اشتهرت بمذهب الإثبات، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية[٥]. وقد سار على هذا النهج القلانسي (كان معاصرًا لأبي الحسن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٦).
(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٦).
(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٦).
(٥) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦).

الأشعري)، والأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، والمحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ)، وغيرهم، وهؤلاء هم سلف الأشعري والأشاعرة القدماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وكان أبو محمد بن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) هو الأستاذ الذي اقتدى به الأشعري في طريقه هو وأئمة أصحابه، كالحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ)، وأبي العباس القلانسي (كان معاصرًا لأبي الحسن الأشعري)، وأبي سليمان الدمشقي (كان حيًا سنة ٣٥١ هـ)، وأبي حاتم البستي (ت: ٣٥٤ هـ)»[(١)].

فابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) هو إمام الأشعرية الأول، وكان أكثر مخالفة للجهمية، وأقرب إلى السلف من الأشعري[(٢)].

ولكن هذا النهج الكلابي ابتعد شيئاً فشيئاً عن منهج السلف، وأصبح يقرب أكثر فأكثر إلى نهج المعتزلة وذلك على يد وارثيه من الأشاعرة.

فابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) كما أسلفنا كان أقرب إلى السلف من أبي الحسن الأشعري، وأبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) أقرب إلى السلف من القاضي أبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، والقاضي أبو بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، وأمثاله أقرب إلى السلف من أبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ) وأتباعه[(٣)].

ولهذا يوجد في كلام الرازي والغزالي ونحوهما من الفلسفة مالا يوجد في كلام أبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ) وذويه، ويوجد في كلام الرازي

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٣٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٣).

والغزالي والجويني (ت: ٤٧٨هـ) من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه، ويوجد في كلام أبي الحسن الأشعري من النفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب الذي أخذ أبو الحسن طريقته.

ويوجد في كلام ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) من النفي الذي قارب فيه المعتزلة ما لا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والأئمة. وإذا كان الغلط شبراً صار في الأتباع ذراعاً ثم باعاً حتى آل إلى هذا المآل والسعيد من لزم السنة[1].

وقد تلاشت الكلابية كفرقة، لكن أفكارها حملت بواسطة الأشاعرة، فقد احتفظ الأشعري وقدماء أصحابه بأفكار الكلابية ونشروها، وبذلك اندرست المدرسة الكلابية الأقدم تاريخاً والأسبق ظهوراً في الأشعرية.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والكلابية هم مشايخ الأشعرية، فإن أبا الحسن الأشعري إنما اقتدى بطريقة أبي محمد بن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ)، وابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) كان أقرب إلى السلف زمناً وطريقة. وقد جمع أبو بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ) كلام ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) والأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وبين اتفاقهما في الأصول»[2].

فالكلابية أسبق في الظهور من الأشاعرة والماتريدية، فقد نشأت الكلابية في منتصف القرن الثالث، وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة، فقد توفي ابن كلاب سنة (ت: ٢٤٣ هـ).

---

(١) بغية المرتاد (ص٤٥١).

(٢) الاستقامة (١/ ١٠٥).

• قولهم في الصفات.

الكلابية: أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ)، وقول الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) [١] وأبي العباس القلانسي (كان معاصرًا لأبي الحسن الأشعري)، وأبي الحسن الأشعري في طوره الثاني، وقدماء الأشاعرة كأبي الحسن الطبري والباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) وابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، وأبي جعفر السمناني (ت: ٤٤٤ هـ)، ومن تأثر بهم من الحنابلة كالقاضي أبي يعلى (ت: ٤٥٨ هـ)، وابن عقيل (ت: ٥١٣ هـ) وأبي الحسن بن الزاغوني (ت: ٥٢٧ هـ)، والتميميين وغيرهم[٢].

وهؤلاء يجمعهم أنهم نفاة الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة.

وهؤلاء يسموْن الصفاتية لأنهم يثبتون صفات الله تعالى خلافاً للمعتزلة، لكنهم لم يثبتوا لله أفعالاً تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته[٣].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكان الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) يوافقه -أي يوافق ابن كلاب -ثم قيل إنه رجع عن موافقته؛ فإن أحمد بن حنبل أمر بهجر الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) وغيره من أصحاب ابن كلاب لما أظهروا ذلك، كما أمر السري السقطي الجنيد أن يتقى بعض كلام الحارث؛ فذكروا أن الحارث رحمه الله تاب من ذلك. وكان له من العلم والفضل والزهد والكلام في الحقائق ما هو مشهور وحكى عنه أبوبكر الكلاباذي صاحب (مقالات الصوفية): (أنه كان يقول إن الله يتكلم بصوت)، وهذا يوافق قول من يقول: إنه رجع عن قول ابن كلاب). مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢١،٥٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٤١١، ٦/ ٥٢،٥٣، ٤/ ١٤٧، شرح الأصفهانية ص: ٧٨

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٠.

وأصلهم الذي أصلوه في هذا أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته لا فعل ولا غير فعل[(١)] [(٢)].

• والفرق بينهم وبين المعتزلة:

أن المعتزلة تقول: (لا تحله الأعراض والحوادث) فالمعتزلة لا يريدون [بالأعراض] الأمراض والآفات فقط، بل يريدون بذلك الصفات. ولا يريدون [بالحوادث] المخلوقات، ولا الأحداث المحيلة للمحل ونحو ذلك -مما يريده الناس بلفظ الحوادث-بل يريدون نفي ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها فلا يجوزون أن يقوم به خلق، ولا استواء، ولا إتيان، ولا مجيء، ولا تكليم، ولا مناداة، ولا مناجاة، ولا غير ذلك مما وصف بأنه مريد له قادر عليه.

ولكن ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ). ومن وافقه خالفوا المعتزلة في قولهم: «لا تقوم به الأعراض» وقالوا: «تقوم به الصفات ولكن لا تسمى أعراضاً».

ووافقوا المعتزلة على ما أرادوا بقولهم: لا تقوم به الحوادث من أنه لا يقوم به أمر من الأمور المتعلقة بمشيئته[(٣)].ففرقوا بين الأعراض -أي الصفات-والحوادث-أي الأمور المتعلقة بالمشيئة[(٤)] [(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٠، ٥٢١.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٥.

(٥) تتميماً للفائدة فإن الخلاف في هذه المسألة على أربعة أقوال:

١- قول المعتزلة ومن وافقهم: أن الله لا يقوم به صفة ولا أمر يتعلق بمشيئته واختياره وهو قولهم: (لا تحله الأعراض ولا الحوادث). =

فالكلابية ومن تبعهم ينفون صفات أفعاله [(١)]، ويقولون: «لو قامت به لكان محلاً للحوادث. والحادث إن أوجب له كمالاً فقد عدمه قبله وهو نقص، وإن لم يوجب له كمالاً لم يجز وصفه به[(٢)].. ولتوضيح قولهم نقول: إن المضافات إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة لا تخلو من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إضافة الصفة إلى الموصوف

كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ [الذاريات: الآية: ٥٨]، فهذا القسم يثبته الكلابية ولا يخالفون فيه أهل السنة، وينكره المعتزلة.

والقسم الثاني: إضافة المخلوق.

كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس الآية: ١٣]، وقوله تعالى:

= ٢- قول الكلابية ومن وافقهم: التفريق بين الصفات والأفعال الاختيارية فأثبتوا الصفات، ومنعوا أن يقوم به أمر يتعلق بمشيئته وقدرته لا فعل ولا غير فعل.
٣- قول الكرامية ومن وافقهم: يثبتون الصفات ويثبتون أن الله تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك حادث بعد أن لم يكن، وأنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك، وقالوا لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها.
٤- قول أهل السنة والجماعة: أثبتوا الصفات والأفعال الاختيارية وأن الله متصف بذلك أزلاً، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم، وإن كانت المفعولات محدثة. وهذا هو الصحيح. مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٠، ٥٢٥، ١٤٩.

(١) الصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، أو التي تنفك عن الذات: كالاستواء، والنزول، والضحك، والإتيان، والمجيء، والغضب والفرح. مجموع الفتاوى ٦/ ٦٨، ٥/ ٤١٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٦٩، وانظر الرد على هذه الشبهة ٦/ ١٠٥.

﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: الآية: ٢٦] وهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق.

والقسم الثالث: -وهو محل الكلام هنا-ما فيه معنى الصفة والفعل.

كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء الآية: ١٦٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: الآية: ١]، وقوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ﴾ [البقرة: الآية: ٩٠].

فهذا القسم الثالث لا يثبته الكلابية ومن وافقهم على زعم أن الحوادث لا تحل بذاته. فهو على هذا يلحق عندهم بأحد القسمين قبله فيكون:

١- إما قديماً قائماً به.

٢- وإما مخلوقاً منفصلاً عنه.

ويمتنع عندهم أن يقوم به نعت أو حال أو فعل ليس بقديم ويسمون هذه المسألة: «مسألة حلول الحوادث بذاته» [١] وذلك مثل صفات الكلام، والرضا، والغضب، والفرح، والمجيء، والنزول والإتيان، وغيرها. وبالتالي هم يؤولون النصوص الواردة في ذلك على أحد الوجوه التالية:

(١)- إرجاعها إلى الصفات الذاتية واعتبارها منها، فيجعلون جميع تلك الصفات قديمة أزلية، ويقولون: نزوله، ومجيئه وإتيانه، وفرحه، وغضبه، ورضاه، ونحو ذلك: قديم أزلي[٢]. وهذه الصفات جميعها صفات ذاتية لله، وإنها قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته واختياره[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٤، ١٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٤١٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ٤١٠.

(٢)- وإما أن يجعلوها من باب «النسب» و«الإضافة» المحضة بمعنى أن الله خلق العرش بصفة تحت فصار مستوياً عليه، وأنه يكشف الحجب التي بينه وبين خلقه فيصير جائياً إليهم ونحو ذلك. وأن التكليم إسماع المخاطب فقط[١].

فهذه الأمور من صفات الفعل منفصلة عن الله بائنة وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به. ولهذا يقول كثير منهم: «إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات[٢].

(٣)- أو يجعلوها «أفعالاً محضة» في المخلوقات من غير إضافة ولا نسبة[٣].

مثل قولهم في الاستواء إنه فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قرباً فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم بالله فعل اختياري[٤].

وكقولهم في النزول إنه يخلق أعراضاً في بعض المخلوقات يسميها نزولاً[٥].

ونفاة الصفات الاختيارية يثبتون الصفات التي يسمونها عقلية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. واختلفوا في صفة البقاء.

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٤١١،٤١٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٩.

(٤) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٣٧، الأسماء والصفات للبيهقي ص٥١٧.

(٥) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٨٦.

ويثبتون في الجملة الصفات الخبرية كالوجه، واليدين، والعين ولكن إثباتهم لها مقتصر على بعض الصفات القرآنية، على أن بعضهم إثباته لها من باب التفويض.

وأما الصفات الخبرية الواردة في السنة كاليمين، والقبضة، والقدم، والأصابع فأغلب هؤلاء يتأولها(١).

❏ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبرية في الجملة، وإن كان لهم فيها طرق كأبي سعيد كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، وأئمة أصحابه: كأبي عبد الله بن مجاهد (ت: ٣٧٠ هـ)، وأبي الحسن الباهلي (ت: ٣٧٠ هـ)، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، وأبي إسحاق الإسفرائيني (ت: ٤١٨ هـ)، وأبي بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، وأبي محمد بن اللبان (ت: ٤٠٢ هـ)، وأبي علي بن شاذان (ت: ٤٢٥ هـ)، وأبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥ هـ)، وأبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، وغير هؤلاء. فما من هؤلاء إلا من يثبت من الصفات الخبرية ما شاء الله تعالى. وعماد المذهب عندهم: إثبات كل صفة في القرآن.

وأما الصفات التي في الحديث فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها(٢).

وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت بقية فرق أهل الكلام وهم الأشاعرة المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) والماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ) وهي الفرق القائمة حتى زماننا هذا.

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٠٣٤، ١٠٣٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ١٤٧، ١٤٨.

٢ـ الأشعرية:

يعتبر أبو الحسن الأشعري امتداداً للمذهب الكلابي فأبو الحسن الأشعري الذي عاش في الفترة ما بين (٢٦٠هـ -٣٢٤هـ) كان معتزلياً إلى سن الأربعين، حيث عاش في بيت أبي علي الجبائي (ت: ٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة في البصرة، ثم رجع عن مذهب المعتزلة وسلك طريقة ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وتأثر بها مدة طويلة، ولعل السبب في ذلك أنه وجد في كتب ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وكلامه بغيته من الرد على المعتزلة وإظهار فضائحهم وهتك أستارهم، وكان ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) قد صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم. ولكن فات الأشعري أن ابن كلاب وإن رد على المعتزلة وكشف باطلهم وأثبت لله تعالى الصفات اللازمة، فقد وافقهم في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالى وقدرته، فنفى كما نفت المعتزلة أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته. كما نفى أيضاً الصفات الاختيارية مثل الرضى، والغضب، والبغض، والسخط وغيرها.

وقد مضى الأشعري في هذا الطور نشيطاً يؤلف ويناظر ويلقى الدروس في الرد على المعتزلة سالكاً هذه الطريقة.

ثم التقى بزكريا بن يحي الساجي فأخذ عنه ما أخذ من أصول أهل السنة والحديث[١]، وكان الساجي شيخ البصرة وحافظها[٢] ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى وذلك بآخر أمره.

ولكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة،

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٨٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٩٠٧).

(٢) العلو (ص١٥٠)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٩٠٧).

فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول، وبين الانتصار للسنة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية وغير ذلك[(١)].

وقال عنه السجزي: «رجع في الفروع وثبت في الأصول» [(٢)] أي أصول المعتزلة التي بنوا عليها نفي الصفات، مثل دليل الأعراض وغيره[(٣)].

❑ وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري (ت: ٢٤٣ هـ)، وأبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة. ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولاً فاسدة، صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقاً»[(٤)].

وقال أيضاً: «والذي كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) والأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) بقايا من التجهم والاعتزال، مثل اعتقاد صحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام، وإنكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشاؤها ويختارها، وأمثال ذلك»[(٥)].

وقد مرت الأشعرية بأطوار ومراحل كان أولها زيادة المادة الكلامية، ثم الجنوح الكبير للمادة الاعتزالية، ثم خلط هذه العقيدة بالمادة الفلسفية.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٤).

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٦٨).

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٣٦٧).

(٤) الاستقامة (١/ ٢١٢).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٩٧).

فالأشعرية المتأخرة مالوا إلى نوع التجهم بل الفلسفة وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه[١].

فقدماء الأشاعرة يثبتون الصفات الخبرية بالجملة، كأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وأبي عبد الله بن مجاهد (ت: ٣٧٠ هـ)، وأبي الحسن الباهلي (ت: ٣٧٠ هـ)، والقاضي أبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، وأبي إسحاق الإسفرائيني (ت: ٤١٨ هـ)، وأبي بكر بن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، وأبي محمد بن اللبان (ت: ٤٠٢ هـ)، وأبي علي بن شاذان (ت: ٤٢٥ هـ)، وأبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥ هـ)، وأبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، وغير هؤلاء[٢].

لكن المتأخرين من أتباع أبي الحسن الأشعري كأبي المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ) وغيره لا يثبتون إلا الصفات العقلية، وأما الخبرية فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقف فيها كالرازي (: ٦٠٦ هـ)، والآمدي (ت: ٦٣١ هـ)، وغيرهما.

ونفاة الصفات الخبرية منهم من يتأول نصوصها ومنهم من يفوض معناها إلى الله تعالى.

وأما من أثبتها كالأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وأئمة أصحابه. فهؤلاء يقولون: تأويلها بما يقتضي نفيها تأويل باطل، فلا يكتفون بالتفويض بل يبطلون تأويلات النفاة[٣].

وهذا الاضطراب في العقيدة الأشعرية بين المتقدمين والمتأخرين سببه ما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٧، ١٤٨).

(٣) منهاج السنة (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

أسلفنا من ميل الأشاعرة بأشعريتهم إلى الاعتزال أكثر فأكثر بل إنهم خلطوا معها الفلسفة.

- **قولهم في الصفات.**

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فالأشعرية وافق بعضهم المعتزلة في الصفات الخبرية، وجمهورهم وافقهم في الصفات الحديثية، وأما الصفات القرآنية فلهم قولان:

فالأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، والباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) وقدماؤهم يثبتونها، وبعضهم يقر ببعضها؛ وفيهم تجهم من جهة أخرى.

فإن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) شرب كلام الجبائي (ت: ٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة، ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم.

وابن الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) أكثر إثباتاً بعد الأشعري(ت: ٣٢٤ هـ)، وبعد ابن الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) ابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ)، فإنه أثبت بعض ما في القرآن.

وأما الجويني (ت: ٤٧٨هـ) ومن سلك طريقته فمالوا إلى مذهب المعتزلة فإن أبا المعالي كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم (ت: ٣٢١ هـ)، قليل المعرفة بالآثار، فأثر فيه مجموع الأمرين»[١].

فما إن جاء أبوبكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، فتصدى للإمامة في تلك الطريقة وهذبها ووضع لها المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية من حيث وجوب الإيمان بها [٢] وأسهم إلى

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص٤٦٥)، ط: مصطفى محمد.

حد كبير في تنظير المذهب الأشعري الكلامي وتنظيمه مما أدى إلى تشابه منهجي بين المذهب الأشعري والمذهب المعتزلي فقد كان الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) يجعل النص هو الأساس والعقل عنده تابع، أما الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) فالعقيدة كلها بجميع مسائلها تدخل في نطاق العقل[١] ويعتبر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) المؤسس الثاني للمذهب الأشعري[٢].

ثم جاء بعده إمام الحرمين الجويني (ت: ٤٧٨هـ) فاستخدم الأقيسة المنطقية في تأييد هذه العقيدة، وخالف الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) في كثير من القواعد التي وضعها. وإن كان الجويني (ت: ٤٧٨هـ) قد استفاد أكثر مادته الكلامية من كلام الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، لكنه مزج أشعريته بشيء من الاعتزال استمده من كلام أبي هاشم الجبائي المعتزلي (ت: ٣٢١ هـ) على مختارات له، وبذلك خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة.

وأما كلام أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) فلم يكن يستمد منه، وإنما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس[٣] وعلى طريقة الجويني (ت: ٤٧٨هـ) اعتمد المتأخرون من الأشاعرة، كالغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) وابن الخطيب الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) وخلطوا مع المادة الاعتزالية التي أدخلها الجويني (ت: ٤٧٨ هـ) مادة فلسفية، وبذلك ازدادت الأشعرية بعداً وانحرافاً.

فالغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني (ت:

---

(١) مقدمة التمهيد للباقلاني (ص١٥)، بتحقيق الخضيري وأبو ريدة.
(٢) نشأة الأشعرية وتطورها (ص٣٢٠).
(٣) بغية المرتاد (ص٤٤٨، ٤٥١)، بتصرف.

٤٧٨هـ) في «الإرشاد» و«الشامل» ونحوهما مضموماً إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ). ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا (ت: ٤٢٧ هـ)، ولهذا يقال أبو حامد أمرضه «الشفا»، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي (ت: ٤١٤ هـ)، ونحو ذلك.

وأما الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، فمادته الكلامية من كلام أبي المعالي (ت: ٤٧٨ هـ) و الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري (ت: ٥١٢ هـ)، عن أبي المعالي (ت: ٤٧٨ هـ)، وله مادة اعتزالية قوية من كلام أبي الحسين البصري (ت: ٤٣٦هـ)، وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا (ت: ٤٢٧ هـ) و الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) ونحوهما(١).

والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام وجبرية في باب القدر، وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم، ولا يرون الخروج على الأئمة بالسيف موافقة لأهل الحديث وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى أهل السنة والحديث(٢).

وهناك عدة عوامل أدت إلى انتشار الأشعرية واشتهارها لعل من أبرزها ما يلي:

أولاً: نشأةُ المذهب في «بغداد» التي كانت حاضرة الخلافة العباسية ومحط أنظار طلاب العلم الذين كانوا يفدون إليها من شتى الأقطار، فهذا العامل أدى بدوره إلى تبني البعض للمذهب الأشعري والسعي لنشره في الأقطار الأخرى (٣) بسبب تواجد كثير من أعيان المذهب الأشعري في بغداد

---

(١) بغية المرتاد (ص: ٤٤٨)، بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥).

(٣) انظر كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٤٩٩).

في ذلك الحين.

ثانياً: التقارب الذي كان موجوداً بين الأشعرية والحنبلية وما نفقت الأشعرية وراجت إلا بتوالفها مع الحنبلية. ولولا ذلك لكان مصيرها مصير المعتزلة الذين كان للحنابلة دور كبير في مقاومتهم والرد عليهم. وقد كان بين الأشعرية والحنبلية شيء من التوالف والمسالمة وكانوا قديما متقاربين.

فإن أبا الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) ما كان ينتسب إلا إلى مذهب أهل الحديث، وإمامهم عنده أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، وكان عداده في متكلمي أهل الحديث.

والأشعرية فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلي فرع عليهم.

وإنما وقعت الفرقة بسبب فتنة القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) [١] وكان تلميذاً لابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ) الذي كان من أشعرية خراسان الذين انحرفوا إلى التعطيل، فلما صنف القاضي أبو يعلى الحنبلي (ت: ٤٥٨ هـ) كتابه «إبطال التأويلات» رد فيه على ابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ) شيخ القشيري وكان الخليفة وغيره مائلين إليه. فلما صار للقشيرية دولة بسبب السلاجقة جرت تلك الفتنة[٢].

❒ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «فَالْأَشْعَرِيَّةُ » وَافَقَ بَعْضُهُمْ فِي الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَجُمْهُورُهُمْ وَافَقَهُمْ فِي الصِّفَاتِ الحديثية؛ وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فَلَهُمْ قَوْلَانِ:

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢-٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢-٥٤).

- فَالْأَشْعَرِيُّ (ت: ٣٢٤ هـ)، والباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) وَقُدَمَاؤُهُمْ يُثْبِتُونَهَا.

- وَبَعْضُهُمْ يُقِرُّ بِبَعْضِهَا؛

وَفِيهِمْ تَجَهُّمٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى:

- فَإِنَّ الْأَشْعَرِيَّ شَرِبَ كَلَامَ الجبائي (ت: ٣٠٣ هـ) شَيْخِ الْمُعْتَزِلَةِ وَنِسْبَتُهُ فِي الْكَلَامِ إِلَيْهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا عِنْدَ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ؛
- وَابْنُ الْبَاقِلَانِي (ت: ٤٠٣ هـ) أَكْثَرُ إِثْبَاتًا بَعْدَ الْأَشْعَرِيِّ فِي « الْإِبَانَةِ » .
- وَبَعْدَ ابْنِ الْبَاقِلَانِي (ت: ٤٠٣ هـ) ابْنُ فورك (ت: ٤٠٦ هـ) فورك (ت: ٤٠٦ هـ) فَإِنَّهُ أَثْبَتَ بَعْضَ مَا فِي الْقُرْآنِ.
- وَ « أَمَّا الجُوَيْنِي (ت: ٤٧٨هـ)» وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَتَهُ: فَمَالُوا إِلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ فَإِنَّ أَبَا الْمَعَالِي كَانَ كَثِيرَ الْمُطَالَعَةِ لِكُتُبِ أَبِي هَاشِمٍ (ت: ٣٢١ هـ) قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِالْآثَارِ فَأَثَّرَ فِيهِ مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ .
- والقشيري (ت: ٤٦٥ هـ) تِلْمِيذُ ابْنِ فورك (ت: ٤٠٦ هـ)؛ فَلِهَذَا تغلظ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ مِنْ حِينَئِذٍ وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَنْبَلِيَّةِ تَنَافُرٌ بَعْدَ أَنْ كَانُوا متوالفين أَوْ مُتَسَالِمِينَ .

وَ « أَمَّا الْحَنْبَلِيَّةُ:

- فَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ (ت: ٤٠٣ هـ)، قَوِيٌّ فِي الْإِثْبَاتِ جَادٌّ فِيهِ يَنْزِعُ لِمَسَائِلِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ؛
- وَسَلَكَ طَرِيقَهُ صَاحِبُهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى؛ لَكِنَّهُ أَلْيَنُ مِنْهُ وَأَبْعَدُ عَنْ الزِّيَادَةِ فِي الْإِثْبَاتِ.

● وَأَمَّا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بَطَّةَ فَطَرِيقَتُهُ طَرِيقَةُ الْمُحَدِّثِينَ الْمَحْضَةِ كَأَبِي بَكْرٍ الآجري فِي « الشَّرِيعَةِ » واللالكائي فِي السُّنَنِ وَالْخَلَّالُ مِثْلُهُ قَرِيبٌ مِنْهُ وَإِلَى طَرِيقَتِهِ يَمِيلُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَمُتَأَخِّرُو الْمُحَدِّثِينَ .

● [وَ « أَمَّا التَّمِيمِيُّونَ » كَأَبِي الْحَسَنِ وَابْنِ أَبِي الْفَضْلِ (ت: ٤١٠ هـ) وَابْنِ رِزْقِ اللَّهِ (ت: ٤٨٨ هـ)] فَهُمْ أَبْعَدُ عَنْ الْإِثْبَاتِ وَأَقْرَبُ إلَى مُوَافَقَةِ غَيْرِهِمْ وَأَلْيَنُ لَهُمْ؛ وَلِهَذَا تَتْبَعُهُمْ الصُّوفِيَّةُ وَيَمِيلُ إلَيْهِمْ فُضَلَاءُ الْأَشْعَرِيَّةِ: كَالْبَاقِلَانِي (ت: ٤٠٣ هـ)، وَالْبَيْهَقِي؛ فَإِنَّ عَقِيدَةَ أَحْمَد الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو الْفَضْلِ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا البيهقي مَعَ أَنَّ الْقَوْمَ مَاشُونَ عَلَى السُّنَّةِ.

● وَأَمَّا ابْنُ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ) فَإِذَا انْحَرَفَ وَقَعَ فِي كَلَامِهِ مَادَّةٌ قَوِيَّةٌ مُعْتَزِلِيَّةٌ فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ الْأَشْعَرِيُّ أَحْسَنَ قَوْلًا مِنْهُ وَأَقْرَبَ إلَى السُّنَّةِ. فَإِنَّ الْأَشْعَرِيَّ مَا كَانَ يَنْتَسِبُ إلَّا إلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَإِمَامُهُمْ عِنْدَهُ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ (ت: ٣٦٣ هـ) وَغَيْرُهُ فِي مُنَاظَرَاتِهِ: مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ عِنْدَهُ مِنْ مُتَكَلِّمِي أَهْلِ الْحَدِيثِ لَمْ يَجْعَلْهُ مُبَايِنًا لَهُمْ؛ وَكَانُوا قَدِيمًا مُتَقَارِبِينَ إلَّا أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ مَا قَدْ يُنْكِرُونَهُ عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إلَى شَيْءٍ مِنْ الْكَلَامِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْبِدْعَةِ؛ مَعَ أَنَّهُ فِي أَصْلِ مَقَالَتِهِ لَيْسَ عَلَى السُّنَّةِ الْمَحْضَةِ بَلْ هُوَ مُقَصِّرٌ عَنْهَا تَقْصِيرًا مَعْرُوفًا .

وَ « الْأَشْعَرِيَّةُ » فِيمَا يُثْبِتُونَهُ مِنْ السُّنَّةِ فَرْعٌ عَلَى الْحَنْبَلِيَّةِ كَمَا أَنَّ مُتَكَلِّمَةَ الْحَنْبَلِيَّةِ -فِيمَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنْ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ- فَرْعٌ عَلَيْهِمْ؛

وَإِنَّمَا وَقَعَتْ الْفُرْقَةُ بِسَبَبِ فِتْنَةِ القشيري. وَلَا رَيْبَ أَنَّ « الْأَشْعَرِيَّةَ » الخراسانيين كَانُوا قَدْ انْحَرَفُوا إلَى التَّعْطِيلِ.

وَكَثِيرٌ مِنْ الْحَنْبَلِيَّةِ زَادُوا فِي الْإِثْبَاتِ. وَصَنَّفَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى (ت: ٤٥٨

هـ) كِتَابَهُ فِي « إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ » رَدَّ فِيهِ عَلَى ابْنِ فورك (ت: ٤٠٦ هـ) شَيْخِ القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) وَكَانَ الْخَلِيفَةُ وَغَيْرُهُ مَائِلِينَ إِلَيْهِ؛ فَلَمَّا صَارَ للقشيرية دَوْلَةٌ بِسَبَبِ السَّلَاجِقَةِ جرَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ وَأَكْثَرُ الْحَقِّ فِيهَا كَانَ مَعَ الفرائية مَعَ نَوْعٍ مِنْ الْبَاطِلِ وَكَانَ مَعَ القشيرية فِيهَا نَوْعٌ مِنْ الْحَقِّ مَعَ كَثِيرٍ مِنْ الْبَاطِلِ.

فَابْنُ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ) إِنَّمَا وَقَعَ فِي كَلَامِهِ الْمَادَّةُ الْمُعْتَزِلِيَّةُ بِسَبَبِ شَيْخِهِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ التَّبَّانِ المعتزليين؛ وَلِهَذَا لَهُ فِي كِتَابِهِ « إِثْبَاتِ التَّنْزِيهِ » وَفِي غَيْرِهِ كَلَامٌ يُضَاهِي كَلَامَ المريسي وَنَحْوِهِ لَكِنْ لَهُ فِي الْإِثْبَاتِ كَلَامٌ كَثِيرٌ حَسَنٌ وَعَلَيْهِ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ فِي كِتَابِ «الْإِرْشَادِ» مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَزِيدُ فِي الْإِثْبَاتِ لَكِنْ مَعَ هَذَا فَمَذْهَبُهُ فِي الصِّفَاتِ قَرِيبٌ مِنْ مَذْهَبِ قُدَمَاءِ الْأَشْعَرِيَّةِ والْكُلَّابِيَة فِي أَنَّهُ يُقِرُّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ وَيَتَأَوَّلُ غَيْرَهُ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْضُ الْحَنْبَلِيَّةِ أَنَا أُثْبِتُ مُتَوَسِّطًا بَيْنَ تَعْطِيلِ ابْنِ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ)، وَتَشْبِيهِ ابْنِ حَامِدٍ.

- وَالْغَزَالِيُّ (ت: ٥٠٥ هـ) فِي كَلَامِهِ مَادَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ كَبِيرَةٌ بِسَبَبِ كَلَامِ ابْنِ سِينَا (ت: ٤٢٧ هـ) فِي « الشفا » وَغَيْرِهِ؛ « وَرَسَائِلِ إخْوَانِ الصَّفَا » وَكَلَامِ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ (ت: ٤١٤ هـ). وَأَمَّا الْمَادَّةُ الْمُعْتَزِلِيَّةُ فِي كَلَامِهِ فَقَلِيلَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ كَمَا أَنَّ الْمَادَّةَ الْفَلْسَفِيَّةَ فِي كَلَامِ ابْنِ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ) قَلِيلَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَكَلَامُهُ فِي «الْإِحْيَاءِ» غَالِبُهُ جَيِّدٌ لَكِنَّ فِيهِ مَوَادَّ فَاسِدَةً: مَادَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ وَمَادَّةٌ كَلَامِيَّةٌ وَمَادَّةٌ مِنْ تُرَّهَاتِ الصُّوفِيَّةِ؛ وَمَادَّةٌ مِنْ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ. وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَقِيلٍ (ت: ٥١٣ هـ) قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ مِنْ جِهَةِ تَنَاقُضِ الْمَقَالَاتِ فِي الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُكَفِّرُ فِي أَحَدِ الصِّفَاتِ بِالْمَقَالَةِ الَّتِي يَنْصُرُهَا فِي الْمُصَنَّفِ الْآخَرِ؛ وَإِذَا صَنَّفَ عَلَى طَرِيقَةِ طَائِفَةٍ غَلَبَ عَلَيْهِ مَذْهَبُهَا.

• وَأَمَّا ابْنُ الْخَطِيبِ (ت: ٦٠٦ هـ) فَكَثِيرُ الِاضْطِرَابِ جِدًّا لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ وَإِنَّمَا هُوَ بَحْثٌ وَجَدَلٌ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يَطْلُبُ وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَطْلُوبِهِ؛ بِخِلَافِ أَبِي حَامِدٍ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَسْتَقِرُّ»[1].

ثالثاً: انتساب بعض الأمراء والوزراء للمذهب الأشعري وتبنيهم له ومن أبرزهم:

أ-الوزير نظام الملك (ت: ٤٨٥ هـ) الذي تولى الوزارة لسلاطين السلاجقة فتولى الوزارة لألب أرسلان وملكشاه مدة ثلاثين سنة وذلك من سنة (٤٥٥هـ إلى ٤٨٥هـ).

وفي عهده أنشئت المدارس النظامية نسبة إليه وذلك في عدة مدن منها البصرة، وأصفهان، وبلخ، وهراة، ومرو، والموصل، وأهمها وأكبرها المدرسة النظامية في نيسابور وبغداد.

وكان نظام الملك معظماً للصوفية والأشعرية، إذ كان هؤلاء الذين يلقون الدروس في هذه المدارس، فكان لذلك دوره الكبير في نشر أصول العقيدة الأشعرية[2].

ب-المهدي بن تومرت (٥٢٤ هـ) صاحب دولة الموحدين واسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، الذي تلقب بالمهدي، وكان قد ظهر في المغرب في أوائل المائة الخامسة، وكان قد دخل إلى بلاد العراق، وتعلم طرفاً من العلم، وكان فيه طرف من الزهد والعبادة، ولما رجع إلى المغرب صعد إلى جبال المغرب ونشر دعوته بين أناس من البربر وغيرهم

---

(١) مجموع الفتاوى: ٦/ ٥١-٥٦.

(٢) انظر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٥٠٠).

من الجهال الذي لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما شاء الله فعلمهم بعض شرائع الإسلام واستجاز أن يظهر لهم أنواعاً من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين، وادعى أنه المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ . وعظم اعتقاد أتباعه فيه، واستحلوا بسبب ما علمهم من المعتقد الأشعري والفلسفي دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا على معتقد أهل السنة واتهموهم زوراً وبهتاناً أنهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة[(١)].

فكان ابن تومرت هو السبب في إدخال العقيدة الأشعرية في بلاد المغرب التي كانت قبل ذلك سنية سلفية فحسبنا الله ونعم الوكيل.

جـ-صلاح الدين الأيوبي (ت: ٥٨٩ هـ)، وكان صلاح الدين الأيوبي أشعرياً، فقد حفظ في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري (ت: ٥٧٨ هـ) أحد أعلام الأشعرية وصار يحفظها صغار أولاده، ولذلك نشأ هو وأولاده على المعتقد الأشعري، فحمل صلاح الدين الكافة على عقيدة أبي الحسن الأشعري، وتمادى الحال على ذلك في جميع أيام ملوك بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك.[(٢)]

وقد كان لذلك دوره الكبير في نشر الأشعرية في سائر أنحاء العالم الإسلامي، فمصر التي كانت مقر الدولة الأيوبية كانت هي حاضرة العلم في تلك العصور وقد كان للأزهر دور كبير في نشر العقيدة الأشعرية التي ادخلها

(١) انظر مجموع الفتاوى (١١/ ٤٧٥).
(٢) الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٨).

صلاح الدين (ت: ٥٨٩ هـ) في مصر بعد أن قضى على الدولة العبيدية الإسماعيلية، ومنذ زمن صلاح الدين والأزهر يقرر عقيدة الأشاعرة إلى يومنا هذا.

والأشاعرة يخالفون أهل السنة في الكثير من مسائل الاعتقاد.

ومنها على سبيل المثال:

١ـ أن مصدر التلقي عندهم في قضايا الإلهيات (أي التوحيد) والنبوات هو العقل وحده، فهم يقسمون أبواب العقيدة إلى ثلاثة أبواب: إلهيات، نبوات، سمعيات، ويقصدون بالسمعيات ما يتعلق بمسائل اليوم الآخر من البعث والحشر والجنة والنار وغير ذلك.

وسموها سمعيات لأن مصدرها عندهم النصوص الشرعية وأما ما عداها أي الإلهيات والنبوات فمصدرهم فيها العقل.

٢ـ زعمهم أن الإيمان هو مجرد التصديق، فأخرجوا العمل من مسمى الإيمان.

٣ـ بناءً على تعريفهم للإيمان فقد أخرجوا توحيد الألوهية من تقسيمهم للتوحيد، فالتوحيد عندهم هو أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وواحد في صفاته لا نظير له. وهذا التعريف خلا من الإشارة إلى توحيد الألوهية، فلذلك فإن أي مجتمع أشعري تجد فيه توحيد الإلهية مختلاً، وسوق الشرك والبدعة رائجة لأن الناس لم يعلّموا أن الله واحد في عبادته لا شريك له.

٤ـ وبناءً كذلك على تعريفهم للإيمان فقد أخرجوا الاتباع من تعريفهم للإيمان بالنبي ﷺ فحصروا الإيمان بالنبي في الأمور التصديقية فقط، ومن أجل ذلك انتشرت البدع في المجتمعات الأشعرية.

٥ـ خالفوا أهل السنة في أسماء الله وصفاته وهذا سيأتي بيانه.
٦ـ خالفوا أهل السنة في باب القدر، فقولهم موافق لقول الجبرية.
٧ـ خالفوا أهل السنة في مسألة رؤية الله من جهة كونهم يقولون يرى لا في مكان.
٨ـ خالفوا أهل السنة في مسألة الكلام، فهم لا يثبتون صفة الكلام على حقيقتها بل يقولون بالكلام النفسي. إلى غير ذلك من أنواع المخالفات.

٣ـ الماتريدية:

تعد الماتريدية شقيقة الأشعرية، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق حتى لكأنهما فرقة واحدة، ويصعب التفريق بينهما. ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلاً من أبى الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وأبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) هما إماما أهل السنة على حد تعبيرهم[(١)].

ولعل هذا التوافق مع كونه يرجع إلى سبب رئيسي وهو توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما وخاصة مع الأشعرية المتأخرة، إلا أن هناك أسباب مهمة يرجع إليها ويجب اعتبارها وأخذها في الحسبان ولعل أهمها التزامن في نشأة الفرقتين مع كون كل فرقة استقلت بأماكن نفوذ لم تنازعها فيها الفرقة الأخرى. فالماتريدية انتشرت بين الأحناف الذين كانوا متواجدين في شرق العالم الإسلامي وشماله فقل أن تجد حنفياً على عقيدة الأشاعرة إلا ما ذكر من أن أبا جعفر السمناني -وهو حنفي-كان أشعرياً.

بينما نجد الأشعرية قد انتشرت بين الشافعية والمالكية وهم اليوم يتواجدون في وسط وغرب وجنوب وجنوب شرق العالم الإسلامي، فجل

(١) مفتاح السعادة (٢/ ١٥١، ١٥٢) تأليف: طاش كبرى زاده

الشافعية والمالكية على الأشعرية. ولست أعني بذلك عوامهم وإنما الطبقة المثقفة منهم.

والماتريدية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ) [١] كان معدوداً في فقهاء الحنفية، وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار، [٢] وقد نهج منهجاً كلامياً في تقرير العقيدة يشابه إلى حد كبير منهج متأخري الأشاعرة، وعداده في أهل الكلام من الصفاتية من أمثال ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ) وأمثالهما. وقد تابع الماتريدي ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها[٣].

ومن المعلوم أن الأحناف وأهل المشرق عموماً كانوا من أسبق الناس تأثراً بعلم الكلام، فقد كانت بداية الجهم من تلك الجهات، وفي هذا يقول الإمام أحمد (ت: ٢٤١ هـ) في معرض كلامه عن الجهم (ت: ١٢٨ هـ): «وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة (ت: ١٥٠ هـ) وأصحاب عمرو بن عبيد (تك ١٤٣ هـ) بالبصرة»[٤].

فبشر بن غياث المريسي (٢٢٨هـ) والقاضي أحمد بن أبي دؤاد (٢٤٠هـ) وغيرهما كانوا من الأحناف، فلا غرابة أن يكون الماتريدي الحنفي من أولئك الذين ناصروا علم الكلام وسعوا في تأسيسه وتقعيده، إلى أن أصبح علماً من

(١) انظر ترجمته في كتاب الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (١/ ٢٠٩) للدكتور شمس الدين الأفغاني.
(٢) العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص: ٢٧٩) تأليف: عبد الله بن يوسف الجديع.
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٣)، كتاب الإيمان (ص: ٤١٤)، منهاج السنة (٢/ ٣٦٢).
(٤) الرد على الجهمية (ص: ١٠٣-١٠٥).

أعلامه وصاحب إحدى مدارس الكلام التي صارت فيما بعد تعرف باسمه.

فالماتريدي لا يبعد كثيراً عن أبي الحسن الأشعري (في طوره الثاني) فهو خصم لَدُود للمعتزلة، إلا أنه كان متأثراً بالمنهج الكلامي على طريقة ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) من الاعتماد على المناهج الكلامية في تقرير المسائل الاعتقادية شأنه في ذلك شأن أبي الحسن الأشعري، فكلاهما يعتبر امتداداً لمدرسة ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) التي عرفت كمدرسة ثالثة بعد أن كان الخلاف دائراً بين أهل السنة والجماعة من جهة، والجهمية والمعتزلة من جهة أخرى، فجاء ابن كلاب (ت: ٢٤٣ هـ) وأحدث منهجاً ثالثاً حاول فيه التلفيق بين النصوص الشرعية والمناهج الكلامية كما سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الكلابية.

فالمذهب الكلابي كان له وجوده في العراق والري وخراسان وكان له انتشار في بلاد ما وراء النهر التي كانت تغص بمختلف الطوائف والفرق[١].

ولم تتعرض الماتريدية للتطور الذي حصل على العقيدة الأشعرية والذي سبق بيانه في الحديث عن الأشعرية فالماتريدية بقيت على ما كانت عليه.

المطلب الثالث: مسالك التعطيل.

ينقسم المعطلة في مسالك تعطيلهم إلى ثلاث طوائف:

١- «أهل التخييل».

٢- «وأهل التأويل».

٣- «وأهل التجهيل».

---

(١) انظر أحسن التقاسيم للمقدسي (ص: ٣٢٣).

ومسالك التعطيل في الأصل تعود إلى مسلكين:

- **المسلك الأول: مسلك التبديل. وينقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: مسلك الوهم والتخييل.

«فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف. فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق.

ثم هم على قسمين:

منهم من يقول: إن الرسول ﷺ لم يعلم الحقائق على ما هي عليه.

ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية.

ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد. فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال: فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

فالفلاسفة دعواهم العريضة في هذا الباب هي قولهم: إن ما ذكره الرسول ﷺ إنما هو من باب الوهم والتخييل، وهم يقولون: ليس هناك أصلا نبوة على الحقيقة، وأن النبوة على زعمهم إنما هي أمر مكتسب كأي مهنة من المهن، وأن هذا النبي استطاع بقوة ذكائه أن يخيل للناس أن هناك ربا على الحقيقة، وأن نتجلى على الحقيقة، وأن هناك بعثا وحشرا وإلى غير ذلك، وهذا كله عندهم من باب الوهم والخيال.

تحت هذا الزعم يقولون: إن هذه الأمور لا حقيقة لها، وأن هذا الرجل إنما هو مجرد مصلح زعم بأنه بهذه الطريقة استطاع أن يصلح الناس، وعند بعضهم لا بأس بالإبقاء على ذلك لأن في ذلك مصلحة، فعقول عامة الناس لا تتسع لغير ذلك، وليس بمقدور كل أحد أن يدرس الفلسفة التي هم عليها حتى يعرفوا الأمر على حقيقته.

وهذا مسلك الفلاسفة، ولذلك هم ينكرون كل غيب، فعندهم أن وجود الله-عَزَّوَجَلَّ-لا حقيقة له وإنما هو أمر مقدر في الخيال والذهن لا في الخارج، وأن الملائكة هي قوى الخير في النفس، والشياطين هي قوى الشر في النفس، وأن الجنة هي السعادة النفسية، وأن النار هي الشقاء النفسي، إلى غير ذلك من التأويلات التي قالوها تحت هذا الزعم، فهم ليسوا مع ذلك بحاجة إلى أن يؤولوا على وجه التفصيل.

فهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ليس لينتفع به خواص الناس وإنما هو فقط خطاب للعوام والجمهور من الناس، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق، فإذا طعنوا في علمه، وطعنوا في بيانه، وطعنوا حتى في قدرته على الحق عند بعضهم.

❏ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وكان لهؤلاء الفلاسفة أقوال فاسدة تلقوها من أسلافهم الفلاسفة، ولما رأوا أن ما تواتر عن الرسل يخالفها، سلكوا طريقهم الباطنية فقالوا: إن الرسل لم تبين العلم والحقائق التي يقوم عليها البرهان في الأمور العلمية، ثم منهم من قال: إن الرسل علمت ذلك وما بينته، ومنهم من يقول: إنها لم تعلمه وإنما كانوا بارعين في الحكمة العملية دون الحكمة العلمية، ولكن خاطبوا الجمهور بخطاب تخييلي، خيلت لهم في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما ينفعهم اعتقاده في سياستهم، وإن كان ذلك اعتقادا باطلا لا يطابق الحقائق.

وهم يقرون بالعبادات، ولكن يقولون مقصودها إصلاح أخلاق النفس، وقد يقولون إنها تسقط عن الخاصة العارفين بالحقائق فكانت بدعة أولئك المتكلمين مما أعانت إلحاد هؤلاء الملحدين»[١].

القسم الثاني: مسلك التحريف والتأويل.

وهذا القسم الثاني من مسلك التبديل وهو مسلك التأويل والتحريف، وأهل هذا المسلك هم طوائف أهل الكلام وهم: الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية.

(١) منهاج السنة ١/ ٣٢١، ٣٢٢. «بتصرف».

❐ والفرق بين مسلك أهل الوهم والتخييل ومسلك أهل التأويل والتحريف من وجهين:

- **الوجه الأول:**

أن الفلاسفة يعممون قولهم في كل غيب، فيتكلمون بهذا الزعم في مسائل الإيمان بالله وفي مسائل الإيمان باليوم الآخر، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى الأمور العملية.

أما أهل الكلام فيطلقون هذه العبارات في أبواب دون أبواب، فهم دونهم في هذا الأمر، فهم يعممون مثل هذه الأقوال في مسائل الصفات دون مسائل الإيمان باليوم الآخر، مع ما عند الجهمية والمعتزلة من خلل في بعض مسائل المعاد كمسائل عذاب القبر، وكذلك الشفاعة وفناء الجنة والنار وغيرها من المسائل التي تتعلق باليوم الآخر.

فإطلاقهم بمثل هذه العبارات خاص في باب الصفات دون غيره من الأبواب.

- **الوجه الثاني:** من الفروق بين مسلك الفلاسفة ومسلك أهل الكلام: هو أن الطريقة اختلفت.

فالفلاسفة يقولون: إن ما جاء به الرسول وهم وخيال.

أما أهل الكلام فيقولون: إن الرسول لم يقصد أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين تلك المعاني ولا دل الناس عليها ولكن ترك ذلك امتحانا لعقولهم

وأصحاب مسلك التأويل هم:

❑ أولاً: الجهمية.

وقد كان الغلاة من القرامطة والباطنية والفلاسفة والاتحادية نسخة للجهمية الذين تكلم فيهم السلف والأئمة، مع كون أولئك كانوا أقرب إلى الإسلام. فقد كان كلام الجهمية يدور أيضاً على هذين الأصلين فهم يظهرون للناس والعامة أن الله بذاته موجود في كل مكان، أو يعتقدون ذلك.

وعند التحقيق يصفونه بالسلب الذي يستوجب عدمه كقولهم: ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ومحايث، ولا متصل به ولا منفصل عنه، وأشباه هذه السلوب.

فكلام أول الجهمية وآخرهم يدور على هذين الأصلين:

١- إما النفي والتعطيل الذي يقتضي عدمه.

٢- وإما الإثبات الذي يقتضي أنه هو المخلوقات. أو جزء منها أو صفة لها.

وكثير منهم يجمع بين هذا النفي وهذا الإثبات المتناقضين، وإذا حوقق في ذلك قال: ذاك السلب مقتضى نظري. وهذا الإثبات مقتضى شهودي وذوقي. ومعلوم أن العقل والذوق إذا تناقضا لزم بطلانهما أو بطلان أحدهما(١).

وهذا حال الجهمية دائماً يترددون بين هذا النفي العام المطلق، وهذا الإثبات العام المطلق، وهم في كليهما حائرون ضالون لا يعرفون الرب الذي أمروا بعبادته(٢).

---

(١) بغية المرتاد ص: ٤١٠، ٤١١.

(٢) نقض تأسيس الجهمية ٢/ ٤٦٧.

❐ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (والجهمية نفاة الصفات تارة يقولون بما يستلزم الحلول والاتحاد، أو يصرحون بذلك. وتارة بما يستلزم الجحود والتعطيل، فنفاتهم لا يعبدون شيئاً، ومثبتتهم يعبدون كل شيء)[(١)].

ولا ريب أن هؤلاء المعطلة بصنيعهم هذا قد أعرضوا عن أسمائه وصفاته وآياته وصاروا جهالاً به، كافرين به، غافلين عن ذكره، موتى القلوب عن معرفته ومحبته وعبادته، وهذا هو غاية القرامطة الباطنية والمعطلة الدهرية أنهم يبقون في ظلمة الجهل وضلال الكفر، لا يعرفون الله ولا يذكرونه[(٢)].

وأما أهل الكلام فقد شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة.

وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم، وهم وإن كانوا يخالفون الفلاسفة في قولهم إن هذه الحقائق مجرد وهم وخيال، إلا أنهم شاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف طوائفهم تقريراً لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة، فبدل أن تسمع أو تقرأ «قال الله» أو «قال رسوله ﷺ» أو «قال الصحابة»، فإنك لا تجد في كتبهم إلا «قال الفضلاء»، «قال العقلاء»، «قال الحكماء»، ويعنون بهم فلاسفة اليونان من الوثنيين، فكيف جاز لهم ترك كلام الله وكلام رسوله ﷺ والأخذ بكلام من لا يعرف الله ولا يؤمن برسوله؟!

والمطَّلِع على كتب أهل الكلام يدرك عِظَم الضرر الذي جَنَتْهُ على الأمة

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٩.
(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٤٨. «بتصرف»

المسلمة، إذ تسببت تلك الكتب في حجب الناس عن المعرفة الصحيحة لله ورسوله ولدينه، وجُعِلَ بدل ذلك مقالات التعطيل والتجهيل والتخييل

❑ والمسلك الثاني: مسلك التجهيل:

وهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف. يقولون: إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني [تلك] الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه.

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية: ٧]، فإنه وقف كثير من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهو وقف صحيح [لكن] لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعمله، وظنوا أن التأويل [المذكور] في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

من الافتراءات التي ألصقت بمذهب السلف أهل السنة والجماعة، أنهم يؤمنون بألفاظ مجردة دون التطرق للمعاني، وهو ما يسميه من ينسبه إليهم مذهب التفويض، واستدلوا لذلك بقول أكثر من واحد من أئمة السلف في نصوص الصفات: «أمروها كما جاءت»، وهم إنما نفوا العلم بالكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة.

وهذا الزعم فيه تجهيل للسلف، واتهام لهم بعدم العلم، وحقيقة الأمر أن السلف كانوا أعظم الناس فهما وتدبرا للنصوص الشرعية، وبخاصة ما يتعلق منها بمعرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، يؤمنون بألفاظها، ويعرفون معانيها، لكن لم يكونوا

يتكلفون ما لم يحيطوا به علما ولا فهما، ولا يخوضون في كيفية ذات الله- عزّ وجلّ-وصفاته.

فالسلف يؤمنون بأسماء الله وصفاته، وبما دلت عليه من المعاني والأحكام، أما كيفيتها فيفوضون علمها إلى الله.

وهم برآء مما اتهمهم به المعطلة الذين زعموا أن السلف يؤمنون، بألفاظ نصوص الأسماء والصفات، ويفوضون معانيها.

فإنهم كانوا أعظم الناس فهما وتدبرا لآيات الكتاب وأحاديث النبي، خاصة فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى، فكانوا يدرون معاني ما يقرأون ويحملون من العلم، ولكنهم لم يكونوا يتكلفون الفهم للغيب المحجوب، فلم يكونوا يخوضون في كيفيات الصفات شأن أهل الكلام والبدع، فإنهم حين خاضوا في ذات الله وصفاته وقعوا في التأويل والتعطيل، وإنما ألجأهم إلى ذلك، الضيق الذي دخل عليهم بسبب التشبيه، فأرادوا الفرار منه فوقعوا في التعطيل،، ولم يقع تعطيل إلا بتشبيه، ولو أنهم نزهوا الله تعالى ابتداء عن مشابهة الخلق، وأثبتوا الصفة مع نفي المماثلة لسلموا ونجوا، ولوافقوا اعتقاد السلف ولبان لهم أن السلف لم يكونوا حملة أسفار لا يدرون ما فيها.

ومن تدبر كلام أئمة السلف المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظرا، وأعلم الناس في هذا الباب، وأن الذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، ولذلك صار أولئك الذين خالفوا مختلفين في الكتاب، مخالفين للكتاب، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: الآية: ١٧٦].

ومن له اطلاع على أقوال السلف المدونة في كتب العقيدة والتفسير

والحديث، يدرك أن السلف تكلموا في معاني نصوص الصفات، وبينوها ولم يسكتوا عنها، وهذه الأقوال أكبر شاهد على فهم السلف لتلك النصوص وإدراك معانيها[(١)].

ودعوى تفويض معاني النصوص دعوى مرفوضة وهي دليل على جهل المخالفين بأقوال السلف في هذا الباب.

وقد حاول أولئك تمرير هذا الباطل تحت عدد من المسميات، فقد أثاروا هذه المسألة تحت قضية المحكم والمتشابه، وتحت دعوى التأويل، وتحت دعوى المجاز، وتحت دعوى التفويض، وغيرها من المسائل.

- **والقسمان الواقفان الذين يقفون في هذا على أحد قولين:**

القسم الأول:

- قسم يقول: تجرى على ظاهرها، ومع ذلك يجوز أن يكون المراد أمراً آخر، فيجوز أحد الاعتبارين، أحد الحالين، يجوز في نفس الوقت إجراؤها على ظاهرها، ويجوز في نفس الوقت أن يكون لها معنى آخر لا يعلمه إلا الله تعالى، فهذا فرق بينه وبين الذي قبله، فالذي قبله يجزم بأنها على خلاف ظاهرها لكن يسكت عن تحديد المراد، أما هذا فيجوِّز الحالين، يجوِّز الحالين معًا وهذا في غاية التناقض لأنه جمع بين ضدين.

القسم الثاني:

- وقسم أصحاب الجهل البسيط الذين يمسكون عن هذا كله، ويقولون: نحن نقرأ القرآن ولا نتجاوز قراءة النص، ونُعرض عن هذا كله، وهذا يعني لا

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٨-٢٧٩، ٧/ ١٠٨-١٠٩).

شك أنه إعراض عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ) سبب نشوء هذه الشبهة فيقول عن المفوضة: «هم طائفة من المنتسبين إلى السنة، وأتباع السلف، تعارض عندهم المعقول والمنقول، فأعرضوا عنها جميعا بقلوبهم وعقولهم، بعد أن هالهم ما عليه أصحاب التأويل من تحريف للنصوص، وجناية على الدين فقالوا في أسماء الله وصفاته، وما جاء في ذكر الجنة والنار، والوعد والوعيد إنما هي نصوص متشابهة لا يعلم معناها إلا الله تعالى.

وهم طائفتان من حيث إثبات ظواهر النصوص ونفيها.

الأولى تقول: المراد بهذه النصوص خلاف مدلولها الظاهر، ولا يعرف أحد من الأنبياء، ولا الملائكة، ولا الصحابة، ولا أحد من الأمة، ما أراد الله بها، كما لا يعلمون وقت الساعة.

الثانية تقول: بل تجري على ظاهرها، وتحمل عليه، ومع هذا، فلا يعلم تأويلها إلا الله تعالى فتناقضوا؛ حيث أثبتوا لها تأويلا يخالف ظاهرها، وقالوا، مع هذا بأنها تحمل على ظاهرها .

وهم أيضا طائفتان؛ من حيث علم الرسول ﷺ بمعاني النصوص

الأولى تقول: إن الرسول ﷺ كان يعلم معاني النصوص المتشابهة، لكنه لم يبين للناس المراد منها، ولا أوضحه إيضاحا يقطع النزاع، وهذا هو المشهور عنهم .

والثانية تقول: وهم الأكابر منهم، أن معاني هذه النصوص المتشابهة لا يعلمها إلا الله، لا الرسول، ولا جبريل، ولا أحد من الصحابة والتابعين، وعلماء الأمة.

وعند الطائفتين أن هذه النصوص إنما أنزلت للابتلاء، والمقصود منها تحصيل الثواب بتلاوتها، وقراءتها، من غير فقه، ولا فهم»[١].

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨ هـ) أن القول بالتفويض يفضي إلى «القدح في الرب -جلا وعلا-، وفي القرآن الكريم، وفي الرسول ﷺ؛ وذلك بأن يكن الله تعالى أنزل كلاماً لا يفهم، وأمر بتدبر ما لا يتدبر، وبعقل ما لا يعقل، وأن يكون القرآن الذي هو النور المبين والذكر الحكيم سبب لأنواع الاختلافات، والضلالات، بل يكون بينهم، وكأنه بغير لغتهم، وأن يكون الرسول ﷺ لم يبلغ البلاغ المبين، ولا بين للناس ما نزل إليهم، وبهذا يكون قد فسدت الرسالة، وبطلت الحجة، وهو الذي لم يتجرأ عليه صناديد الكفر»[٢].

(١) مجموع الفتاوى: ١٦/ ٤٤٢.
(٢) انظر كتاب درء تعارض العقل والنقل: ١/ ٢٠٤ .

المبحث التاسع

من هم المشبهة.

❐ وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين التشبيه والتجسيم.

المطلب الثاني: تاريخ ظهور مقالة التشبيه.

المطلب الثالث: مقصود المخالفين بمعنى التشبيه.

المطلب الرابع: فرق المشبهة ومقالاتهم.

المطلب الخامس: من نسب للتشبيه.

المطلب الأول: الفرق بين التشبيه والتجسيم

❏ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وفي الجملة الكلام في التمثيل والتشبيه ونفيه عن الله مقام، والكلام في التجسيم ونفيه مقام آخر.»

فإن الأول دل على نفيه الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، واستفاض عنهم الإنكار على المشبهة الذين يقولون: يد كيدي، وبصر كبصري، وقدم كقدمي.

وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: الآية: ٤]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: الآية: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: الآية: ٢٢]، وأيضا فنفي ذلك معروف بالدلائل العقلية التي لا تقبل النقيض، وأما الكلام في الجسم والجوهر، ونفيهما أو إثباتهما، فبدعة ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا تكلم أحد من السلف والأئمة بذلك نفيا ولا إثباتا. والنزاع بين المتنازعين في ذلك: بعضه لفظي، وبعضه معنوي. أخطأ هؤلاء من وجه وأخطأ هؤلاء من وجه.

فإن كان النزاع مع من يقول: هو جسم أو جوهر، إذا قال: لا كالأجسام ولا كالجواهر، وإنما هو في اللفظ.

فمن قال: هو كالأجسام والجواهر، يكون الكلام معه بحسب ما يفسره من المعنى.

فإن فسر ذلك بالتشبيه الممتنع على الله تعالى، كان قوله مردودا.

وذلك بأن يتضمن قوله إثبات شيء من خصائص المخلوقين لله، فكل قول تضمن هذا فهو باطل.

وإن فسر قوله: جسم لا كالأجسام واثبات معنى آخر، مع تنزيه الرب عن خصائص المخلوقين، كان الكلام معه في ثبوت ذلك المعنى وانتفائه.

فلابد أن يلحظ في هذا إثبات شيء من خصائص المخلوقين للرب أولا، وذلك مثل أن يقول: أصفه بالقدر المشترك بين سائر الأجسام والجواهر، كما أصفه بالقدر المشترك بينه وبين سائر الموجودات، وبين كل حي عليم سميع بصير، وإن كنت لا أصفه بما تختص به المخلوقات، وإلا فلو قال الرجل: هو حي لا كالأحياء، وقادر لا كالقادرين، وعليم لا كالعلماء، وسميع لا كالسمعاء، وبصير لا كالبصراء، ونحو ذلك، وأراد بذلك نفي خصائص المخلوقين، فقد أصاب.

وإن أراد نفي الحقيقة التي للحياة والعلم والقدرة ونحو ذلك، مثل أن يثبت الألفاظ وينفي المعنى الذي أثبته الله لنفسه، وهو من صفات كماله، فقد أخطأ.

إذا تبين هذا فالنزاع بين مثبتة الجوهر والجسم ونفاته، يقع من جهة المعنى في شيئين: أحدهما: أنهم متنازعون في تماثل الأجسام والجواهر على قولين معروفين.

فمن قال بتماثلها، قال: كل من قال: إنه جسم لزمه التمثيل.

ومن قال إنها لا تتماثل، قال: إنه لا يلزمه التمثيل.

ولهذا كان أولئك يسمون المثبتين للجسم مشبهة، بحسب ما ظنوه لازما لهم، كما يسمى نفاة الصفات لمثبتيها مشبهة ومجسمة، حتى سموا جميع

المثبتة للصفات مشبهة ومجسمة وحشوية، وغثاء، وغثراء، ونحو ذلك بحسب ما ظنوه لازما لهم.

لكن إذا عرف أن صاحب القول لا يلتزم هذه اللوازم، لم يجز نسبتها إليه على أنها قول له، سواء كانت لازمة في نفس الأمر أو غير لازمة، بل إن كانا لازمة مع فسادها، دل على فساد قوله[(١)].

ومن كلام شيخ الإسلام هذا يفهم الفرق بين اللفظين، فلفظ التمثيل والتشبيه نفيه ثابت في الكتاب، والسنة، وإجماع السلف، والأئمة.

أما لفظ التجسيم فإنه من الألفاظ المحدثة التي لابد من الاستفصال عن مراد صاحبها قبل الحكم عليها كما بين شيخ الإسلام هنا.

ويترتب على ذلك أن بعض الفرق التي رميت بالتجسيم قد لا يكون مقصودها التشبيه والتمثيل المذموم ولذلك لا يصح رميها بالتمثيل والتشبيه، فهي لا تذم من هذا الوجه، وإن كان الذم قد يلحقها من وجه آخر كتوسعها في استعمال هذه الألفاظ المحدثة.

المطلب الثاني: تاريخ ظهور مقاله التشبيه.

وأول ظهور للتشبيه في هذه الأمة كان على يد الرافضة الغلاة. قال البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٢٩ هـ): «وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة»[(٢)].

❐ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «أول من قال: إن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٤/ ١٤٥-١٤٨.
(٢) الفرق بين الفرق ٣٢٥.

الله جسم هشام بن الحكم الرافضي»[(١)] .[(٢)]

ويرجع سبب ظهور مقالة التشبيه إلى أمرين:

الأمر الأول: مضاهاة أهل الكتاب -وخاصة اليهود- في مقالاتهم؛ حيث إن الإسرائيليات طافحة بتمثيل البارء سبحانه بالمخلوقين، كما أن اليهود والنصارى ضاهوا الرومان والإغريق والهنود وغيرهم في عقائدهم. قال -تعالى-: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: الآية: ٣٠].

فاليهود وقعوا في تمثيل الخالق بالمخلوق، والنصارى وقعوا في تمثيل المخلوق بالخالق. وكذلك جرى في هذه الأمة -كما سيأتي عند ذكر فرق الممثلة- قال ﷺ: «لتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!»[(٣)].

الأمر الثاني: مقابلة التعطيل بضده، فقد ظهر مذهب التعطيل فقوبل بالتمثيل، وإلى هذا المعني بشير الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وظهر بخراسان: الجهم بن صفوان، ودعا إلى تعطيل الرب عَزَّ وَجَلَّ وخلق القرآن، وظهر بخراسان

---

(١) هشام بن الحكم الكوفي الرافضي، المشبه المعثر، وله نظر وجدل وتواليف كثيرة قال في مختلف الحديث: «كان من الغلاة ويقول بالجبر الشديد»، وذكر عنه ابن حزم أنه يزعم أن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، ويزعم أن علم الله محدث. مات بعد نكبة البرامكة بمديدة مستتراً وقيل عاش إلى خلافة المأمون". لسان الميزان ٦/ ١٩٤

(٢) الفتاوى ١٨٦.

(٣) رواه البخاري: كتاب الاعتصام ٨/ ١٥١، ورواه مسلم، كتاب العلم ٦.

في قبالته مقاتل بن سليمان المفسر، وبالغ في إثبات الصفات حتى جسم»[١].

❑ قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٩٥ هـ): «وأما ما أحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علوما وظنوا أن من لم يكن عالماً بها فهو جاهل أو ضال فكلها بدعة وهي من محدثات الأمور المنهي عنها. فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الأمثال للَّه».[٢]

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وينقسم هؤلاء إلى قسمين:

أحدهما: من نفى كثيراً مما ورد به الكتاب والسنة من ذلك لاستلزامه عنده للتشبيه بالمخلوقين كقول المعتزلة لو رؤي لكان جسما لأنه لا يرى إلا في جهة: وقولهم لو كان له كلام يسمع لكان جسما ووافقهم من نفى الاستواء فنفوه لهذه الشبهة: وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن انتسب إلى السنة والحديث من المتأخرين.

والثاني: من رام إثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الأثر ورد على أولئك مقالتهم كما هي طريقة مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ)، ومن تابعه كنوح بن أبي مريم (ت: ١٧٣ هـ)، وتابعهم طائفة من المحدثين قديماً وحديثاً. وهو أيضاً مسلك الكرامية فمنهم من أثبت لإثبات هذه الصفات الجسم إما لفظا وإما معنى. ومنهم من أثبت للَّه صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة.

وقد أنكر السلف على مقاتل (ت: ١٥٠ هـ) قوله في رده على جهم بأدلة

(١) تذكرة الحفاظ ١٥٩، ١٦٠ .

(٢) بيان فضل علم السلف على علم الخلف ص: ٢

العقل وبالغوا في الطعن عليه»[١].

❏ قال عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٠ هـ): «إنا لا نجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والأحكام التي نراها بأعيننا ونسمع في آذاننا، فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون!»[٢].

❏ قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٩٥هـ): «الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه فما سكت من سكت من كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلا ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية للَّه. وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حباً للكلام وقلة ورع كما قال الحسن وسمع قوما يتجادلون هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا»[٣].

المطلب الثالث: مقصود المخالفين بمعنى التشبيه:

التشبيه في اصطلاح المتكلمين وغيرهم هو التمثيل، والمتشابهان هما المتماثلان، وهما ما سد أحدهما مسد صاحبه وقام مقامه وناب منابه[٤].

ومقصود المتكلمين بنفي التشبيه: أن يراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات، فلا يقال له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لأن العبد موصوف بهذه الصفات، ولازم هذا القول أنه لا يقال له حي، عليم، قدير، لأن العبد يسمى بهذه الأسماء وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك[٥].

---

(١) بيان فضل علم السلف على علم الخلف ص: ٣
(٢) النقض للدارمي ص: ٦٣.
(٣) بيان فضل علم السلف على علم الخلف ص: ٤
(٤) نقض تأسيس الجهمية (١/ ٤٧٦).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٩٩).

وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتاً في هذا المعين وليس كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقاً كلياً، بل لا يوجد إلا معيناً مختصاً، وهذه الأسماء إذا سمي الله بها كان مسماها معيناً مختصاً به.

فإذا سمي بها العبد كان مسماها مختصاً به، فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشاركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق.

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى فزادوا فيه على الحق فضلوا. وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا. وإن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه(١).

المطلب الرابع: فرق المشبهة ومقالاتهم:

للحديث عن فرق المشبهة لابد من التفريق بين نوعين من التشبيه:

النوع الأول: تشبيه المخلوق بالخالق: ومعناه إثبات شيء للمخلوق مما يختص الخالق من الأفعال والحقوق والصفات.

النوع الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق: ومعناه أن يثبت الله -تعالى- في ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك(٢).

وقد وقع كلا النوعين في هذه الأمة على درجات متفاوتة بين الكفر

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ١٠٤) بتصرف.
(٢) عن فتح رب البرية بتلخيص الحموية ١٥.

والبدعة. ونسوق ها هنا تصنيف عبد القاهر البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٢٩ هـ) لفرق المشبهة مختصراً: «المشبهة الذين ضلوا بتشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة، وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة:

وأما الفرق التي وقعت في النوع الأول: وهو تشبيه المخلوق بالخالق: ومعناه إثبات شيء للمخلوق مما يختص الخالق من الأفعال والحقوق والصفات.

فيمكن تقسيم فرق المشبهة من هذا النوع إلى قسمين رئيسين:

❏ القسم الأول: الأصناف الخارجون عن دين الإسلام.

ومنهم «السبئية»: الذين سموا عليا إلها، وشبهوه بذات الله . . .

ومنهم «البيانية»: أتباع بان بن سمعان [(١)] الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه، وأنه يفنكله إلا وجهه.

ومنهم «المغيرية» أتباع المغيرة بن سعيد العجلي، الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء.

ومنهم «المنصورية»، أتباع أبي منصور العجلي[(٢)]، الذي شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد إلى السماء . . .

---

(١) بان بن سمعان التيمي النهدي اليمني، ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني الهجري، زعم أن جزءًا إلهيًا حل في علي ثم في محمد بن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم ثم في بيان نفسه، فلما ظفر به خالد بن عبد الله القسري قتله. الفرق بين الفرق ص: ٢٣٧، الملل والنحل ١/ ١٥٢، مقالات الإسلاميين ص: ٥.

(٢) أبو منصور العجلي، رجل من عبد القيس، عزا نفسه إلى أبي جعفر الباقر أولًا، فلما تبرأ منه زعم أنه هو الإمام ودعا الناس إلى نفسه. وزعم أن عليا هو الكسف الساقط، وأنه عرج به إلى السماء، حتى وقف على قصته يوسف بن عمر الثقفي فصلبه. الملل والنحل ١/ ١٧٨، مقالات الإسلاميين ٩، الفرق بين الفرق ص: ٢٤٣.

ومنهم **«الخطابية»**، الذين قالوا بإلهية الأئمة، وبإلهية أبي الخطاب الأسدي[١]، ومنهم الذين قالوا بإلهية عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر[٢].

ومنهم **«الحلولية»**، الذين قالوا بحلول الله في أشخاص الأئمة، وعبدوا الأئمة لأجل ذلك.

ومنهم **«الحلولية الحلمانية»**، المنسوبة إلى أبي حلمان الدمشقي[٣]، الذي زعم أن الإله يحل في كل صورة حسنة، وكان يسجد لكل صورة حسنة.

ومنهم **«المقنعية المبيضة»** في دعواهم أن المقنع[٤] كان إلها، وأنه مصور في كل زمان بصورة مخصوصة.

---

(١) محمد بن أبي زينب الأسدي، كان يزعم أولا أن الأئمة أنبياء، ثم زعم أنهم آلهة، ثم ادعى الألوهية لنفسه، وخرج في أيام المنصور فقتله عسبن موسوالي الكوفة سنة ١٤٣ه. الملل والنحل ١ / ١٧٩، الفرق بين الفرق ٢٤٧، مقالات الإسلاميين ١٠.

(٢) عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب. كان فتاكا سيء الحاشية واتهم بالزندقة، طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية سنة ١٢٧هـ بالكوفة. مات سنة ١٣١ هـ. الأعلام ٤/ ١٣٩، تارخ ابن خلدون ٣/ ١٢١، لسان المزان ٣/ ٢٦٣.

(٣) أبو حلمان الدمشقي، كان أصله من فارس، ومنشؤه حلب، وأظهر بدعته بدمشق، وكان يقول بحلول الإله في الأشخاص ذوي الصور الحسنة، وكان يقول بالإباحية. الفرق بين الفرق ص: ٢٥٩.

(٤) اسمه عطاء ويعرف بالمقنع الخراساني مشعوذ مشهور، ادعى الربوبية من طريق التناسخ، وتبعه قوم وقاتلوا في سبيله وكان مشوه الخلقة فاتخذ وجهاً من ذهب تقنع به، واشتهر أمره سنة ١٦١ هـ فثار الناس عليه فاعتصم بقلعة فاحتسسما فمات بها سنة ١٦٣ هـ. الأعلام ٤/ ٢٣٥، الكامل ٦/ ١٧، وفيات الأعيان ١/ ٣١٩.

ومنهم «العذافرة»، الذين قالوا بإلهية ابن أبي العذافر المقتول ببغداد.

وهذه الأصناف خارجون عن دن الإسلام وإن انتسبوا في الظاهر إليه . . .

❑ القسم الثاني: الأصناف الذين يعدون من فرق الملة.

وهؤلاء فرق من المشبهة عدهم المتكلمون في فرق الملة لإقرارهم بلزوم أحكام القرآن، وإقرارهم بوجوب أركان شريعة الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج عليهم، وإقرارهم بتحريم المحرمات عليهم، وإن ضلوا وكفروا في بعض الأصول العقلية، ومن هذا الصنف:

«الهشامية» منتسبة إلى هشام بن الحكم الرافضي الذي شبه معبوده بالإنسان، وزعم لأجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض، عميق، وذو لون وطعم ورائحة .

وقد روي عنه أن معبوده كسبيكة الفضة، وكاللؤلؤة المستديرة، وروي عنه أنه أشار إلى أن جبل أبي قبيس أعظم منه. وروي عنه أنه زعم أن الشعاع من معبوده متصل بما يراه . . .

ومنهم «الهشامية»، المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي[(١)] الذي زعم أن معبوده على صورة الإنسان، وأن نصفه الأعلى مجوف، ونصفه الأسفل مصمت، وأن له شعرة سوداء وقلباً تنبع منه الحكمة.

ومنهم «اليونسية» المنسوبة إلى يونس بن عبد الرحمن القمي[(٢)] الذي زعم

---

(١) هشام بن سالم الجواليقي، نسج على منوال هشام بن الحكم في التشبيه، وزعم أن الله نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس... إلخ تخريفاته وضلالاته. الملل والنحل ١/ ١٨٤، مقالات الإسلاميين ٢٠٩.

(٢) يونس بن عبد الرحمن مولعلي بن يقطين، فقيه إمامي عراقي، من أصحاب موسبن جعفر، له نحو ثلاثين كتاباً، توفي سنة ٢٠٨ هـ، الأعلام ٨/ ٢٦١، ابن النديم ٢٢٠ .

أن الله -تعالى -بحمله حملة عرشه، وإن كان هو أقوى منهم كما أن الكركي تحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه.

ومنهم «المشبهة»، المنسوبة إلى داود الجواربي(١)، الذي وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية.

ومنهم «الإبراهيمية» المنسوبة إلى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي(٢).

ومنهم «الخابطية»، من القدرية وهم منسوبون إلى أحمد ابن خابط(٣) . . . شبه عيسى ابن مريم بربه، وزعم أنه الإله الثاني، وأنه هو الذي يحاسب الخلق في القيامة.

فأما المشبهة الذين وقعوا في النوع الثاني وهو تشبيه صفاته بصفات المخلوقين فأصناف:

فمنهم الذين شبهوا إرادة الله -تعالى-بإرادة خلقه، وهذا قول المعتزلة

---

(١) داود الجواربي مشبه أخذ مقالته عن هشام بن سالم الجواليقي، وزعم أن الله جسم وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم... إلخ. وقال ابن حجر: رأس في الرافضة والتجسيم من مرامي جهنم، وقال يزيد بن هارون: الجواربي والمريسي كافران. انظر مقالته في: الملل والنحل ١/ ١٨٧، مقالات الإسلاميين ٢٠٩، لسان المزان ٢/ ٤٢٧.

(٢) إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، مولاهم، قال فيه الإمام أحمد: كان قدرياً جهمياً معتزلياً كل بلاء فيه، وقال البخاري: جهمي تركه ابن المبارك والناس، وقال العجلي: كان قدريا معتزلا رافضيًا، توفي سنة ١٨٤هـ. تهذيب التهذيب ١/ ١٥٨.

(٣) أحمد بن خابط: معتزلي منتسب إلى النظام، له مقالات شنيعة وغيره، منها قوله: إن للعالم خالقين الله هو القديم، والثاني محدث وهو الكلمة، ومن ضلالاته قوله بالتناسخ، وينفي قدرة الله على زيادة نعيم أهل الجنة أو عذاب أهل النار. الفرق بين الفرق ص: ٢٧٣، لسان الميزان ١/ ١٤٨.

البصرية . . . ومنهم الذين شبهوا كلام الله-عَزَّ وَجَلَّ-بكلام خلقه . . .

ومنهم «الزرارية»، أتباع زرارة بن أعين الرافضي(١) في دعواه حدوث جميع صفات الله-عَزَّ وَجَلَّ-وأنها من جنس صفاتنا. . .

ومنهم الذين قالوا من الروافض بأن الله -تعالى-لا يعلم الشيء حتى يكون، فأوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم منا(٢).

ويلاحظ من هذا السياق لفرق المشبهة الملاحظات الآتية:

١-أن التشبيه نشأ في أحضان الرافضة وترعرع فيها.

تفاوت هذه الفرق على النحو التالي:

(أ)-الغلاة: وهم الذين مثلوا ذات الخالق بذات مخلوق معن، أو زعموا أن الله حال فيه -سبحانه-وهؤلاء خارجون عن الملة إجماعاً، وغالبا ما يجمعون إلى هذا الكفر كفراً آخر من الزندقة الباطنية كالفرق العشر الأولى.

(ب)-المكيفة: وهم الذين يكيفون صورة معبودهم بأوصاف وكَفات معهودة في الذهن والخارج لكن غير مقيدة بمماثل معن، كالهشاميين.

(ج)-ممثلة الأفعال: الذين يمثلون الخالق بالمخلوق، والمخلوق بالخالق في الأفعال كالمعتزلة.

براءة أهل السنة من تهمة التمثيل التي حاول بعض نفاة الصفات من

---

(١) زرارة بن أعين الشيباني بالولاء، رأس الفرقة الزرارية، من غلاة الشيعة، ونسبتها إليه، كان متكلماً شاعرًا، وهو من أهل الكوفة، وكانت وفاته سنة ١٥٠هـ. الأعلام ٣/ ٤٣، لسان المزان ٢/ ٤٧٣، اللباب ١/ ٤٩٨، خطط المقريزي ٢/ ٣٥٣.

(٢) الفرق بين الفرق ٢٢٥ -٢٣٠، مختصراً. وانظر: مقالات الإسلاميين ١/ ١٠٦، ٢٨١، والملل والنحل ١/ ١٠٣.

المتكلمين نبزهم بها. فليس في هذه الفرق المذمومة طائفة من أهل السنة، إلا أن المتكلمين بناء على أصولهم الفاسدة عدوا إثبات الصفات الخبرية تمثلاً، فوصموا المثبتين لها بوصمة التمثيل، كما صنع الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ) في مبحث «المشبهة»، حيث أدخل في مقالات المشبهة ما هو من صرح مذهب السلف»[١].[٢].

المطلب الخامس: من نسب إلى التشبيه

أ- **الكرامية** [٣]هم أتباع محمد بن كرام بن عراق بن حزبة السجستاني المتوفى سنة (٢٥٥ هـ).

وهم في باب الصفات يثبتونها، ولكنهم خالفوا أهل السنة في مسألتين:

المسألة الأولى: أنهم يبالغون في الإثبات ويخوضون في شأن الكيفية، ودخل عليهم ذلك، من جهة إطلاقهم لألفاظ مبتدعة كلفظ (الجسم)،

---

(١) انظر: الملل والنحل ١/ ١٠٥، وما بعدها.

(٢) المصدر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ص: ٧٩ـ ٨٢.

(٣) يبلغ عدد طوائف الكرامية اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة هي:
١- العابدية، ٢- النونية، ٣- الزرينية، ٤- الإسحاقية، ٥- الواحدية، ٦- الهيصمية. (وهم في باب الإيمان مرجئة يقولون: إن الإيمان هو القول فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار، وبعض الناس يحكي عنهم أنه من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة وهو غلط عليهم، بل يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان وانه من أهل النار). انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٥٦). وانظر الكلام عن الكرامية في الفصل لابن حزم (٤/ ٤٥،٢٠٤،٢٠٥)، لسان الميزان (٥/ ٣٥٣-٣٥٦)، والفرق بين الفرق (ص: ١٣- ١٣٧)، والملل والنحل (١/ ١٨٠-١٩٣).

و(المماسة). ومن بدع الكرامية أنهم يقولون في المعبود إنه جسم لا كالأجسام[١]. ومن بدعهم قولهم: إن الأزلي الخالق جسم لم يزل ساكنا[٢].

ويقولون: إن الله جسم قديم أزلي، وإنه لم يزل ساكنا ثم تحرك لما خلق أسفل النموذجالعالم، ويحتجون على حدوث الأجسام المخلوقة بأنها مركبة من الجواهر المفردة، فهي تقبل الاجتماع والافتراق، ولا تخلو من اجتماع وافتراق، وهي أعراض حادثة لا تخلو منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

وأما الرب فهو عندهم واحد لا يقبل الاجتماع والافتراق، ولكنه لم يزل ساكنا. والسكون عندهم أمر عدمي، وهو عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة. وهؤلاء يقولون: إن الباري لم يزل خاليا من الحوادث حتى قاما به، بخلاف الأجسام المركبة من الجواهر المفردة، فإنها لا تخلو من الاجتماع والافتراق[٣].

ويقولون: إن الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم، ويجوزون وجود جسم ينفك من قيام الحوادث به ثم يحدث فتقوم به بعد ذلك[٤].

ويقول ابن كرام: إن الله مماس للعرش من الصفحة العليا[٥].

ويقول كذلك: له حد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش ولا نهاية له[٦].

---

(١) لسان الميزان (٥/ ٣٥٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٦).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٢٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٦).

(٥) الفرق بين الفرق (ص: ١٩٨)، والملل والنحل (١/ ١٠٨-١٠٩).

(٦) التبصير في الدين ص: ١١٢.

وقد غالى أتباع ابن كرام في شأن الكيفية فزعم بعضهم أنه تعالى على بعض أجزاء العرش[(١)]. وادعى بعضهم أن العرش امتلأ به بحيث لا يزيد على عرشه من جهة المماسة، ولا يفضل منه شيء على العرش[(٢)].

المسألة الثانية: إن الكرامية يثبتون الصفات بما فيها أن الله تعالى تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن، أنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك، وقالوا: لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها، فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها.

فعندهم أن الله يتكلم بأصوات تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه تقوم به الحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته، لكن ذلك حادث بعد أن لم يكن، وأن الله في الأزل لم يكن متكلما إلا بمعنى القدرة على الكلام، وأنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك[(٣)].

ومعلوم أن عقيدة السلف تقوم على إثبات جميع الصفات الذاتية منها والفعلية، وأثبتوا أن الله متصف بذلك أزلا، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم، وإن كانت المفعولات محدثة[(٤)].

---

(١) الملل والنحلل (١/ ١٠٩).

(٢) الفرق بين الفرق (ص: ١٩٨)، والملل والنحل (١/ ١٠٨-١٠٩).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٤-٥٢٥)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ٧٦).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٩ ٥٢٠-٥٢٥).

٢- مقاتل بن سليمان[١].

نسب إلى مقاتل بن سليمان المفسر أنه من المشبهة وذكروا أنه هو الذي قال فيه الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٠ هـ): أتانا من المشرق رأيان خبيثان؟ جهم معطل، ومقاتل مشبه»[٢] وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٥٤ هـ): «كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي وافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث»[٣]. وقال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٢٤ هـ) في« المقالات »:« وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ): إن الله جسم وإنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان وعينين وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره»[٤].

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨ هـ): «وأما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله. والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة، وفيهم

---

(١) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي بالولاء، البلخي، الخراساني، المروزي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها. ذكره الذهبي في آخر ترجمة ابن حيان (تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٤) وقال: (فأما مقاتل بن سليمان المفسر فكان في هذا الوقت، وهو متروك الحديث، وقد لطخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرًا في التفسير). وقد توفي بالبصرة سنة (١٥٠ هـ) وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٩-٢٨٥)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٩٦-١٩٧)، تاريخ بغداد (١٣/ ١٦٠-١٦٩) وفيات الأعيان (٤/ ٣٤١- ٣٤٣).

(٢) لسان الميزان (١٠/ ٢٨١).

(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٥).

(٤) المقالات (ص ٢٠٩).

انحراف على مقاتل ابن سليمان، فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو من نقلوا عنه، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد. وقد قال الشافعي: «من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل،[1] ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة». ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث-بخلاف مقاتل بن حيان (ت: ١٥٠هـ)، فإنه ثقة-لكن لا ريب في علمه في التفسير وغيره وإطلاعه، كما أن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء وأنكروها عليه، فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه، وهي كذب عليه قطعًا، مثل مسألة الخنزير البري ونحوها، وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب»[2].

---

(١) وجاء في «وفيات الأعيان» في ترجمة مقاتل بن سليمان: «حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: «الناس كلهم عيال على ثلاثة، على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام». وفيات الأعيان (٣٤١١٤).

(٢) منهاج السنة ٢/ ٦١٨-٦٢٠.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

المقدمة ٥

المبحث الأول
أهمية توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة

المطلب الأول: هذا التوحيد شَطر باب الإيمان بالله تعالى ١٥
المطلب الثاني: توحيد الأسماء والصِّفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق . ١٧
المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية ٢٣
المطلب الرابع: معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف ٢٧
المطلب الخامس: العلم بأسماء الله وصفاته يَفتح للعبد باب معرفة الله ٣١
المطلب السادس: أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته ... ٣٤
المطلب السابع: العلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب ٤٣
المطلب الثامن: ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته ٥٠
المطلب التاسع: ومن ثمرات هذا العلم حسن الأدب مع الله ٥٦
المطلب العاشر: أسماء الله وصفاته تورث محبة الله عَزَّ وَجَلَّ. ٥٧
المطلب الحادي عشر: أسماء الله وصفاته هي مادة ذكر الله-عَزَّ وَجَلَّ-. ٥٧
المطلب الثاني عشر: معرفة الله تنتج للعبد فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه
وسعادته. ٦٠
المطلب الثالث عشر: ضرورة تجنُّب الباطل، وعدم مخالفة طر يق الحق في
هذا الباب. ٦٠

المبحث الثاني
التعريف بأهل السنة والجماعة، وبيان وسطيتهم

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة. ٦٥

الموضوع	رقم الصفحة

المطلب الثاني: بيان وسطيتهم. ٦٨

المبحث الثالث
تعريف التوحيد عند أهل السنة

المطلب الأول: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد عند أهل السنة. ٧٣
المطلب الثاني: التعريف الشرعي للتوحيد عند أهل السنة. ٧٤

المبحث الرابع
أقسام التوحيد عند أهل السنة

المطلب الأول: هل تقسيم التوحيد استقرائي أم اصطلاحي. ٨٥
المطلب الثاني: تقسيمات التوحيد عند أهل السنة. ٩٣
المطلب الثالث: الرد على شبهة من أنكر تقسيم التوحيد. ١٢٢
المطلب الرابع: العلاقة بين أقسام التوحيد ١٣٢

المبحث الخامس
بيان معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

المطلب الأول: مجمل معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته. ١٣٧
المطلب الثاني: شرح قول أهل السنة: «من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل». ١٤١
المطلب الثالث: «كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل». ١٥٣

المبحث السادس
الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات

المطلب الأول: بيان مجمل الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته. ١٦١

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثاني: بيان الأساس الأول من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.	١٦٦
المطلب الثالث: بيان الأساس الثاني من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: تنزيه الله جل وعلا أن يماثل شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين.	١٩٢
المطلب الرابع: بيان الأساس الثالث من الأسس الثلاثة التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وهو: قطع الطمع	١٩٨

المبحث السابع
توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول: الأبواب الثلاثة التي يشتمل عليها توحيد الأسماء والصفات.	٢١١
المطلب الثاني: الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها.	٢١٤

المبحث الثامن
من هم المعطلة

المطلب الأول: القسم الأول من المعطلة وهم الفلاسفة.	٢٢٥
المطلب الثاني: القسم الثاني من المعطلة وهم: أهل الكلام.	٢٤٢
المطلب الثالث: مسالك التعطيل.	٢٧٤

الموضوع	رقم الصفحة

المبحث التاسع
من هم المشبهة

المطلب الأول: الفرق بين التشبيه والتجسيم ٢٨٩
المطلب الثاني: تاريخ ظهور مقاله التشبيه. ٢٩١
المطلب الثالث: مقصود المخالفين بمعنى التشبيه: ٢٩٤
المطلب الرابع: فرق المشبهة ومقالاتهم: ٢٩٥
المطلب الخامس: من نسب إلى التشبيه ٣٠١
فهرس الموضوعات ٣٠٧

تمت بحمد الله

تم الصف والإخراج بشركة دار لطائف للنشر والتوزيع
- تلفاكس: ٢٢٤٥٦٢٥٨ ، ٢٤٥٧٠٠٥٠